

محمد حسين يونس

خصلوات على الأرض المحبووسة



دار المستقبل العربي

٢٠٠ قرشاً

خطوات على الأرض المكبوسة

محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المكبوسة



دار المستقبل العربي

صمم المؤلف: سعد عبد الوهاب

دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت ، مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٣

أهداء

الى الرجسلى الذى علمنى كيف أتكلم وكيف أمشى وكيف
أكتب وكيف أكون شريفاً •
الى الذى الذى هجر سريرته ونام على الأرض طول فترة
نومه على الأرض فى الأسر •

محمد حسين يونس

مقدمة

بقلم : محسن الخياط

هذا الكتاب .. وهذا المؤلف

الكتاب الذى بين ايدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك في حرب الأيام الستة التى عرفت بأيام النكسة .. وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية في الحرب الكثير مما يراه السبب في الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك .. ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته ، لكثير من السلبيات التى شابته حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل افضل للانسان المصرى والعربى على ضوء تخطى السلبيات وتجنب الوقوع فيها ..

وإذا كان من سلبيات المعركة عدم التدريب الكافى للقوات المسلحة ونقص المعدات الحربية والزج بالاحتياطى غير المدرب في المعركة والخلل الذى اصاب القيادة العسكرية نفسها .. فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن حرب أكتوبر كانت التصحيح لهذا الوضع الذى كانت عليه القوات المسلحة فتصحيح الأوضاع في القوات المسلحة قد بدأ مباشرة بعد النكسة واتخذت المعركة في الثلاث سنوات التالية للنكسة طابع الصمود ثم الاستنزاف الذى جاء نتيجة مباشرة لتدريبات مكنته على القتال وعلى عبور القنال بل وتم في تلك الفترة تدمير أجزاء كبيرة من خط بارليف .. ومن هنا فان معارك الاستنزاف والتدريبات الشاقة هي التى فتحت الطريق أمام القوات المسلحة لعبور القناة وانهاء خط بارليف ..

وقد نتفق جميعا مع المؤلف في أن غيبة الديمقراطية وحرية الراى قد يكون لهما اثر مباشر في مسار المعارك الوطنية .. ولكن الذى حدث أن حرب أكتوبر وعبور القناة قد تم أيضا في غيبة الديمقراطية ..

وفي غيبة الديمقراطية أيضا فقدت حرب أكتوبر الكثير من ايجابياتها فقد اثبتت الحرب مقدرة المقاتل المصري العربي على القتال والصمود وأكدت امكانية التحرك من موقع التفوق والقوة ولكن الذي حدث ترك خلفه من السلبيات ما نعانى من خطورته سواء في « طايا » او في غزو لبنان البربري الذي وضع الأمة العربية في وضع لا تحسد عليه لقد وضعت هزيمة ٦٧ الشعب المصري في موقف الصمود والتصدي بينما لم يحقق انتصار أكتوبر في غيبة الديمقراطية سوى النتائج التي وصلت اليها المفاوضات والتي كان أكثرها بروزا اقدام اسرائيل على تحقيق أطماعها. التوسعية بقوة السلاح .. متجاهلة كل دعاويها للسلام .

وكل ما تم بعد عام ١٩٧٣ ثم في غيبة كاملة للديمقراطية بالرغم من وجود المناير وتحولها الى أحزاب فيما بعد ..

فالديمقراطية الليبرالية لا تقوم بقرارات فوقية .. ولكنها حق طبيعي لكل الطبقات التي لها الحق في تشكيل أحزابها والتعبير عن رأيها .. حق يكفله دستور ليس من صنع فرد أو أفراد ولكنه من صنع الشعب الممثل في جمعية تأسيسية منتخبه من أجل وضع دستور يقنن مكتسبات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وعلى أي حال ، فالمؤلف - شأنه شأن أي مقاتل في صفوف القوات المسلحة - قد صدمته حقيقة النكسة .. وهو يسرد الأحداث كما رآها بعيني رأسه ، وهو لا يفقد الأمل في المقاتل الفرد حين يلتقي بأحد الأبطال الذين فجروا مستودعات للذخيرة في الأرض المحتلة - حتى يرى مع مستقبل الأيام كيف تمكن الجندي المصري الشجاع من اقتحام القناة في عام ١٩٧٣ ورفع علم مصر على أرض سيناء المحتلة .

وهو نفسه .. ذلك الجندي الواعي الذي يفوق من السملل المؤقت ليواجه بشجاعة مأساته ورفاقه في معتقل « عتليت » الاسرائيلي .. حدث يتمكن جميع الأسرى من تنظيم صفوفهم في النهاية في مواجهة العدو المنتصر المتعجرف .

ولعل أخطر ما يتعرض له المؤلف في كتابه هو الفصل الذي يتحدث فيه عن الاستلاب الفكري الذي مارسته قوى الغزو الاسرائيلي على أسرائنا

في معتقل « عتليت » فقد استفاد الاسرائيليون الوافدون في كافة أنحاء العالم
٠٠ استفادوا من خبرات كل المعتقلات الفاشية والنازية ٠٠ وبعد دراسة
لتلك الخبرات ٠٠ توصلوا الى أن التعذيب البدني والتهديد بالابادة
الشاملة - ليس وحده كافيا لاستخراج الاسير الى الاعتراف أو الادلاء
بمعلومات هامة - ليس وحده كافيا لتحويل الأسرى أو بعضا منهم الى عملاء
لهم في وطنهم - أدركوا أن الاساليب الأكثر ايجابية هي تفريغ العقل
العربي من كل المثل والقيم التي عاش لها وآمن بها - ونقويض كل ما آمن
به من مسلمات عن الوطن والدفاع عن النفس والحرية والديمقراطية .

ويدرك القارئ أحداث معتقل « عتليت » انهم كانوا بارعين في بذر
عدم النعم في نفس الانسان العربي ، وتشكيكه في كل شيء ٠٠ في قيادته ٠٠
في انتمائه القومي ٠٠ وتجميل وجه العدوان الاسرائيلي الذي يببره الدفاع
عن النفس وليس طرد شعب بأكمله من وطنه ٠٠ فهم يمدونهم بكل ما يزرع
فيهم عدم النعم في كل شيء ٠٠ مستغلين في ذلك المجالات والكتيبات والشائعات
المختلفة المتقنة الصنع ٠٠ وهم يصطحبون أسراهم بعد فترات ترويض
وتخويف نسبية ، في رحلات استكشافية لحياة الانسان الاسرائيلي -
ايهاما للأسرى بحضارة مزيفة ٠٠ ومعانى للتحضر والديمقراطية ٠٠ لا يمتلك
مفاتيحها في المنطقة سوى « شعب الله المختار » .

ولكنهم في بعض المواقف ٠٠ يحدث ما يكشف عورتهم ٠٠ فيحسبون
بأنهم قد أخطأوا الطريق - فيغيرون من أساليبهم ٠٠ ويغيرون أيضا
خرائط الرحلات المعدة سلفا -

ويفضح الخطاب من خلال رؤية صديقنا الراوي خرافة الكيبوتزات
الاسرائيلية التي اتخذت مظهرا اشتراكيا ٠٠ ولكنها وضعت أفرادها في وضع
لا يمكنهم الفكك من الأرض والا ماتوا جميعا هاليكن - وبهذا يصبحون أداة
طبعة في يد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية - يشاركون بالأمر وتحت واقع
الارتباط الاجباري بالأرض في تحقيق الأطماع الصهيونية في التوسع واحتلال
أرض الغير بالقوة - وقد كشفت أحداث لبنان المأساوية الأخيرة والغزو
الاسرائيلي للبربري لها ٠٠ أن كلمات الدفاع عن النفس التي طالما تحدثوا
بها لأسرى ٦٧ لم تكن سوى بعض فقائيع الهواء في زجاج مياه غازية ٠٠

ويطرح المؤلف في روايته لأحداث حرب ٦٧ قضية التحدي الحضاري -
تلك القضية التي همس له بها أحد الأصدقاء العرب بالناصرية - فالتحضر
الاسرائيلي المستورد - لا يمكن مواجهته بحضارة أخرى مستوردة - حضارة
لم تستنبت في واقعنا ٠٠ ولكن من الممكن مواجهتها بحضارة أمة تمتد جنورها

الى تاريخها .. حضارة تنمو في جو طبيعي - تصح الانسان العربى في مقدمة الشعوب المتحضرة .. تدرك اسباب تخلفه من فقر وجهل وامية وقدرية وتدفع به الى الامام الى مستقبل افضل ، يقف يتحد في المواجهة للتحضر الاسرائيلى المزيف ..

ان المؤلف وهو بحق ابن جيل عاش فترة الصراعات الوطنية ، ضد قوى الاستعمار الامبريالية .. عاش نورة ٢٣ يوليو ومجانية التعليم ، وخروج الانجليز من مصر وتأميم القناة - وبناء مئات المصانع .. وارتفاع السد العالى وعاش القومية العربية حركة عدم الانحياز - عمل في جيش مصر - وعاش يحلم ببناء وطن متحضر يتطور فيه المد الثقافى والفكرى الذى عاش في الستينات من خلال الكتاب والفيلم والرواية والمسرحية والأغنية .. هو نفسه الذى عاش انتكاسات الثورة وقهرته أحيانا السلبية والخوف .

ان كتاب « خطوات على الأرض المحبوسة » الذى تقدم على نشره دار المستقبل العربى بالرغم من مرور ١٥ عاما على أحداث ٦٧ يضع الشعب المصرى أمام مسؤولياته الحقيقية - فأحداث ٦٧ وما أصاب الأمة العربية بسببها كانت نذيرا بالخطر الذى يتهدد المنطقة بأكملها .. كما ان نتائج حرب ٧٣ لم تنجح في ازالة هذا الخطر .. فالغزو الاسرائيلى للبنان اكد استمرار الخطر وبشاعته .. ولا مفر من اعادة صياغة المجتمع العربى بأكمله .. وهى مهمة ملقاة على عاتق الشعب العربى كله .. بحيث يمسك المجتمع العربى بأسباب التحضر الحقيقى بأوسع معانيه التى تتمثل في رفع المعاناة ودحر الفقر والامية والقضاء على السلبية والقدرية .. مجتمع يخطو بخطى ثابتة نحو آفاق تشيع فيها روح الديمقراطية وتصبح فيها وسيلة للتطور وليست غاية في حد ذاتها .. حتى يمكن لهذه الأمة بأصالتها وتاريخها وروحها المتحضرة من الوقوف في وجه الخطر الزاحف عليها ..

اخيرا ، لا يفوتنى ان انوه ان هذا العمل التسجيلى الروائى قد كتب باحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة في تاريخ الشعب المصرى .. وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها .. ويلفحها بالكرباج - حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده ..

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف في تفسير بعض ظواهرها ولكنها في النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل .

محسن الخياط

١٩٨٢/١٢/٢٠

الفصل الأول

٥ يونيو ١٩٦٧

الفرق بين الانسان والحيوان .. أن الانسان حيوان قادر على التجريد
أي يمكنه أن يحول الرموز الى كائنات .. تولد وتنمو وتمرض وتموت
في بعض الأحيان تنتج وكما كان لدى الانسان القدرة على التجريد كلما
أصبح أكثر انسانية .. وصديقنا الذي سفتكلم عنه كانت لديه قدرات
فائقة على التجريد وكانت الكلمات لديه تحمل مذاقا ورائحة ولونا وشكلا
ترتبط بعلاقات مركبة شديدة التعقيد .. قد يكون لدراسته اثر في ذلك فهو
مهندس معماري يبني القصور في مخيلته ثم يضعها رموزا على الورق
ثم يراها تنمو وتكمل بالخرسانة والحديد والطوب والزجاج وقد تكون الأحداث
التي مر بها قد صقلته فجعلته أكثر انسانية وأكثر تفاعلا مع الأحداث ..

في صباح هذا اليوم وكان يوم اتمام استرجاع سيناء ٥٥٠ ورفع
اعلام مصر على مدنها الرئيسية عندما قلت له « صباح سيناء » امتلأت
عيناه بالدموع وسألني وما هي سيناء بالنسبة لك ؟ ثم اكمل - مساحة
من الأرض الصحراوية يفصلها عن الوادي خليج وقناة السويس وفي احسن
الاحوال مصدر لعديد من المواد الخام !!

كنت أعرف أنه مر بظروف صعبة خلال حرب ٦٧ عندما فقدناها فقد
اسر في ذلك الوقت واغلب اليان أن تجربة الاسر هذه أثرت في تكوينه النفسي
والعقلي والاجتماعي فقد كنت أعرفه من زمن أبعد من ذلك اليوم الذي
جلس فيه معي يتكلم عن أسباب هزيمة ٥ يونيو . وشعرت بالتعاطف
معه عندما قال أن الهزيمة ليست هزيمة جيش وانما
هزيمة مجتمع . وتقابلنا بعد ذلك كثيرا ودارت بيننا حوارات عديدة ..

أكمل : يا صديقي هل نمت يوماً تحت ظلال النخيل على شاطئ ذى
رمل أبيض ناعم وأمامك بحر ذو زرقة شديدة هادئة .. ويتجول حولك
أسراب من الماعز التى ترعى فى سلام .. ان لم تفعل فأنت لا تعرف سيناء .

هل قنفت فى يوم بحبل صغير فى نهايته شص لبحر كثير العطاء ..
فمنحك أغلى ما عنده من أسماك .. هل شاهدت الفجر من خلال أشجار
النخيل أو من خلف جبل وأنت تنحرك على الطريق .. هل جلست فى يوم
تشاهد الشمس وهى تسقط فى البحر وتترك خلفها غلالات صفراء تكسو
الافق .. هل عاشرت بشراً يسهرون طول الليل حولك يعرسونك لانك
تهذى من الحمى حتى تشفى .. هل عطشت حتى الموت ثم اندفع الى حلقك
سرسوب من اللبن الدافئ من ثدى عنزة وهبت لك الحياة .. هل شممت
رائحة زهور البرتقال تلفك من كل جانب .. هذه هى سيناء .. هل حلمت
بالمستقبل وبنييت المدارس والوحدات الصحية والاجتماعية المتناثرة على
مسافات لا تقل عن المائة كيلو بين الواحدة والاخرى وشاهدت الأطنال
والنساء وهن يملأنها .

هذه هى سيناء بالنسبة لى .. ثم صمت قليلا وتابع كلامه فى حزن ..
يا عزيزى - سيناء كانت مريضة .. لقد تركناها وهربنا .. فحبسوها
عنا وحبسونا عنها .. وداسوها بالأقدام .. وعرضوها فى المعارض والمتاحف
والكبريات .. سيناء مريضة وستبقى مريضة حتى نهتم بعلاجها ..

كان يتكلم كما لو كان يحطم .. لقد كان يكبرنا قليلا .. ولكنه كان
يشعر بان هناك فارقا ضخما بيننا .. وكان يصر على ذلك ففى تصويره ان
الأحداث التى مرت على العالم ومصر خلال الاربعين عاما الماضية فصلت
الأجيال بشكل تعسفى .. جعلتها بحيث تصبح لعدد أصابع اليد من السنوات
ذات فارق محسوس فى تشكيل البشر وتميزهم ..

ولد صديقنا فى حارة من حوارى القاهرة فى أول ليلة يقصف فيها الالمان
مدينة القاهرة .. ونقلوا والدته الى المخبأ وهى تلده فأستقبل الحياة بين
صرخات الزعر والرعب وطلقات المدفعية المضادة للطائرات والاضواء الكاشفة
وأصوات القنابل والانفجارات وكان مقدمه ايذانا ببده الازمة الاقتصادية
فى مصر .. وفى عائلته . وكان يرى الجنود الانجليز يبنظلوناتهم القصيرة

ووجوههم الحمراء وهم جالسون على أفاريز شبابيك ثكناتهم يقذفون المسارة بقشر الفاكهة والعلب الفارغة وكان يلحظ بذكاء شديد نفور والده واهله منهم هو الآخر حتى عندما لاعبه احدهم وحاول أن يمنحه قطعة من الشيكولاته رفضها .

وعندما أخطى الانجليز هذه الثكنات رفعه والده فوق كتفيه ليشاهد الملك فاروق وهو يرفع علم مصر بدلا من العلم الانجليزي لقد أثر فيه هذا المشهد كان يقول لنا : أنتم لم تتروا هذا . لقد ولدتم ولم يكن على أرض مصر جندي انجليزي واحد . ومع ذلك لم نستطع أن نحافظ على استقلالنا .

قلت له : هل تريد زيارة سيناء الان .

قال : وما جدوى الزيارة المهم أن نحافظ عليها . المهم أن نعالجها . لا أريد أن أرى اليوم الذي يرفع فيه علم آخر غير علم بلدنا على أي جزء من أجزاءها . هل جلست في يوم على شاطئ القنال وفي مواجهتك علم اسرائيلي يرفرف على الجانب الآخر ولا تستطيع العبور لتخرجه ؟

قبل قيام الثورة كان صديقنا مازال طفلا صغيرا وكان والده يصحبه معه ليشهد - الاجتماعات السياسية التي كانت تقيمها أحزاب المعارضة وتعلم القراءة في صحفها وكان يشترك في المظاهرات التي تنفذ بالملك والحكم القاسد والاحتلال . كان لا يستوعب ما يقال حوله . ولكنه تعلم كيف أنه وفي ظل الديمقراطية والحرية يمكن أن يتحول البشر الى بشر ايجابيين ولو طاردتهم جنود بلوكات النظام والبوليس السياسي .

• وعندما قامت الثورة . تصور أن كل مشاكل بلده قد انتهت ولم يبق إلا أن يعمل الجميع بجد لبناء الوطن كان متحسا الى أقصى درجة لتأميم القناة . والدفاع ضد العدوان الثلاثي . وبناء السد العالي . وهكذا عندما تخرج من كليته كان تصوره أن دوره الاساسي هو أن يعمل وبإخلاص وذكاء تحت راية الثورة في جيش البناء .

لقد كان ابنا للثورة . تعلم تحت مظلة مجانية التعليم وتكونت أفكاره وعلاقته بالعالم من خلال رحيقها .

سألكه : وما تصورك لكيفية المحافظة على سيناء .

رد : دع كل الزهور تتفتح ومائة فئرة تتصارع " نحن ما زلنا لا ننظر
إلا تحت أقدامنا . . رغم أن عصرنا أصبح عصرا للجماهير صناعة الحياة
يجب أن نتكلم لغة العصر . .

عندما سأله قائد الكتيبة هل تريد الذهاب لليمن - اجاب : ولماذا ؟؟
ليس لدى اولاد في سن الزواج او زوجة مريضة اريد علاجها او منزل لم يتم
بناؤه واريد استكماله . . .

سأله : وهل هذه هي الاسباب فقط ؟؟ اجاب : هذا ملخص الطالبات
المقدمة للمشير بفرض السفر لليمن من مئات الطالبين . . .

لقد كان يلاحظ ما حوله من سلبيات ولكن كعادة أهله يطلق النكات فقط
. . . . ولا يقاومها . . وسافر .
وفي اليمن تعلم الكثير .

كان اول دروسه عندما سأله زميل أكبر سنا عن طريقة تصرفه في اول
بدل سفر له عندما اجاب بأنه اشترى نظارة بيرسول . . رد الآخر
يا خسارة كان لدى الأمل في جيلكم ثم أردف نحن جيل عاش محروما ومقهورا
بواسطة كرابيج الاقطاع والبشوات فتلطنا أما آنتم فما عذركم . . كل
الاشياء الكبيرة تبدأ بتنازلات صغيرة . . . اليوم اشتريت نظارة فبدلة
فولاعة . . ثم تغير البوتاجاز لانه صغير ثم الثلاجة لان المستورد أفضل
ولا مانع من بعض قطع الموازنو. والبساجيد. ثم عربة صغيرة تكبر والشقة
تصيح فيلا ولا تنتهي الصلعات ونحتاج لنقود فتبيع كل شئ حتى نفسك .

كذلك تعلم كيف تفتت الجيش الى قطع صغيرة غير متجانسة . .
وانخفضت كميات أسلحته . . وكيف أصبح الاهتمام الأكبر للرجال هو جمع
أكبر قدر من الاموال من خلال بدلات السفر وتهريب العملة واستجلاب البضائع
المستوردة . . وكيف انحطت الكفاءة القتالية للجيش . .

وفي النهاية أدرك أن القيادة قد وقعت في المصيدة التي نصبت لها لاضعافها
وتشتيتها في حرب اليمن .

ويعود صديقنا محملا بالمهموم ويتحدث عما شاهده من تصرفات البعض في تهريب السجائر والسلع والاستهتار بأرواح البشير وإصدار تعليمات وأوامر غير مدروسة وعفوية ..

سابقه وما لغة العصر

رد : عندما تكلمنا لغة العصر بعد الهزيمة .. كان معناها .. عمل خطة واستكمال المعدات ... وتدريب الافراد عشرات المرات وتفهم جيد لمهامهم القتالية . ودراسة الموقف سياسيا واقتصاديا .. ثم التطبيق .. فاستطعنا ان نجبر سد بارليف ونحقق موقفا متوازنا امام القوات الاسرائيلية ان لم يكن انتصارا .

هذه هي لغة العصر .. وما تم بعد ذلك من معارك سياسية انتهت بجلاء القوات الاسرائيلية حتى حدودنا الدولية .. هو لغة العصر .. ولكن هل ستستمر هذه اللغة .. يتوقف هذا على هامش الديمقراطية والحرية اللذين سوف يتمتع بهما الشعب المصرى .. وعلى قدر الحرية ستزيد المبادرة الفردية والجماعية .. قد يستغرق هذا أجيالا حتى نسوى حسابنا مع أمراض الماضي ولكن هناك أملا !! أما في غيبة الحرية والديمقراطية .. فلا أمل على الاطلاق ..

يوم عاد صديقنا من اليمن .. كان يمثل مقدمة كتبيته التي تقلصت بعد ترك نصف قوتها في اليمن .. وكانت هناك حركة تنقلات مفاجئة في القيادات أتت بقائد جديد ورئيس عمليات جديد .. اللذين اجتمعا بهم ليحدثاهم عن سياستهما في ادارة الكتيبة .. والتي تتلخص في الحصول على افضل تقدير اثناء التفتيش عليهم من هيئة التدريب .. ولذلك كان عليهم تجهيز فصول للتدريب وملئها بمساعدات التدريب .. ودهان وترميم بناء المعسكر واستكمال بعض المنشآت وأهمها بوابة فاخرة وملء نماذج التدريب وتجليد الدفاتر الخ من مهام عديدة تتصل بالظهور بمظهر مناسب امام اللجنة .

وكان على صديقنا بصفته معماريا يقع العبء الاكبر .. على ان يتم قبل ١٥ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم المحدد لزيارة اللجنة . وكان قد تعود على هذه المهام بل اتقنها خلال الفترات السابقة لخدمته لذلك لم يتذمر . حتى كان يوما ينظم مكتبة وحدته يرتبها ويصنفها .. فعثر على كتاب اسمه (كتيبة ومعركة)

قصة سوفيتية حاول استطلاعها فقرأ أول صفحة ثم ثانی صفحة ولم یستطع أن یتوقف حتى حضر المیکروباس الذی ینقلهم لمنازلهم ركبہ وهو مستمر فی القراءة سعد الی شفتہ وهو مارال یقرأ . . . جلس علی أقرب کرسی وظل یقرأ حتى أنهى الکتاب . . . کان یفص قصة کتیبة سوفیتية فی الحرب العالمیة الثانیة أثناء حصار موسکو بواسطة الالمان وکیف أن قائد الکتیبة استلم جنودها رجالا مدنیین یملا ینسهم المدنیة ثم کیف دربهم حتى تحولوا الی جنود دخل بهم معركة دفاعیة وهجومین . یقص من خلال قصة مشوقة للغایة کیف تغلب هؤلاء المدنیون علی عقبات لا نهائیة فی میدان القتال .

وتغیر صدیقنا ب أصبح لا ینام . . . یراجع کل افکاره وموقعه من العالم والحیة . . . ویقارن بین ما تم فی هذه الحرب وما یتم فی الجیش فی ذلك الوقت . . . ان الحرب تحتاج الی تدرب وفهم وعلم . . . ان کل ما یعمله الان هو من قبیل الغش . . . غش فی حیاة أفراد ومصیر أمة وشعب . . . عندما حمل افکاره وهمومه لمزملائه . . . سخروا منه . . . عندما ناقش قاداته قالوا له اهتم بما هو فی اختصاصک فقط .

وکان وکانوا یمللون النفس بانهم لن یشهدوا حربا حقیقیة فی یوم ما .
ولکن للأسف کان للیوم أقرب مما یتصورون .

سألته : ولكن الديمقراطية والحرية تحتاج لشعب متعلم ونحن نسبة الامية لدينا لا تقل عن ثمانين بالمائة .

رد : لیس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما لتخلفه . . . علینا أن نتعامل مع مجتمعنا من خلال واقعنا . . . ان الممارسة والعمل الجاد فی الواقع ورفح کفاءة الانتاج عمل یوهی ودؤوب . . . ولكن لن یقوم به الا بشر احرار . . . مزید من الديمقراطية والحرية تنخفض نسبة الامية . . . هل تعلم ان هذه النسبة كانت ستین بالمائه قبل الثورة .

فی یوم ۱۳ مايو ۱۹۶۷ أعد صدیقنا جنود سریتة واستعد للذهاب لمیدان النار لتدربهم استعدادا للاختبار . وذهب لیستأذن القائد فوجده مرتبکا أصفر الوجه . ورد علیه باقتضاب . . . لا تخرج للمیدان .

سأل : هل الغی التفتیش .

وكان الرد : لا ٠٠٠ ولكن صدرت الأوامر بفك التخزين واستدعاء الاجازات
وكان معنى هذا ان الجيش أصبح في أقصى درجات الاستعداد والطوارئ ٠٠
ساد الكتيبة الهجوم ثم انتشرت الحركة فجأة في كل اطرافها ٠٠ ألف أمر وأنف
شخص يتكلم ٠٠ الاصوات عالية ٠٠ والاعصاب متوترة ٠

كان عليهم فك تخزين المعدات المعدة للحرب ٠٠ واستكمال نقص العدة ٠٠
وفتحت مخازن الجيش أبوابها لاستقبال مندوبي الوحدات واجتمع الضباط
أكثر من مرة وملئت عشرات النماذج الخاصة بالصرف والارتجاع وأعيد الكتابة
في دفاتر العهد ٠٠ وخرجت العربات تزمجر ٠٠ وتصيح المسائقون أريد بطارية
٠٠ فردة الاستين نايمة ٠٠

وكان على الكتيبة الانتقال الى مكان الانتشار في خلال ساعتين ٠
وازدهمت العربات بالمهمات والكراسي والخيام والناضد والبضائع
المتبقية، في الكانتين واخيرا الجنود وسلاحهم ٠

وتحركات الكتيبة الى مكان الانتشار ٠ وأوقفت الاجازات والمبيت خارج
المعسكر، جلس صديقنا مع زملائه داخل عربة زيل في ضوء فانوس ميداني، المطر
ينهمر في الخارج وهم يرتعشون من البرد ٠٠ يشعلون سجائرهم ويحدثون
من معنى لكل ما يحدث من خلال الاستماع للمنياع ٠

لا ترحب الا أغاني عادية ٠٠٠٠

كانوا ينسألون ٠٠ هل معنى هذا أننا سنحارب !!

كان احدهم سعيدا لالغاء التفتيش ٠ وكان الاخر يحاول ان يجد بيزرا
او وسيله للذهاب منزله ٠٠ وكان صديقنا الوحيد المدهش كيف يمكن ان
نحارب ونحن نصف كتيبة فقط ٠٠٠

في الصباح كانت المنارين الرئيسية في الجرائد ٠٠ اعلان درجة الاستعداد
القصوى بالقوات المسلحة ردا على حشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية

سمح لهم بالتنقيب ساعتين لاستكمال مهمات كل منهم ٠٠ وفي الشارع ٠٠
كانت القاهرة تعيش عبدا ٠٠ الكل يشجع رجال القوات المسلحة ٠٠ المحلات
ترفض أخذ نقود مقابل البضائع التي يشترونها ٠٠

عندما ضمته أمه الى صدرها وبكت .. قال لها .. لا تخافي سنعود انورا
... بعد أن نحقق حلم العرب وننهي المشكلة ...

وبعدما تساءل .. ولكن كيف .. وأصابه الشك !!

وعاد فعّل نفسه بأن يكون الجيش المقابل جيشاً متخلفاً .. ليست قواته
الرئيسية احتياطية .. ان القيادة لا بد وان تكون قد درست كل شيء ..
والا كيف تخاطر ..

وتصاعدت الاوامر .. ورحل صديقنا مع وحدته الى سيناء ضمن القوات
التي لا أول لها ولا آخر .. ونشرت في الجرائد صور دخول الفرقة الرابعة
المدعمة سيناء ... وكان يعجب .. هل هذه حرب .. أين السرية والمناورة ..
الجرائد على الطرف الاخر تنشر صور الجنود الاسرائيليين يستحمون على البلاج
وصور للمجنّفات الاسرائيليات ونحتها جيش العاهرات ... ما هذا ..
من سيحارب من !!

ولفت نظر صديقنا خبر صغير في جريدة الاخبار .. بأن القادة الانجليز
يتصحون بضرب المطارات والطيران المصري أولاً ثم قتل الجيش المصري
في مقبرة سيناء المهجورة .. انها نفس خطة ٥٦ .. ومستحيل تنفيذها مرتين ..

سألته : ما معنى ليس ففراً فوق الواقع ولا استسلاماً له ؟ ..

رد : هناك بعض الافراد الذين ينبهون بما يتم حولهم في العالم بعضهم
انبهوا بانجازات الاشتراكية النوفيتية والآخرين بانجازات الرأسمالية
الامريكية ... وحاول كل طرف استجلاب التجربة وتطبيقها في مصر بدون
تصور لواقعنا الذي نعيشه ما الذي حدث ؟ مزيد من الألم والعنف أو السرقات
والفجر .. البعض الآخر تصور ان الاستكانة للتخلف الواقع والعودة الى
القديم هو الحل ... ومعنى هذا ادخاف حركة التقدم والبعض الآخر طالب
بالرجوع الى أخلاق القرية .

ما هي أخلاق القرية تلك التي يتغنون بها ...

وعندما صاحبت القوة فكرة من هذه الافكار أصبحت الضحية هي الحرية
والأمل في التطور .. أما في نال الديمقراطية. وصراع جميع هذه الافكار على

أرضيه الحرية والشرعية فان الديماجوجية والسلفية وكل ما هو غث سيرغض
ويبقى للناس ما يغيدهم .

عقد الرئيس عبد الناصر في ذلك الوقت مؤتمرا صحفيا قال ان أمريكا أموى
دول العالم وهى لن تتدخل أو نرجو ذلك ونحن كفيون بارجاع الحق لأصحابه
وتأديب اسرائيل . . وعندما سأل أحد الصحفيين الانجليز بأن مرور عشر
سنوات منذ ٥٦ هل أثرت فيه رد : هل تتخيل أننى مثل مستر الخرع .

رشدت أنتباه صديقنا هذه العبارة - ما هذا - هل المشكلة مطروحة على
جسائط الجددنه والتسبامة والثغونة . . ليس ممكنا أن تنتهى هذه الاحداث
بحرب لا بد وأنها مناورة لارهاب اسرائيل فقط وارغامها على عدم الهجوم
على سوريا . . .

عندما عبر الى سيناء قال له قائد كتيبة الكبارى وكان قائده السابق
ان شاء الله ستمودون سريعا . هذى مناورة . كان سكان الاسماءيلية يقابلونهم
بالزغاريد والشربات والحلوى والدعاء وكانت العربية تتحرك متوغلة في عمق
سيناء في الظلام تصدر أصواتا رتيبة وتبعث الدفء والخدر في جسده
فتدور الافكار وتصطم برأسة ثم تخرج تجول حوله . وتعود له نورغه
. . إذا تم تغيير القيادات قبل الحرب بمدة قليلة - اليمست القيادات
القديمة أبعث للثقة . . !! هل هى حرب فعلا . . . اذن لماذا يفشرون كل
هذه الصور واتصريحات . . ولماذا الطرف الاخر يجلس في برود يراقب . .
وفي ياس قال لخدمه ماذا سيحدث اقصاعها سوف أموت . . وتذكر قائد
كتيبة ومعركة عندما كان يتول لجنوده . . نحن نحارب لكى نعيش لا لكى
نموت . . ما فائدة جندى ميت ولكى نعيش يجب أن نستعد ونقرب . .
وكان يسأل نفسه ترى هل استعدنا . . هل تدربنا . .

وظيرت في الافق الاضواء الحمراء والبرتقالية ايذاها بظهور الفجر .
وانشغل في متابعة اثار الضوء على الموجودات حوله عن افكاره حتى ظهرت
الشمس تماما كان جسده قد أصبح جزءا من الاربة ولم يعد يشعر بأنه
يسافر وكان الجندى السائق بحواره يتملأ . .

سأله : هل أنت خائف ؟!

رد عليه : لماذا . . ربنا معنا . . ان شاء الله نرميهم في البحر .

سأله : ولماذا نرميهم في البحر .

رد : دول ولاد كلب كفرة .

وتعجب صديقنا من الرد . . . ولكن هذا هو مستوى الاقناع . . . وحاول أن يشرح للجندى القضية ولكنه توقف فقد فات الاوان . وتنبه أنه هو نفسه لو وجه أحدهم له هذا السؤال ماذا سيكون رده . . . هل هناك أي مبرر مهما كان لأن يقتل انسان آخر أو يرميه في البحر .

سألته : هل ستزور اسرائيل بعد الصلح ؟؟

تردد قليلا ثم رد : وهل يتحتم على أن أزور جميع بلاد العالم .
ان ليبيا قريبة جدا ولم أزرها والسودان أقرب وأوربا وباقي أفريقيا .
عندما وصل صديقنا الى نهاية رحلته وجد نفسه في معسكر خان يسعد لاستقبال مندوب هيئة التدريب . . . وبسرعة انتشرت العربات وابتدأت البلد وزرات تعمل في حفر الملاجئ وخنادق الوقاية واقامة الخيام . . . واستغرق العمل اليوم بكامله . . . وكان أهم خبر هو انتصار القرسانه على الاهلي وتحصولها على الكاس لأول مرة بعد حصول الاسماعيلي على العوري . . .
واحتد الاهلي والزملاوية . . . وكان هناك مقال في مجلة صسباح الخير بقلم محمود السعدني أربع صفحات عن الانتصار العظيم للاسماعيلي .
استدعى بنض الضباط لحضور مؤتمر يععده المميز حمزى ودير نسبط قيادة الفرقة . . .

وذهب صديقنا لحضور المؤتمر . . . استقبلهم قائد الفرقة الجديد المعين منذ أيام عثمان نصار بتعليماته قبل حضور المشير . . . لا شكواي . . . لا تلبات . . . نحن مستعدون للتضحية فقط مفهوم . . .

وحضر المشير عامر وصديقي محمود قائد الطيران وعبد المحسن كامل مرتجى قائد الجيوش البرية وعديد من قادة الاسلحة والقوات .

(١) هامش : لم يصدر أي تصريح من أي مسئول مصرى برمي اسرائيل في البحر ولقد أكد السيد الوزير محمود رياض ذلك أكثر من مرة في عديد من المؤتمرات وفي هيئة الامم المتحدة ولكن هذا التصريح صرح الشقيرى في بداية الازمة .

تكلم المشير عن المعركة القادمة بصفتها نزعة عسكرية وطلب من الضباط ايضاح أى استفسارات لهم . . .

لم يتكلم أحد . . حسب أوامر قائد الفرقة .

احتد وقال انا عارف انكم بتتكلموا فى الميزات اشمعنى هنا .

أحدهم يسأل : ترى هل نحن مستعدون .

اجاب - بالطبع احنا عندنا أقوى طيران فى الشرق الاوسط انتم جبلة

قول لهم يا صدقى قول لهم عن السخوى والتوبييلوف . .

رد الآخر : يافندم لن يحتاج المشاة للحرب . . سأنهم المبركة

ولن يحتاج جندى المشاة حتى لتطهير الخنادق ساطهرها بالطيران .

وخرج الضباط عن وقارهم فصفقوا .

سأل ضابط آخر : يافندم الجيش كله فى سيناء وهذا ما حدث فى ٥٦

ماذا سيحدث لو هاجموا مصر . . .

ردى المشير المنصدة بعنف بقبضته وقال . . . انا المشير غنبد الحكيم

عامر يقول لنى قادر على حماية مصر وتحقيق نصر فى اليمن وتحقيق نصر

فى سيناء ثم انتصب واقفا وغادر القاعة وهو يبتسم ويقول ان شاء الله

لن يحدث شىء وكان صديقنا فى حاجة شديدة لهذا الرد . . معنى ذلك

ان بكل ما يراه فى القوات البرية لا قيمة له . . . لان الحرب الحديثة تعتمد

على الطيران والقيادة اعادت اتوى طيران فى الشرق الاوسط وشعر بالغيرة

وفى نفس الوقت بالاطمئنان . . وكما حدث له

ولكنهم اعتمدوا على الكلمة الهامسة البتسمة ان شاء الله لن يحدث شىء . .

وابتدأوا يحسبون موعد الاجازة والزيادة المتوقعة للمرتبات . . ومتى سيبدأ

تفتيش هيئة التدريس .

سألته : ولكن اسرائيل ليست فى بلد فى العالم . . لقد زرتها أسبرا

ذليلا . . فهل ترغب فى زيارتها ضيفا عزيزا .

اجاب : لقد قال لنا سكرتير الحزب الحاكم فى ذلك الوقت المايى

اننا اليوم اسرى ولكن سننا ام لم نشأ فسيأتى اليوم الذى نصبغ فيه

اصدقاء ونزورهم بهذه الصفة . ولكن كيف يحدث هذا وفى اسرائيل وحولها

مليونان من العرب الفلسطينيين مطرودين ومشردين كيف استطاع ان

أواجه ذا العيون الزرقاء، والذي قابلني هناك .. قد استطيع ذلك يرم أن
تحل القضية الفلسطينية ويرتضى الطرفان شكلا مناسباً للعلاقة والتواجد .
صدرت بعد ذلك الأوامر لكتيبة صديقنا بالتحرك الى موقع جيد قرب
الحسنة بـ ٥٠ كيلومتريين . . . وجلس صديقنا بجوار سائق جرار ضخمة يصدر
أصواتاً عالية وهو يصعد المنحدر في الطريق الى الحسنة . . . كانت
الشمس قد قاربت على المغيب ونفسه هواء بارد تهب من الشباك
على يمينه بكابينة الجرار . . . وكان يشعر بحزن لا سبب له عادة ما يصاحبه
في هذه الفترة من اليوم . . . حان الشمس وهي تسقط غاربة في الأفق تعلن
أن يوماً آخر من عمره قد انتهى . . . وما العمر الا ستطبات متتالية لهذه
الشمس في الأفق . . . وفي يوم ما تعلن انتهاء حياة الانسان ككائن على
الأرض . . . وكان أمامه في (القول) عربة محملة بأخشاب لا قيمة لها الا اذا
كانت جوانب مرحاض ميداني . . . وكراسي ومناضد وخيام ومكاتب
وجراكن وفوق هذه الفوضى يجلس جنديان لفا حول رأسيهما فوطاة كاذبي
اتقاء للبرد . أحدهما يشعل سيجارة ويستند على كرسي . عندما دقق صديقنا
فيه انفجر ضاحكاً فلقد كان كرسيه بثلاث أرجل فقط . . . عندما لفت نظر السائق
الضخم له . . . تسائل باستغراب - والنبي يافندم الناس دي طائفة
تحارب بكرسي بثلاث أرجل . . . استمر الآخر في الضحك ثم علق . . . عهده
حيملوا ايه . . . ولكن الموضوع لم يكن بسيطاً عند صديقنا هكذا
اذ من الأحق بالمكان في العربة جندي يجلس مرتاحاً أم كرسي بثلاث
أرجل ؟؟ . . . لماذا نحتقر الانسان هكذا . . . لماذا نطلب من ذلك الجندي أن
يحارب وهو واقف فوق كومة من النفايات . . . الا نستهلك جنودنا هكذا بهذه
الطريقة الأبدائية الوحشية . . .

واسترسل في أفكاره . . . هل كل هذا العناء وكل هذه الضجة من أجل
الضغط على اسرائيل . . . لا بالتأكيد انه للضغط على مصر . . . فحرب
اليمن وهلت الى قمة مشاكلها . . . والأسعار في ارتفاع مضطرد والمشاكل
الداخلية تهز البلد هذا وهذه الحرب الصليبية ضجة من أجل الجياع
عن شكوى بطونهم وهكذا تعودنا عندما تتفاقم مشاكلنا الداخلية نطلب
النصر في الخارج . . .

يوم الانفصال السوري . . . انتصرنا بثورة اليمن ودفعنا بقواتنا
اليها وقطع السائق تسلسل أفكاره بسؤاله . . . يافندم هل اليهود يعرفون

أين نحن الآن .. أقصد هل يعرفون أننا متجهون الى الحسنة . (ان
الخوف الاسطوري من العدو قابح في نفوسنا .. رغم كل أساليب الدعاية)
رد صديقنا - بالتأكيد ان اليهود بشر مثلنا ولهم امكانيات لا تقل
عن امكانياتنا وبالتأكيد هم يعرفون ماذا يحدث كما نعرف ماذا يفعلون
فالاستطلاع والمخابرات هي اعين وأذان الجيوش ويجب ان ننحرك ونحن
مبصرون والا وقعنا في اول بالوعة فاعرة فاهها ...

سألته : ولكن ما هو تصورك للحل العادل للقضية الفلسطينية .
اجاب : لا يوجد عادل أو غير عادل . نحن في مواجهة تحدى حضارى
اما ان نقبله ونكون ... او نتجاهله ونزوى .. وفي حالة قبولنا للتحدى
وتطورنا .. لن تصبح هناك قصايا شكلية .. الاسرائيلى يقول ماذا نفعل
بالأرض ان مصنع ساعات صغير يجر ارباحا وعائدا يوازي مئات الاف
المروعة والاف الافدنة غير المزروعة .. اذا امتلك العرب عناصر التحدى
الحضارى اى امتلكوا لغة العصر . وطوروا امكانياتهم واستغلوا أفضل
استغلال مستنوب اسرائيل داخل الامة العربية كما ذاب اليهود دائما
في وسط المسلمين والمسيحيين طول التاريخ .. ان امتلاك العرب للغة
الحضارية سينزع من اسرائيل اشواكها ومخالبها المثلثة في تكوينها
الاستعمارى ولكن هل نحن لدينا الثقة في أنفسنا .. اذا ابتدانا فالزمن
في صالحنا

استقرت وحدة صديقنا في اليوم الأول من يونيو ١٩٦٧ قرب الحسنة
وابتدأت باقى القوات تتمركز في مواقعها .. استعدادا لمعركة قد تحدث
اولا تحدث وكانت اولى المهام التى أوكلت الى صديقنا مشاركة مجموعة
استطلاع الفرقة في تحديد واختيار اماكن الاحتلال للواءات التابعة لها .
مثلا لوجبة الفطر الهندسية .

كان مكان اول اللواءات وهو اللواء ١١٨ سهلا فلقد كان عليه ان يحمى
المنطقة من المدق التركى (وهو طريق كانت تستخدمه القوات التركية
في حركتها) الى طريق الحسنة القسيمة . لذلك انطلق في ثلاث عزبات جيب
قائد الفرقة ورئيس الاركان ورئيس العمليات وقادة اللواءات ورؤساء
اركانهم وضباط العمليات وصديقنا الى منطقة عمل اللواء وحدد مكان

الكتائب ونقط الاتصال مع اللوات المجاورة . . . الخ . كما لو كان الامر يتصل بتدريب أو مناورة عادية . . .

وفي اليوم التالي ٢ يونيو ثم تحديد مكان اللواء ١٢٠ اى اللواء الثانى وكان قائده عميدا احتياطيا اسمه العميد بركة رجل كبير السن طيب الى درجة كبيرة وأبعد ما يكون لأن يصبح قائدا للواء فى المواجهة حتى ان ضباطه كانوا يسمونه (الضرب من الحركة للعميد بركة) وكانت منطقة عمليات لوائه فى مكان موحش يسمى وادى خرم ولم يكن يعرف مكانها الا قائده استطلاع الجيش وفى محاولته للوصول خطأ الطريق . أكثر من مرة . . حتى أصبح من الصعب لغيره الوصول ثانية خاصة أنه فى طريق عودته عاد من طريق آخر مختصر يمر من خلال مجرى سيل جاف متشقق ولا يصلح لمروء العربات الا الصغيرة جدا .

٣. فى اليوم التالى ٣ يونيو طالب رئيس الفرع الهندسى من صديقنا قيادة مفرزة قائمين تحرك لهم ولم يتحرك اللواء ١٢٠ ليحتل مكانه . . وعندما واجهنا صديقنا تبانه لا يعرف طريق الوصول هذه الاخر بأنه سوف يحاكمه

واختار صديقنا هل يقبل المهمة ويضلل لواء كامى خلفه ولعله ينجح عن طريق التجربة والخطأ . . ام يقول ويصر على أنه لا يعرف . . ومن قال لا اعرف فقد أفنى حتى ولو حاكمه رئيسه . . واختار الحل الاكثر شرفا . . أن يقول لا اعرف ويصر عليه . .

أخذه رئيسه الى العميد بركة يستوضح الموقف . . وعندما قال له العميد « والله يا بنى له حق أنا نفسى معرفش أوصل . . . ده دوخنا امبارح » تحرك رئيسه بعصبيه وتمتم « يا سيادة الرائد عليك أن توصلهم » ثم ركب عربته وانطلق . .

جلس صديقنا بجوار رئيس مهندسى اللواء مهموما يفكر ماذا يستطيع أن يفعل . . . وعندما أسر ذلك لزميله . . احتاج الاخر . . وابتدأ يتشكى

•• مما يراه حوله •• وبهت صديقنا من الموقف المتردى الذى عليه الجيش فقد
انضح أنهم استدعوا الاحتياط على عجل وبملابسهم المدنية ووزعهم بغض
النظر عن تخصصاتهم السابقة على الوحدات الأعجب من ذلك أنهم احضروهم
بواسطة عربات كتيبة النقل ثم سحبوا العربات وتركوا الجنود بدون
أسلحة كافية أو حتى مياه للشرب •• وأصيب بالقلق فتحرك فى اتجاه
العميد يستنجد به لعل زميله لا يعرف كل الحقيقة •• عندما سأل كيف
سنتقلون •• فاجأه الآخر بأعطائه قطن من الجيلاتى أحضرتها ثلاثيات
ضخمة من القاهرة ترفيها للجنود العطشى •• وقال أولا نأكل الجيلاتى
وبعد ذلك نتفاهم •• ثم اردف •• سيحضرون لنا عربات كتيبة النقل
لتوصيدنا قل لى والغيبى يا بنى من أين سنحضر المياه •• يقولون أن غناك
بئرا •• هل رأيته؟؟

قطع عليهم الحديث وضوا قائد الفرقة وضابط استطلاع الجيش
الذى نادى على صديقنا فى يا يشمينحس مات معدائك واتبعنى ••
افتح الطريق وعلمه لعربات اللواء ••

•• سأنته : وما بعد الاستقلال ••

أجاب : فى اللغة العربية عندما تضع بعض الكلمات بين قوسين بمعنى
ذلك أنها جملة اعتراضية لتوضيح موقف ويمكنك قراءة الجملة متجاهلا
ما بين القوسين •• ما حدث منذ ٦٧ يمكنك أن تضعه بين قوسين وتكمل
الجملة •• قبل ٦٧ كانت الجملة هى كيف نتغلب على أزمة اقتصادية
حادثة كيف نعمل ؟ كيف نواجه عالمنا متطورا ؟ ويتطور بسرعة أكبر ••
كيف نقود المنطقة لصالح شعوبها وشعبنا ؟ لتحتل المكان المناسب لها
وقطعت هذه الجملة بحرب واحتلال واستنزاف وحرب ومفاوضات وصراع
•• والان علينا أن نكمل جملتنا كما كان يجب أن نكملها منذ خمسة عشر عاما ••

كانت الرحلة مرهقة الى أقصى درجة •• فان وادى خرم ان لم تكن
تعرف أرض زراعية أهملت لمئات السنين •• فجفت وتشققت •• واصبح
أى خدش لها يثير أتربة ورمالا سائبة •• ولعمل طريق حتى ولو مؤقت
دستغرق شهورا •• لذلك ذلقد اكتفى صديقنا بتعليم طريق بواسطة طرف
سكينة الجريد ليكون علامة للعربات فقط وكانت العربات تتبعه فتزيد
من نيش الرمال حتى أصبح من المتعذر أن تتحرك بسرعة أكبر من ٢٠

كيلو متر ساعة وبصعوبة .. وزعقت هوترات العربات .. أثارت خلفها
عواصف من ارماس السائبة .. وتصايح الجنود المعلقين فوقها .. وتحول
وادي خرم الى سيرك ... فوضى شاملة كاملة . وفي نهاية اليوم حوالى
الخامسة .. وصلت القافلة الى عايتها ... بحث قائد الفرقة عن صديقنا
... اجاط كتفيه بساعده ثم اشار الى مجرى السيل الجاف ... وطلب
منه فتح طريق عرضى عبره ليحرك عليه المدفعية التي حتما ستتعجز عن
الحركة خلال الطريق الذى اتوامنه .

كان الرجل يتكلم بصوت هادى أبوى .. وقد حاول أن يكسر حدة
التعليمات العسكرية الجافة ... وأثر ذلك كثيرا في صديقنا .. فهو
كبقية شعبنا يمكن أن تسلب منه حياته بالكلمات الرقيقة التي لم يتعودها ..

عندما سأل قائده عن خريطة يتحرك من خلالها ... قال له الآخر ..
لا توجد الا واحدة .. ولا يستطيع الاستغناء عنها انما الطريق المطلوب
في اتجاه النخلات البعيدات .

ذهب صديقنا متحمسا وطلب من جنوده انزال البلدوزرات من فوق
المقطورة ليبدأ فتح الطريق ...

ولكن لماذا ستكون وحدة صديقنا اكثر تنظيما من الآخرين !!

لقد همس السائق في اذنه ... بأن الرديراتير مخروم ولا يوجد معه
ماء ..

وكاد أن يصيح فيه ... وكاد أن يقول له مثل رئيسه « تصرف »
ولكن ماذا يفيد كل هذا ... كان عليه أن يتأكد من سلامة معداته قبل
ان يتحرك بها .. وكان عليه أن يتأكد من وجود ماء ...

وعاد لقائد الفرقة حزيننا ومتوترا فوجده رائدا على الارض ينظر
الى السماء يتأهل ... عندما لاحظته سأل « مش حتنذر ... طيب بكره
ان شاء الله تحضر معدتك وفتتح الطريق » وبأحساس بالذنب اجاب
صديقنا فورا وبدون أى حسابات « لا يا أفندم انشاء الله سيفتح الطريق
اليوم » وعاد الى رجاله يفكر كيف سيوفى وعدا قطعه على نفسه بدون
تفكير أو حساب .

كان جنوده يشعرون بمدى الحرج والاحباط اللذين تسببوا فيهما لقائدهم فجلسوا واضعين أيديهم تحت رؤسهم في انتظار الفرج . . . وكان قد توصل الى خطة ابتدائية بأرسال عربة محملة بجراكن مياه الى الحسنه فتملاها وتعود بها حتى واو كانت الساعة العاشرة مساءً فبدأ العمل في الصباح .

ولكن رقيب سريره عاد مهلاً . . . كما لو كان أرشميدس ينادى لقيناه يافندم . . . لقيناه . . . فلقد وجدوا بئر مياه على بعد أمتار . . . اندمعا جميعاً في فرح حقيقى تجاه البئر . . . ولكن كيف . . . !! كيف يحضرون المياه منه . . . وتفجرت طاقات لم تكن في الحسبان . . . فك سائق حبل شبكة التمويه . . . وأحضر اخرون جراكن ربطات بالحبل وملأوا كل الجراكن بالمياه . . . وفي وسط الفرقة . . . تنبه صديقنا الى أن الوقت يجرى وستغيب الشمس بعد مدة قصيرة . . . ولن يستطيع تحديد اتجاهه . . .

أخذ رجانه وتحرك بسرعة في الخمر ينثرهم وبين كل واحد وآخر حوالي مائة متر . . . في الاتجاه الذى حدده له قائد الفرقة . . . وبعد دقائق دار البلدوزر وعلى ضوء كشافات العربات والجرارات أزال التربة المكسرة في عرض مجرى السيل . . . ساعات . . . وساعات . . . وساعات . . . حتى وصل الى آخر جندى . . . ولم يظهر طريق القسيمة الحسنه كانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحاً . . . قسم جنوده الى قسمين احدهما مستنبط للحراسه وآخر ينام . . .

ظهرت الشمس ثافية . . . راضات المكان . . . لم يتعجل في يوم ظهورها كما تعجله في هذا اليوم . . . ولم يفرح بالضوء قدر فرحه بهذا الضوء . . . لقد كان الطريق على بعد أمتار منه . . .

في التاسعة صباحاً كان صديقنا يقف أمام خيمة القائد . . . وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه . . . ابتسم وسأله . . . هل ستذهب لفتح الطريق يباباشمهندس . . . رد الاخر . . . لا . . . بل انا عائد من خلاله . . . صحبه قائد الفرقة معه الى ميز الضباط القادة . . . لتناول افطاره . . . بعد قليل حضر رئيس المهندسين نظر له بغضب ثم همس . . . ما الذى أتى بك هنا . . . الم اقل لحم الا تتصنوا بأحد الا من خلالي . . .

انقذه قائد الفرقة وقال « الحقيقة الباشمهندس قام بعمل رجولى لقد فتح لنا الطريق العرضى ويمكننا أن ننقل المدفعية اليوم . . . من فضلك وجه له خطاب شكر بأسمى على كتيبته . . .

غير رئيس المهندسين لهجته وعقب على كلام القائد « في الحقيقة هو ضابط ممتاز » . خارج الميز كان يقف قائد الكتيبة عندما شاعده صديقنا في صحبة رئيس المهندسين بادرة « ايه يا بنى انت كنت فين !! » .
هو فيه نسوان هنا والا ايه » .

رد رئيس المهندسين بعد ان وقف انتباه وقال :

يا سيادة المقدم يشرفنى ان ابلاغك بان قائد الفرقة يقدم شكره لسيادة الرائد والكتيبة على العمل الرجولى الذى قامت به سريره في فتح الطريق العرصى لتحرك المدفعية .

رد قائد الكتيبة « وانا كمان يافندم ساذهب بنفسى لاصلاح للطريق الاخر » رد الاخر « لا المهم احضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ونقله الى اللواء ١٢٠ - في خرم » .

سألته : ولكن ما تم خلال خمسة عشر عاما لا يمكن أن يوضح بين قوسين . . . لقد كان له تأثيرات ايجابية وسلبية في كل شيء . . .

اجاب : عندك حق . . ان الاطفال الذين ولدوا في ٦٧ أصبحوا الان شبابا . . والشباب أصبحوا في منتصف العمر . ولكن المشكله مازالت قائمه التحدى المطروح مازال قائما كيف نستطيع ان نجتاز الهوة الواسعه بين عالم متقدم ويتقدم بسرعة فائقة وبين توقفنا . . لا تهتم بان المجرى والمياه والطرق والكهرباء . والتليفونات . . الخ . تحتاج لاصلاح . . فهذه سيتم اصلاحها . . ولكن الانسان نفسه هو موضوع التحدى يا صديقى . . كيف يعيش . . كيف يفكر . . كيف يعمل . . ما هي قيمه . . ما هي علاقاته . . الانسان المصرى خلال الازمه تشوه كثيرا ولكنه ايضا احتمل كثيرا وفي استطاعته مع التنظيم ان يخلق المعجزه . . الانسان المصرى لا يقل عن الالمانى او اليابانى الذى استطاع بعد الحرب العالمية ورغم اقتصاده المدمر والتشوهات الواضحه التى حدثت له ان يخلق المعجزه

- عندما عاد صديقنا الى وحدته وجد رئيس العمليات يطلبه .. فلقد
أحضروا لهم مائتي جندي احتياط يثيرون الاضطراب في كل شيء ..
وطلب منه ان يقول لهم كلمتين ليسكنوا .. اليس مسئول التوجيه المعنوي
بالكتيبة . جلس بينهم يتأملهم كلهم تجاوزا الثلاثين .. رجال مدنيون
رغم الاوفروات الواسعة التي يرتدونها . قابلوه بعاصفة من الطلقات ..

الماهية يا سعادة البية .. القضية يا سعادة البية .. قضيته فنل
.. مراتى بتولد .. امى بتموت ..

ظل ساكنا حتى انتهوا وصمتوا .. اطل فترة سكوته مسنعيانا
بالسلطات التي منحه اياها المشير عامر يوم وضع على كتفه رتبة العسكرية .

أخيرا قال لهم بصوت هادئ .. هل تريدون أن تحاربوا !!

ردوا في صوت واحد .. آه .. آه .. نموت في سبيل فلسطين .

رد متحيلا نفسه قائد (كتيبه ومعركة) .. لماذا تموتون .. جندي
ميت لا قيمة له ثم صمت قليلا وأكمل من يستطيع منكم أن يرص لغما ؟ ..
لم يرد أحد - من عمل في سرية طرق ؟ .. من حفر بالمقرعات ؟ .. لم يرد
أحد - أكمل .. حماسكم أكبر من قدراتكم .. وبالتالي فالعمل العظيم
الذي تستطيعون أن تقوموا به هو أن تتركونا نعمل ولا تزيدوا مشاكلنا ..
الأكل سنحاول أن نقتسمه .. الماء سنحاول أن نحضره . ولكن أرجوكم
تذكروا أن حماسكم أكبر من قدراتكم وعليكم أن تقوموا بواجبكم بأن
تتركونا نعمل بهدوء .

الشيء الغريب بعد ذلك أنهم قاموا بواجبهم وتكون منهم ما يشبه
الحكم الذاتي وظيفته المحافظه على العهد الذي قطعوه على انفسهم .

كانت مشكلة الجنود الاحتياط سهلة .. ولكن الأكثر صعوبة كانت
الضباط الاحتياط الذين انضموا الى الكتيبة لتعويض نصفها المنقوص في
اليمن .. لقد كان معظمهم قد حضر سينايا لأول مرة وبعضهم ذن - بس
مدة طويلة عن القوات المسلحة .. كإساتذة في الجامعة .. أو مسئولين
بوحدات مدنية .. وكان كل منهم يحمل في يده لسينايا خريطة صغيرة

مرسوم عليها الطريق الاساسية . . انتفروا حول صديقنا يسألونه عن تفاصيلنا . . عندما طلبه قائد الكتيبة وهو مذعور . . ان قائد الفرقة يطالبك بالاسم لامر هام اسرع لمقابلته .

قال له : انا انتديتك لهذه المهمة للأسباب الآتية أولا : لانك موثوق منك ويعتمد عليك . ثانيا : لانك تعرف الطريق جيدا . . ثالثا : لانك مهندس . . . ستذهب لخرم هناك احتل اللواء ١١٦ بدلا من اللواء ١٢٠ الذي سجنناه ولقد وصلوا منذ ساعات فقط ستقابل العميد خيرى قائد اللواء وستقول له ان سيادة المشير سيحضر باكر ٥ يونيو صباحا للمتفتيش على التجهيزات الهندسية ودفاعات اللواء . وبالمرة تعد ثلاثة مطارات لثلاث طائرات هليكوبتر في مكان ظاهر تحيطه بالجير الابيض كي تنزل الطائرات فيها لا تناخر الساعة الان الساعة يجب ان تصل قبل التاسعة .

خرج صديقنا مذهشا . . كعادته في هذه الايام . . كل الاشياء انى حركه تدور منطقية . . كيف يسحب اللواء ١٢٠ ويحتل مكانه ١١٦ رغم ان الاول لم يمض على احتلاله لموقعه أكثر من ساعات . . يفتش المشير على لواء لم يمض أكثر من ساعات على احتلاله لموقعه .

ولكن عليه ان يبلغ الرسالة . . فما ادراه . . قد تكون هذه هي طبيعة الامور . . والانسان الذى ينظر للتفاصيل قد لا يرى الصورة العامة جيدا - جمع مجموعة من الجنود في عربة ومعهم مهماتهم . . وتأكد في هذه المرة من ان المهمات كاملة واتجه الى مقر اللواء ١١٦

الطريق في الصباح لعنة . . فما بالك ليلا . . والحركة في الصحراء بدون خريطة أو اضاءة معجزة حتى لو كنت تعرف المكان فما بالك وهو لا يعرف أين احتل اللواء الجديد

تحرك في الطريق المعروف لديه حتى وصل الى نهايته وهناك ظل يدور بالعربة في دوائر ضيقة لساعات عديدة .

وفي كل لحظة يوقفه جنود الحراسه . . ويسألونه عن كلمة سر الليل التى هي كلمة خاصة بهذا اللواء ابتكرها على عجل . .

دخل السريه الطبيه وسرايا الخيمه .. حتى عثر على سرية المهندسين
بانصدفة .

كان قائدهما صديقا له .. قابله بالاحضان . عندما عرف مهمته
نصحه بأن ينام حتى اصباح .. ولكن الاخر كان لابد وأن يبلغ الرسالة
.. دله صديقه على المكان التقريبي لقائد اللواء وهناك اوقفه جندي الحراسة
اثبت .. طفى النور .. خلمه .. الليل عايز مين .

- سيادة العميد خيرى .

- نقوله مين .

- ضابط من طرف قائد الفرقة .

وجه حديثه للعربه - يافندم - يافندم .. سيادة الرائد عايزك ..

صرت أجش من داخل السرب .

- عايز أيه .

- أنا يافندم ضابط من طرف سيادة قائد الفرقة ومعى رسالة .

يرد من المداخل أيه الرسالة .

- أكرم سيادتك لانها سرية جدا ..

يستيقظ بتأفف ويصيح نور ألبادروس ويفتح الكبوت من الخلف .

فيظهر في الضوء الخافت شخص سمين جدا . أسمر - شرس ..

- ايه ياسيدى الرسالة السرية جدا اللي جاييها الساعة اتدين . دى

- سيادة المشير سيحضر باكر للتفتيش على تجهيزات الدفاع

الهنسى .

- وأنا حمل أيه الساعة اثنين (وكانما شعر بأنه تجاوز فأردف)

طيب اتفضل أنت ... علم ياسيدى .

أدى صديقنا مهمته وأنهى قلقه .. وترك الاخر ساهرا .

في الخامسة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومع ظهور أول ضوء للشمس
يسمح لصديقنا بتمييز ما حوله .. وقف فوق ظهر عربته .. وحدد أماكن
ظاهرة تستطيع أن تنزل فيها الطائرات .. وكون ثلاثة مربعات تصلح

الى خيمة صديقه قائد سرية المهندسين فوجدهم يعدون العدة لرص
الى خيمة صديقه قائد سرية المهندسين فوجدهم يعدون العدة لرص
حقول الغام في مواجهة اللواء الجديد . . .

بعد قليل هبطت طائرة في مكان من المطارات الثلاثة لتتأكد من صلاحيته
قبل حضور المشير . . ثم عادت ثانية . . وجلس صديقتنا مسترحي
قبل أن يستعد للعودة . كان يفكر . . وهكذا كانت نظرتة ضيقة للامور
عندما اعترض على احتلال اللواء ١٢٠ - الاحتياطي للموقع . .

ان هذا اللواء بالتأكيد افضل كثيرا . . وقطع عليه سلسلة تخيره
ضابط يدخل مندفا الى الخيمة . .

مسمعتوش وقعنا عشرين طيارة . .

- اية

- وقعنا عشرين طيارة اسرائيلية .

- مين . . ؟؟

- احنا .

- فين ؟ !

- في مصر !!

- امستي ؟؟

- الان

- مين قال كده . .

- في الاذاعة فتح الراديو بسرعة .

كان صوت المذيع يجلجل . . . وقعت اسرائيل في المصيدة . . هذا
يومك يا عربي ايها المواطنين . . [أستمع بانتباه شديد ثم التفت لصديقه] .

- معنى كده ان القاهرة دمرت . . .

- ليه .

- ذوق عشرين طائرة في اول موجة . . معناه انهم هجموا بمئات
طائرة على الاقل .

صيحيات من الخارج والجنود يرقصون بقوا اربعين يا فندم .
عواطفه تغلب على عقله ويبكى . . اربعون . . اذن شبكة الصواريخ قامت
بالواجب . . احتمال الاصابه ٩٠٪ في روسيا لو الضابط لم يصب الطائرة
بالصاروخ يعدمونه . . هكذا يقولون . . !!

- يرد صديقه - ياعم ده كلام اذاعة تلاقىهم عشرة او خمستاشر .

يدخل رئيس المهندسين مهرولا . . وبدون تحية . . يسأل صديقنا -
أين قائد الكتيبة . . خرج منذ الصباح لاحضار حفار الخنادق من اللواء
١١٨ ولم يحضر حتى الان

طائرة منخفضة جدا تطير فوق الوادى . . طائرة ميراج اسرائيلية . .
اسميد خيرى يهرول ويشتم . . كل العربيات تنتشر . . انتشر . .
هد الحية دى . . حاس مرغرا جدا ونقل قوتره للاخرين . .

ويعود صديقنا الى كتيبته من الطريق الذى فتحه بالامس . . .
المدافع المضادة للطيران فى حالة تاهب . . طلقات متباعدة تسمع من بعيد . .

قائد الكتيبة يقابله . . ويسأله : ألم قر الحفار .

يرد : حفار أيه يا فندم الحرب قامت . . .

الفصل الثاني

الحرب

سألت صديقنا : هل تتصور أن تقوم حرب أخرى مع إسرائيل . .
أجاب : كل شيء ممكن . . دعنا أولا نحلل أسباب الحروب ومنها
نستطيع الاجابة على سؤالك . . في الغالب يكون سبب الحرب هو فرض
ارادة سياسية واقتصادية من طرف على طرف آخر . . فخلال صراعنا مع إسرائيل
. . قبل ٤٨ وأثناءها . . كانت مجموعة من الصهيونيين يحاولون عمل
وطن قومي لهم يهربون فيه من اضطهاد دول العالم - كما يقولون -
لهم . . أي فرض ارادة سياسية . . تطور هذا الموقف بعد ذلك عندما عرضت
إسرائيل نفسها على بريطانيا كأداة لحماية مصالحها بمنطقة الشرق الأوسط
وقامين قناة السويس . . ثم على فرنسا . . لضرب ثورة الجزائر عن طريق
كسر شوكة مصر . . وفي ٦٧ كانت الحرب هي نتيج لخطة امريكية هدفها
الانهاء على الروح والخط الثوري المتحرر في المنطقة والذي كان يقوده
عبد الناصر . . في البداية استهلكت القوات المسلحة في اليمن ثم هدت
الاقتصاد القومي بالمقاطعة والحصار . . ثم أكملت على ما تبقى في حرب
٦٧ . . لتفرض ارادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة . . ومن جهة
أخرى فان الاقتصاد المصري والرأسمالية المصرية . . هما المنافسان
الوحيدان والمطلان لتقدم الرأسمالية والصناعة الاسرائيلية
وتغلغلها في أسواق المنطقة . . حرب ٧٣ كانت رفض الاستسلام للواقع
الذي فرضته إسرائيل وامريكا . . وفي جوهره بالطبع فرض ارادة . .
سياسية . . اهداف إسرائيل من الصلح هو التجارة أولا وأخيرا . . وهم
لا يفكرون ذلك . . أي التغلب على الازمة الاقتصادية الاسرائيلية عن طريق
سوق يضم مائتى مليون عربى . . في المنطقة . . ان لم تحقق امريكا
واسرائيل أهدافهما . . فستقوم حرب . . ولكن هل يوجد عاقل واحد
في مصر يستطيع أن يعامر بكل اقتصاد البلد بدخوله معركة أخرى . . .

أنظر يا صديقي قناة السويس .. كل البترول المكتشف في مصر ..
اصلاح الأراضي والزراعة .. السياحة .. المواد الخام .. كلها اليوم
في منطقة ميدان المعركة التقليدية .. من الذي يستطيع أن يدمر اقتصاد
مصر بتعطيله قبل وأثناء وبعد حرب مهما كانت أعدائها أو أسبابها ...
عاد صديقنا الى كتيبته .. اذن فقد بدأت المعركة وتبلت اسرائيل
التحدى بدلا من أن تقبل الضغط عليها وتسحب حدودها من امام سوريا ..
وانقطعت الاخبار .. ترى ما الذي يحدث الان .. الشمس في كبد السماء ..
ولا توجد سحابة واحدة .. والارض لم تتغير .. والبشر يتحركون يبحثون
عن المياه والأكل ...

ومن الراديو يأتي صوت أم كلثوم .. جيش العروبة يا بطل ..
الله معك .. ما اشجعك ما اروعك .. يشعر بأزعاج من كلمات الاغنية
ولحنها ... ما الذي حدث .. أين أغاني ٥٦ .. الشعب بيزحف زى النور
.. الشعب جبال .. الشعب بحور ..

رقد على سريريه يفكر .. ترى كم طائرة هاجمت القاهرة .. وترى
هل زد طيرانا بنفس القوة .. وكم طائرة سقطت لنا .. في صباح اليوم
التالى .. كانت الامور هادئة .. اين الحرب لا شيء الا بعض الاغاني
والتعارات والبيانات وفي صوت اسرائيل كان ليفى اشكول يقول لجنوده
.. معكم السلاح ولديكم القيادة المدربة جيدا .. ولقد تدريبتم واستوعبتم
دوركم وما عليكم الا ان تدافعوا عن انفسكم وتفتصروا لتعيشوا .. ومن
القاهرة كان أحمد سعيد يقول .. كلها دقائق ونصل تل أبيب .. سنسئق
موسى ديان على أقرب شجرة .. افتلوهم .. اذبحوهم .. انه يوم
العروبة .. الجيش الاردنى في المعركة .. الجيش السوري في المعركة ..
الجيش الكويتى في المعركة .. الجيش .. الجيش ..

رئيس الفرع الهندسى يخرج مهرولا ومعه قائد السريه الاولى ليرص
الغاما أمام اللواء ١١٤ (اللواء الثالث في الفرقة) ويعود ثانية ليطلب من
صديقنا الذهاب الى قيادة الجيش لاحضار خطة نصف الطرق من رئيس
مهندسى الجيش العميد « عبد الستار مجاهد » .. فى قيادة الجيش والتي سم
اعداما فى خمس سنوات تحت الأرض لتتحمل انفجار قنبله ذريه فوقها
مباشرة كان العميد عبد الستار يجلس أصغر الوجه جاحظ العينين ..

أمامه قروصتا سجائر كليوباترا والطفائيات ممثلة بأعقاب السجائر ..
وحوله مساعده .. عقداً ومقدمين ورواد

سأل صديقنا : هل أنت قادم من الحسنة .. هل يضربونها الآن
بالطيران .. عندما أجاب صديقنا بالنفى .. رد الآخر : الآن يضربونها ..
انتظر قليلاً .. كان حوله في غرفة العمليات معلق خطط الجيش ملونة
بالاحمر والازرق والاسهم والاشارات تحدد أماكن القوات وموقف العدو ..
وكان صديقنا يتأملها .. عندما دخل الرواد قادمين بأحدث المعلومات ..
لقد اخترقوا الخط الدفاعي الرئيسي وسقطت العريش وبئر الحفن
وأبو عجيلة ورفح والشيخ زويد ..

وذهل صديقنا انها أول معلومات حقيقية يعرفها عن الحرب ..
معنى ذلك ان الاسرائيليين في طريقهم الى مواقع قواتهم في الحسنة اذا
استمر الموقف هكذا فستكون المعركة في اليوم التالي .. أي ٧ يونيو ..

ركز عينيه على الاوراق .. أين هذه القوات وأين الهجمات المضادة
.. لقد كان بناء على ورق .. ومن الورق .. انهار مع أول نسمة هواء
.. وتجمعت كل الخفافيش تصدمه في الظلام .. شريط بدأ بانكرسى دي الارجل
الثلاث .. وخبط المشير على المنضدة بقبضة يده .. واللواء الاحتياطي
المهمل بدون مياه أو حتى عربات .. واللواء الآخر الذي احتل أماكنه خلال
ساعات .. وقائد كتيبته الذي مازال يبحث عن الحفار .. كانت العربة
تتحرك به بعيداً عن قيادة الجيش في اتجاه الحسنة .. وكانت سحابت
الدخان تتصاعد من المواقع القريبة من وحدته .. وهكذا يعمل الاسرائيليون
يكون بالطيران ثم يهجمون بالمدفعات والمشاة بعد ذلك .. وبالتالي
فالمعركة انتهت بهذه السرعة سقطت أبو عجيلة والتي كانوا يسمونها مركز
سيفاء لقد صمدت في ٥٦ عدة أيام رغم أنها لم تكن محصنة بنفس الدرجة
التي عليها الآن .. انه يعرفها جيداً فقد شارك في اقامة هذه التحصينات
في يوم ما .. لقد كان لكل بندقية دشمة خرسانية .. وكاد يشك في صحة
هذه المعلومات .. ولكنها معلومات هيئة العمليات .. على أعلى مستوى ..
آه .. هل انهزم الجيش وشعر بالقشعريرة .. لا يمكن ان لدينا أقوى طيران
في الشرق الاوسط ..

ولاذ صديقنا بالصمت يرقب ما سوف يحدث .. خوفاً من أن ينشر
الدعر والبلبة بين الزملاء .. واختفى عن الاعين في حفرة بعيدة يبكي ..

ويجتزئ الالم ٠٠ حتى أفاق على جحيم نيران الطيران المعادى - كانت الطائرات الاسرائيلية قد ملكت الجو تسقط عليهم مطلقه دفعات متتالية من الرشاشات ٠٠ ومن بعد كان يسمع صوت انفجارات مكتومة وفرقعات متباعدة ٠٠٠

ويسقط بجواره سائق عربته ٠٠ رآه وهو يسقط اصفر وجهه بشدة وجهظت عيناه متسائلة ما الذى حدث !! ٠٠ ثم التوت قدما ٠٠ وترنج لليمين ثم اليسار ودفع يديه للامام ممسكا بالهواء وسقط على وجهه معلنا صوت اصطدامه بالأرض ٠٠ موت أول رجل ٠٠ من وحدة صديقنا ٠٠ كانت المعدات الضخمة المظاهرة ٠٠٠٠ هدفا سهلا للطائرات أغرت الطيارين بأن يلها بوصاصاتهم كأنهم فى تحريب ٠

سقط الطيار منقضا بطائرتة مرة اخرى بعد أن دار دورة كاملة ٠٠ وعاد ليكمل تدمير المعدات ٠٠ اقترب جدا من الأرض ٠٠ كان قادما فى مواجهة صديقنا ينثر الموت حتى أنه رآه ٠٠ كاد يلمسه ٠٠ وجهه كان واضحا من خلال زجاج كابينة تخيل أنه يبتسم متشفيا ٠٠ وجه منتفخ أبيض شديد الاحمرار يدل على ضخامته يخفى عينيه خلف نظارة مستديرة قابضة على وجهه وطاقية جلد قابضة على رأسه وأذنيه وأمطر الموقع بالرصاص ٠٠ كان من الممكن اصطياده ببندقية صيد ٠٠ لا بل بطوبة ولكن ببندقيته رقدت عاقرا بين يديه لسبب لا يدريه ٠٠

وكانما مر هذا الخاطر برؤوس أخرى ترقب ٠٠ ولكنها كانت أكثر فاعلية إذ أنه سمع طلقات بنادق قسامة من الطرف الاخر للموقع ٠٠ طلقات يائسة متباعدة ٠ أخرجت القائد من مكانه يصرخ ٠٠ من الذى ضرب على الطيار ٠٠؟؟ أجاب أحد الجنود - انها طيارة اسرائيلية ٠

رد الاخر - م ٠ أنا عارف ٠٠ عايز تلفت النظر له ٠٠ تثيره ٠٠ سيعود لك ثانيا ٠ هل تستطيع مقاومته ببندقيتك هذه ٠

- رد جندى - انها تسقط الطائرات فى فيتنام ٠

- أجاب القائد بصورة قاطعة - وحياة أبوك بلاش فلسفة ٠٠ فيتنام حاجة وهنا حاجة ثانية مقترشش الا بأوامر ٠

ذهب صديقنا بعد ذلك ليرى الضحايا ٠٠ كان اولهم سائق عربته ٠٠ ولد أذ لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاب ٠ فبرغم تجاوزه العشرين الا أن

جسمه كان ضئيلا أنهكه سوء التغذية والفقر .. كان قادما لتوه من أعماق
الصحراء يحمل معه جهله وسذاجته .. وبيضا طاعته الابوية .. التي
لا تسمح له بأى تصرف ذاتى .. ثم درب على أن يكون سائقا لعربة
قيمتها الاف الجنيهات ...

ولقد كان من الممكن الا يموت لو لم يتذكر فجأة أثناء القصف أنه
تسى خوته في العربة .. وهذا مخالف للأوامر فانطلق من خندقه في اتجاه
العربة وفتح الباب وأخذ الخوذة ليعود بها وهنا تنقض الطائرة وهدفها
بركة الدماء .. وكان له زملاء كثيرون في أطراف المعسكر ومعسكرات أخرى
.. سقطوا .. دون كلمة عطف أو تشجيع .. ماتوا وقد كانت حياتهم ليست
بخير من مماتهم .

جففاً دموعه .. وتماسك ثم همس لنفسه .. قد تكون هذه هي
الحرب .. الا يجوز أن يكون طيراننا مشغولا في ضرب مطارات العدو ..
الا يجوز أن نقوم بهجوم مضاد نستعيد به أرضنا .. وقد يستطيع مع
رجاله أن يقدم عملا .. أى عمل يوقف الهزيمة ..

كان القائد يصيح في التليفون .. يا فنديم الطائرات تلقى شراكا
خداعية .. أرجو تبليغ الوحدات بالأمر يمسه أحد حتى ننسفها .

واستدعى اقدم صف ضابط وأشار له في اتجاه جثه السائق .
لقد وجدنا شركا بجواز الجثة اذهب وانسفه .. يصدر أوامره بعصبية
فلتبتعدوا جميعا ٥٠ مترا على الأقل .. يتكلم ثانية في التليفون الميدانى ..
يا فنديم سننسف الشرك بعد نصف ساعة .. يليها الوحدات حتى لا يحدث
رد فعل غير مطلوب .

وتكونت نصف دائرة بعيدة بالقدر الكافى يرقبون الصف ضابط وهو
يزحف تجاه الشرك بين اعجاب الجنود واشفاق الضباط .. حتى وصل
الى مكان الشرك واقفا .. ثم فجأة وقف متحديا لكل الاوامر .. وأمسك
بالشرك ورفع لاعلى ثم عاد ضاحكا رغم المأساة التى يعيشها وصاح
من بعد .. فلقد كان الشرك خوذة الجندى الميت بعد أن اخترقها الرصاص
فأخرج باطنها وأصبح منظرها غريبا .

وهكذا مر اليوم الثاني للقتال ولم ير صديقنا الا تلك الطائرات
النزقة .. وصوت المنيح الثرثار الذي لا يزال يتكلم عن الخطوات الباقية
المرتقبة والشئق على اقرب شجرة .. قرب نهاية اليوم انشا مقبرة للشهداء
ليدفن فيها الموتى .. وعلى ارتفاع منخفض كانت تطير طائرتان ميج ١٧ ..
هل لهما الجنود والضباط .. وعلق احدهم .. الم اقل لكم لقد صدرت
الأوامر للطيران بالتدخل .. وكان قائد الفرقة يمر سريعاً بعربته وخلفه
عدد آخر من العربات الجيب عائدا من معركة قرب العريش *

ومع غياب شمس ذلك اليوم حضر رئيس الفرع ليبلغ قائد الكتيبة
بأن الفرقة ستسحب ٣ كيلو مترات الى مدينة الحسنة للدفاع عنها ..
أثناء حديثه يعود أحد الضباط من مأمورية توصيل الغام و لخرم ، اصفر
الوجه ويتكلم دون أن يطلب أحد منه .. خرم محروقة الجثث مضروبة
بالنابلم .. ولا أحد هناك كل الناس انسحبت للنظر مرعب .. اكوام اكوام
من الجثث السوداء راقدة فوق بعضها البعض .. عندما سأله قائد الكتيبة
عن أحد الضباط الاحتياط الذين يعاونونه *

اجاب : لقد كانت عربته آخر عربته في القول والظاهر انه خاف وهرب .
رئيس المهندسين يثور هل نحن نلعب ؟ .. يا حضرات لا توجد
أوامر بالانسحاب واذا انسحب أى فرد ففى الاسماعيلية الشرطة العسكرية
ستضربه بالنار فوراً .. ويسأله صديقنا : ولكن كيف سندافع عن الحسنة
ونحن قوات معاونة لا تحارب *

يرد - أوامر : .. والأوامر صادرة من قيادة الجيش *

- من الذى سيحارب نصف كتيبة مهندسين أم سرية الخدمة أم
الشرطة العسكرية *

يرد - سيدعمنا الفوج المدرع *

فكر قليلا .. وقال لنفسه لا بد وأن القيادة تفكر أفضل .. أن الاوان
لعمل ما .. ثم تكلم كما لو كان يكمل حديثنا سأشترك في المفزة يا فندم *
ابتسم رئيس المهندسين .. ثم لف ساعده حول كتفيه فلقد كان يعرفه
منذ أن درس له في مدرسة المهندسين شابا لا يقبل إلا المنطق ويناقش كثيراً
ولكنه ملتزم الى أقصى درجة .. ويؤدى واجبه بفهم *

قال له : أنا أعرف أنك لن تهذا إلا اذا فهمت . . خطة سيادة الفريق محسن هو أن تتحول الهزيمة الى نصر بتكوين نقط قوية قابلة للحصار تدافع عن مناطق محدودة ويترك الجيش الاسرائيلي يدخل المنطقة ويفرد قواته في مسافات واسعة . . وبذلك يسهل على الفرقة المدرعة أن تفك الحصار وتحول الهزيمة الى نصر .

- رد صديقنا - لكن يافندم دي المعريش والشيخ زويد وابو عجيله .
- اجاب - أيوه فاهم . . فاهم . . ووصلوا الى الكيلو ١٦١ قرب المكان الذي كنا فيه لكن اللواء ١١٤ المدرع أرجعهم . . لا تكن لحوحا .

أسرع الجنود في تحميل العربات ولكن العربات لم تكن تكفي فلقب سحب بعضها لتحميل الالغام وتوصيلها للواءات المعاونة لذلك فلقد أصدر القائد أوامره بترك ما يزيد حتى ولو كانت أجهزة الملاصكي . . . ركب صديقنا بجوار قائد الكتيبة في عربته وترك الراديو الخاص به بجوار السائق وانطلقا لتنظيم تحرك قوة الانسحاب .

أحد الجنود الاحتياط تكسر ساقه لقد أصطدم جرار بالعربة التي يركبها . زملاؤه يحاولون اسعافه وهو يبكي « ياخيبتكم ياولادي من بعدى ،

قوات أخرى تنسحب من القسيمة على الطريق متجهة إلى ثمادة . . الجنود يبتسمون لماذا ؟؟ . . سيدافعون عن خط الدفاع الثاني معنى هذا أن خط الدفاع الأول قد سقط .

همسات بين قائد الكتيبة ورئيس العمليات . . لا تعنى أحدا . .

يصلون الى المكان الجديد المحدد لهم . . توزع العربات . . تتخندق توزع الحراسة . . ويجد صديقنا نفسه منفردا بعد طول تعب حوالى الثانيه صباحا يحاول أن يجمع كل المعلومات التي استطاع أن يحصل عليها وكل ملاحظاته ويربطها في إطار منطقي . . أذن . . فان هناك هزيمة . . ولكنها هزيمة تكتيكية . . ان دور الطيران والمدرمات لم يبدأ حتى الان . . وبالتالي فان القوات تنسحب لتتمسك بأرض أخرى ينطلق منها قوات الهجوم المضاد . . هكذا حدث في روسيا . . لقد وصل الالمان الى مشارف موسكو . . وحاصروها . . وفك الحصار وانطلق الجيش حتى برلين .

وبالتالى فعليه الا يهلع من الظواهر .. ويتمسك بالارض مع جنوده .. حتى
يفك الحصار .. الحصار .. معنى ذلك ان الموقف الحاكم الان هو المياه ..
وجرى في اتجاه فناطيس المياه .. احضِرْ أهم صف ضابط وقال له ..
أنت المسئول عن هذه الفناطيس .. لا تصرف منها الا بتعليمات منى شخصيا ..
كل المطلوب هو الثقة فى القيادة .. لا بد وانهم تعلموا من حرب ٤٨ ،
٥٦ .. بالاضافة للخبراء الروس .. ان باكر هو يوم المواجهة مع العدو ..
وتذكر أنه لم ينم منذ مدة .. وقرر أن يجبر نفسه على النوم ولو لساعات
قليلة .. حتى يكون قادرا على مواجهة العدو .. كانت أضواء طلقات أضواء
ارض المعركة تلمع من بعد .. لا بد وأن هناك معركة على بعد عشرات الكيلو
مترات فقط ..

وأجبر صديقنا نفسه على النوم داخل كابينة العرببة .. واستبقيظ
على أصوات جنوده يضربون شبابيك كابينة العرببة بقبضاتهم .. لقد
ابتدأ الاله جوريس يظهر فى طرف السماء ناشرا حوله دماء أفاعى الشر التى
تقف على بوابة العالم الاخر .. منتصرا على الظلام .. كان الجنود
ينكلمون فى صوت واحد .. دبابات العدو يافندم وقفز من مكانه مسرعا ..
صعد الى أعلى التبة .. ثم ضحك .. لا هذه دبابات الفوج المدرع التى
ستدافع معنا عن المدينة ..

وجاء حوره للرد على تساؤلات الجنود .. مثلما رد رئيس المهندسين عليه

- لكن المعركة دائرة طول الليل يافندم ..

- اثبتوا .. كونوا رجالا .. واستدار يبحث عن الراديو ..

وتذكر أنه نسيه فى عرببة قائد الكتيبة ..

سأل : أين القائد

: غير موجود نحن نبحث عنه .. كذلك رئيس العمليات اختفى

.. تجمع عدد من الضباط يتساءلون ..

لعلهما يأخذان أوامر جديدة .. لعلهما فى رئاسة الفرقة .. وتفرفر
الضباط والصف ضابط يبحثون عن قيادة الكتيبة .. عن القائد ورئيس
العمليات ثم رجعوا بأخبار غريبة .. لا وجود لقيادة الفرقة .. لا وجود
للوحدات الاخرى .. القائد ورئيس العمليات هربا ..

ثم تجمعت اشتات من الكتائب والسرايا الاخرى التي لم تجد رئاستها حولهم ... ودار حوار بين الجميع لا فارق بين ضابط او صف ضابط او جندي ...

- فلنمش نحن أيضا •
- لنا دور يا حضرات •
- القيادة انسحبت •
- ولكن الجنود موجودون •
- العدو على بعد خطوات •
- نقاوم •

• نقاوم في الخلف مع الفسق الثاني •

• • • وقطع الحوار هجوم الدبابات السوداء •

وزع الجنود من أعلى التباب • • اليهود يافندم • • دبابات اليهود • • وفي هذه المرة عبرت الدبابات عن نفسها بإطلاق النيران • وجرى الجميع تجاه العربات • • بعضها محمل بالالغام • • الضباط يتجمعون في كابينه عربية • • خمس ضباط • • الجنود يقفزون الى ظهور العربات • • العربات تجرى بسرعة • • طلقات الدبابات تطاردهم • • العربات تجرى أسرع • • توقفت الطلقات • • أصبحوا بعيدا عن مداها • • وفوجيء صدقنا فجأة بأنه قد هرب • • وشعر بالعار • • كيف لم يؤد واجبه • • أى واجب خلال هذه الفوضى • • لم يكن يتصور في يوم أن يهرب وبهذه الصورة وبدون أن ينذر الاخرين • • أصبحت قضية حياته أهم • • وتساءل كيف ساعيش بعد الان • • وكيف سأواجه الاخرين • • حتى حياته أصبح مشكوك فيها • • ان العربة التي يركبونها محمله بالالغام • • عندما صرح بذلك تنبه زملاؤه فقال أحدهم نرميها علق آخر • • لو ضربتها طائرة ستدمرنا جميعا

قال هو • • نعمرها ونرميها تعطل القوات القادمة خلفنا •

قال آخر • • وما ادراك قد تتعثر فيها قوائنا نحن • •

واسـتقر رأيهم على أن يقذفوا بالالغام كما هي • • فأصـدروا تعليماتهم للجنود المتعلقين بظهر العربة يقذفوا •

وبعد أن أطمأنوا على تأمين حياتهم فهم الان يعيدون الى حد ما • • وبعد أن تخلصوا من الالغام • • ابتدا السؤال الخالد يطرح نفسه عليهم

وبعد ... ماذا سنفعل .. لاول مرة عليهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم بعد ان انهارت القيادة هل يستكملون الحرب !! فيلجأون الى الجبل ومن عناك يشكلون مقاومة ما ... هل يستمرون في الحركة بالعربة حتى يصلوا الى مكان آمن .. هل يتحركون في الجبل .. وأستبعدوا الحل الاول .. ثم الحل الثانى لخطورة الطيران على العربات المتحركة .. وقرروا أن يتحركوا في الجبل ولكن بعد أن تطوع أحدهم يهمل العربة والجراكن بالمياه والحصول على طعام من العربات المضروبة على الطريق والحقاق بهم .

نزلوا جميعا من العربة الا واحدا منهم ومعه جنديان .. الذى تحرك الى الطريق ثم أختفى عن نظرهم والى الابد ...

وأصبح عليهم الان السير .. الحركة أو الموت .. ولا يهم الماء .. ولا يهم الطعام .. ولا يهم أى شىء سوى الحركة .. وكلما توغلوا في حوض الجبل .. كلما حافظوا على حياتهم أكثر .

سألت صديقنا : هل تتصور ان العرب سوف يعودون لمصر أو أن مصر سوف تعود للعرب ...

اجاب : الامور لا تؤخذ هكذا ببساطة يا صديقى .. انا لست منجما ولا اطمح في أن أكون منجما .. أنما فلنستقرى الاحداث .. ما الذى تحتاجه مصر من العرب وما الذى يحتاجونه منها .. وعلى اساسه سيتخذ ما الذى سوف يحدث .. العرب ومصر .. يحتاجون لان يصبحوا قوى اقتصادية وعسكرية وثقافية وحضارية .. في مواجهة القوى المختلفة في العالم . والذى أصبحت فيه الشرائخ لا تستطيع العيش .. العالم يتجه الى الوحدة .. لا التجزئة .. وبدون ذلك ستحاول العراق عمل القنبلة الذرية وليبيا شراها والسعودية اتقاءها .. وهكذا .. ومصر تفصل الوطن العربى الى نصفين شرقى وغربى .. وهى القلب وبحكم كثافتها السكانية وتجاربتها الحضارية هى الثقل .. ولكن عليها أن تعدل في علاقتها بأخوتها .. فهى لم تعد الواحد والباقى اصفار على الشمال .. كما كان يقال .. بل هى تزداد بتماسك قوى أخرى معها وعلى الاخرين انهاء شكل البطولة الفردية والمزعماء الاواحد وتحويل بلادهم أن حكومات عصرية .. قادرة على مواكبة العصر ... وهناك أمل .. ولكن بهدوء .. ودون تعجل .

شمس يونيو ... وصعود الجبل ... وارهاق عشرين يوما .. ونقص المياه والطعام .. عذاب .

وهروب الجندي من ميدان القتال ومن الدور الذي أعد له نفسه
سنين طويلة وخيبة أمله في نفسه .. وفي كتيبته .. وفي جيشه وقومه ..
عذاب .. وفقدان الطريق .. والامل .. والهدف .. والماضي والحاضر
والمستقبل عذاب .. ولكن أكثر درجات العذاب هو الرعب من قوى غير
منظورة .. وغير متوقعة .. وغير مستعد لها .. أكثر درجات العذاب
لان الانسان يشعر في هذه اللحظات بمدى ضلّاته .. لان الانسان يعود
الى عصور الجهل فيما قبل التاريخ عندما كانت تحيطه الغوامض من كل
اتجاه وتحاصره الاعداء في كل خطواته .. وهكذا كان أصدقاؤنا .. مجموعة
من الضباط والصف ضباط والجنود بعضهم يعرف البعض .. والبعض
الآخر رمت به الاقدار قبل المعركة بأيام جندي من جنود الاحتياط والبعض
الآخر وجد الامن في أن يتحرك مع جمع أي جمع .. حتى ولو لم يكن يعرفهم ..
الان انتهت كل الفوارق .. الا قوة الاحتمال .. من يستطع المثابرة
والحركة للوصول للهدف سيبقى حتى ولو كان جندي احتياط علاقتة بالجيش
بدأت منذ أسابيع ومن يسقط .. فسيسقط للأبد .. حتى ولو كان أقدم
الضباط جميعا .. وتفجرت الطاقات .. تفجرت الطاقات المختزنة أمام
الرغبة في الحياة التي لا يقف أمامها أي عائق

وتحرك الرجال رغم فقد جميع الاحتمالات النظرية للنجاة .. ولكن
الامل دفعهم لبذل المزيد من الجهد .. والعرق .. والتحمل ..

يقول صديقنا وهو صادق في ذلك : لم أكن أتصور أبدا أي احتمال
عدا أنني سوف أعود .. الى الوطن .. الى الارض .. الى المنزل ..
الى الاهل .. الى اراحة .. لم أتصور أبدا أنني سأموت أو أأسر .. رغم
أن كل الظروف كانت ضدي واليهود ضدي .. وبني وطني ضدي وأنا نفسي
.. ضد نفسي .. الا أن خيال الفناء لم يراودني أبدا طول رحلة السير ..

ونفذت الطاقة .. ونفذت المياه .. وابتدأت الخيالات المرعبة تغزو
بعض الافراد .. وظهر تأثير الضعف الناتج من قلة الماء والطعام وحرارة
الشمس على بعض الافراد .. وتخيل البعض أنه لا نهاية لهذا العذاب
وأنهم سوف يموتون .. ولكن لا وجود للثبات في الحياة وانما هي في حركة
مستمرة متجددة متغيرة .. كل لحظة تختلف عن التي قبلها .. حتى في جبل
قفر .. فعندما قارب الجميع على التوقف نتيجة لقلة المياه .. وظهرت بعض
الاصوات التي ادانتهم لصعودهم الجبل .. وجدوا من يجري خلفهم وينادي

يا مصري .. يا مصري .. وأذا هم مجموعة من عرب سيناء الهاربين
الى الجبل خوفا من رصاصات الطرفين .. ومعهم ماء ..

لحظات خاف الأخوة بعضهم من بعض .. وقفزت الى مخيلتهم
الاساطير التي نسجت عن استغلال عرب سيناء للموقف .. وعن تسليمهم
المصريين للاسرائيليين .. ولكن العطش والخوف من الموت شجعهم على
حوارهم .. ولم يندموا .. فلقد شربوا جميعا حتى الارتواء وملأوا الاواني
التي معهم .. ودلوهم على الطريق من خلال مسارب الجبل .. وأهدوهم
ما هو اغلى من ذلك جميعا .. اهدوهم النصيحة .. قالوا لهم لماذا أنتم
ملتاعون هكذا .. الستم رجالا .. سيروا في الجبل لا تنزلوا للطرق الرئيسية
.. وفي الجبل ستجدون الماء والماعز اذبحوا واحدة أو اثنتين .. أشووها
.. وكلوها .. يوم .. اثنين .. وستصلون ان شاء الله فقط لا تنروا
للطرق الرئيسية .. لقد كانوا رجالا حقيقيين .. صليهم الجبل والحياة
.. لم تدلهم المدينة وتلفهم وتحولهم لحيوانات مدللة صغيرة تموت ان
لم تطعمها ..

بمرور الوقت اكتشف الجمع أنه في حاجة الى قيادة حقيقية تحافظ
على قطرات الماء التي يحملونها .. ويعرف الاتجاه والمنطقه ويحدد خط
السير .. ويتحمل المسؤولية .. الان لا داعي للرتب انما مطلوب قائد حاسم
.. غير متردد .. يفهم الموقف .. ويستطيع أن يقود .. وتكون تلقائيا
طاقم قيادة .. فرض نفسه لامكانياته وأطاعه الاخرون رغم أن منهم من
هو أقدم رتبة .. وحدد الطاقم الطريق .. لو تحركنا في اتجاه الغرب فسنصل
باكر الى طريق البحيرات نخترقه بسرعة .. ونصعد للجبل ثانية بعد
باكر لوسرنا بنفس المعدل سنكون على ضفاف القتال ..

وحمل اخرون زمازم المياه بحيث يتم توزيعها في حضور الجميع
وبنفس القدر .. وفي وقفات خاصة ..

واستطاع الجمع بذلك أن يصمد ويتحرك في وسط السكون ..
لا .. لا .. ولا رصاص .. ولا مدرعات .. ولا دماء .. ولا صوت
.. ولا حتى أحاديث .. اصرار على الحركة فقط .. كان كل شبر يقطعه
الجمع .. لا يستطيع العودة اليه .. فلقد كان أسفل الجبل وعلى طريق
.. يتحرك قول من المدرعات الاسرائيلية وكأنها في طابور استعراض

يسير أمام المنصة الرئيسية في ثقة شديدة .. اعداد لا نهائية من المدرعات المتجاورة يحرم عليهم العودة .. أرض مصر .. يحتلها الاسرائيليون .. ويمنعون المصريين من الحركة .. آه .. آه .. وانتهى الماء المحافظ عليه وابتدأت المعدات تطالب بالطعام .. وفقد الرجال طاقتهم وأبتدأ الاله آمون يترك مكانه في مملكة النهار ليبدف الى مملكة الظلمات بعد أن كبر وشاخ خلال رحلته عبر السماء .. وقبل أن يغيب أهدي الجمع قطيعا من الماعز .. ويرعى في سلام .. وجرى كل اثنين خلف معزة .. كانت الماعز تحاورهم وتجري منهم وكلما تصوروا أنهم قابضون عليها اقلدت ..

وأمسك صديقنا وآخر باحدى الماعز ووضع فمه على ضرعها .. ياللذه .. سرسوب من اللبن الدافئ يصطدم بحلقه الجاف فيرطبه ويرويه .. الماعز مستسلمة .. بل تنظر اليهما بحنان شديد ..

يقول صديقنا « كانت تنظر لى بحنان أم وحببية .. وانهلث عليها أقبلها بين العينين .. يالأنسانية هذه المعزة .. يالأمومتها تركتنا نشرب لبنها في محبة وسلام .. لقد حطمت حياتى بعد ذلك تلك المعزة .. فأنا مازلت أبحث عن نظرات عينيها بين النساء حتى الان وأفتقدتها .. لن انساعا ما حييت .. »

كان آمون قد أنهى وظيفته في هذا اليوم وهذه الكدر بعد ما شاهده على أرض الكنانة .. وقرر دخول مملكة الظلمات وكان أصدقاؤنا يستغيثون به .. أن أبق قليلا ولكنه لم يكن في حنان الماعز .. لقد كان قاسيا للغاية وتركهم في ظلام .. وأصبح الطريق غامضا .. لا يرون شيئا الا جيالا تكسوها المهابة .. والسواد .. وتجمع داخلها المتناقضات .. السلام والهدوء .. والغموض والرعلا .. وابتدأ الهواء يفقد حرارته .. ويلسعهم فلا تحميهم ملابسهم الصيفية .. وقفز الدفء ليصبح هو حاجتهم الاساسية .. ولكن كيف !! وقد فقدوا كل قرث البشرية العلمى في بعث الدفء .. ان الانسان في عصرنا بدون أدوات حضارية ضعيف جدا .. ترى كيف عاش أجدادنا في العصور المتوحشة في هذا البرد عراة .. وتحرك العقل البشرى يحميهم ويخود عنهم كما زاد من قبل عن اجدادهم فمنعهم من الانقراض .. عليكم ان تتكيفوا مع الوضع الجديد .. وهكذا ابتكروا طريقة للدفء بأن يحتضن بعضهم بعضا فيبعث كل منهم الدفء في الاخرين ويتمتع هو الآخر بدفء مقابل .. وناموا فوق الجبل أجسادا ملتصقة لا فارق بين

جسد ضابط أو جندي أو صف ضابط فكلمها بإعثة المدفء .. وفي وحدتها
نجاه للجميع .

وظهر حورس في الامق متجدد المنتساط فأيقظ النيام باعنا الامل
في نفوسهم مستكشفا ما حدث .. ليحكى القصة التي لا يزال يراعا منذ بدء
التاريخ .. ظلم الانسان لاخيه الانسان .. تجبر القوى .. وحيرة الضعيف .

ومع الضوء .. جاء السؤال .. ما العمل ؟؟ .. هل سيصلون .
هل ضلوا الطريق .. لابد وأن يكون قريبا من هنا .. وجلس البعض
في يأس مكانه .. وتحرك آخرون .

وتساءل صديقنا كيف يمكنه المحافظة على قسدرته وحركته .. لابد
وأن يأكل .. وأدار بصره حوله فلم يجد سينا .. الا بعض القواقع تركت
في مجرى سيل .. وفكر قليلا لابد وإنها تحوى بعض البروتين .. فما
المانع من أكلها .. شكلها كريه .. ومع ذلك مد يده وأخذ يكسر بعض
القواقع يمتص ما بداخلها .. ليس طعمها كريها .. وابتدأوا يتسابقون
بعد ذلك في العثور عليها حتى تحدث المعجزة . في بعض الاحيان تكون المعجزة
أن تكسب شهادة استثمار .. أو أن يموت لك قريب في الارجنطين أو أن
تكون الفتاة التي تحبها لم ترضع عليك .. هكذا علمتنا السينما المصرية
والجريدة .. والقصة .. ولكن أن تكون المعجزة أثرا لسير عربة .. فهذا
شيء جديد ..

لقد وجد الجمع .. أثارا حديثة لعربة .. معنى هذا أنهم بتتبعهم
له سيصلون الى مكان مأهول أو طريق يحدد لهم حركتهم .

وساروا على هداه .. حتى وصلوا الى عدة عربات مضروبة بالصواريخ
هل بهاماء . ولم يجدوا الا قليلا من المياه الصدئة في الرديرات تخطفوها
سريعا ..

وتتبع آخرون مسارات أخرى .. ثم عادوا يصيحون الطريق .. الطريق ..
سألت صديقى : الا زلت تحلم بأن نكون قوة كبرى باتحادنا ..
الم يكفنا ما حدث لنا !!

أجاب وما الذى حدث لنا .. اربعون عاما من المعاناة .. مائة عام ..
أن عمر الشعوب يا صديقى لا يحسب بالاعوام القليلة هذه .. ولا بد أن نحلم
واقدامنا على أرض الواقع الصلبة لنظوره ونبنيه على أساسات قوية تحتل
بناء شامخا .. ان الاجيال القادمة تطالبنا بما لم يحققه لنا الاباء وعلينا
أن نزرع شجرة الزيتون التى لن يأكل ثمارها الا الاحفاد ..

اندفعوا فى اتجاه الطريق .. لقد كان طريق البحيرات فعلا .. بالتالى
لم يضلوا كثيرا .. يصبح الباقي للوصول للقنال حوالى سنتين كيلومترا
أى يمكنهم الوصول خلال يومين .. وتجدد الامل مع صباح أخيرين الماء
.. الماء .. لقد كان هناك عربات محملة بفضاطيس وجراكن ممثلة بالماء
ومعطلة على الطريق .. شربوا حتى ارتقوا .. وحملوا كل ما استطاعوا
حمله من أوعية ممثلة .. واستعدوا للحركة .. واختلفوا .. جزء منهم
رأى السير بمحاذاة الطريق .. وجزء آخر رأى اختراق الوادى وجزء قال
فلنصعد ثانية الى الجبل .. كان الرعب من الجبل أقوى من الرعب من طائرات
العدو وقولاته .. خاصة أن ذلك المذبح الثرثار كان لا يزال يتلکم
عن القتل والخنق والضرب .. وأن القوات المصرية قد حصرت القوات
الاسرائيلية على الطريق الاوسط .. وهم على الطريق الجنوبى .. هم أذن
فى أمان .. المشكلة فقط مشكلة وقت وانتصر الرأى الذى يقول أن يخترقوا
الوادى فهو حل متوسط بعيدا عن مغامرة الجبل .. وبعيدا عن اغراء الطريق
للطيران المعادى .. وكما تضع بلورة سكر صغيرة فى محلول مركز فتنجم
حولها بلورات أخرى وتكبر كذلك حدث لهم .. تجمع حولهم أعداد كبيرة
من الجنود والضباط الشارين فى الجبل .. وزاد عددهم حتى قارب المائة ..

حاولوا التفرق لمجموعات صغيرة .. ولكن كل المحاولات باءت بالفشل
أمام غريزة القطيع .. وتنبه صديقنا الى عامل جديد استجد .. نظرات
كراهية اطلت من أعين بعض الجنود الجدد للضباط وكأنهم يحملونهم
مستولية ما حدث لهم .. وتوقع أى تصرف خال من الحكمة .. كان صديقنا
يحمل مبلغا من المال حوالى مائتى جنيها هى خصيلة بضائع بيعت من
كانتين الوحدة .. ورغم أن النقود لا قيمة لها فى مثل هذه المواقف .. ولا يمكن
استخدامها الا أن الامل فى شراء مفاجيء قد يدفع أحدهم ومن خلال هذه

المفوضى لسلبها ولو على جثة صديقنا .. فأخفى النقود بين ملابسه
الداخلية وجسده ...

كان الجمع يتحرك يحدوه الامل في النجاة ويغذيه بدلا من الطعام ..
بعضهم يحلم والبعض الآخر يسخط والبعض يتحامل على نفسه حتى سمعوا
صوت محركات طائرة التفتوا جميعا لها .. كانت طائرة اسرائيلية ذات
محركات تسير بمنتهى الامان تستكشف المنطقة . كانت نجمة داود
واضحة عليها ..

زق أحدهم ارقدوا جميعا .. كان الامل الا تراهم . ولكنها استعرات
لتعود ثانيا فوقهم .. ليرقدوا .. وهكذا حدث حوار غريب بينهم وبين
طائرة الاستطلاع .. كلما أعطتهم الطائره مؤخرتها ساروا .. وكلما عادت
رقدوا على الارض .. ولكن بعض الجنود لم يشعروا بالمسئولية . خاصة
بعدها فقدوا احترامهم لقادتهم فكانوا يتحركون بغض النظر عن مكان الطائرة
.. وابتدا يدور بينهم حوار .. ترى هل لا حظتهم .. هل سترمي جنود
مظلات ؟؟ هل هي طائرة استطلاع ... !! هل هي ناقلة جنود ! لماذا تتحرك
بأمان هكذا رغم بيانات الاذاعة بأن الطريق الجنوبي مؤمن . وقطع حديثهم
عقورهم على عربة زيل معطلة في وسط الوادي .. عندما اداروها وجدوها
سليمة ... ووجدوا بها بعض الطعام علب اكل محفوظ .. كانوا يأكلون
ويحلمون حول العربة ..

بعضهم كان رايه أن يركبوا العربة ويتحركوا بها في اتجاه القنال .
باقى حوالي أربعين كيلو مترا تستغرق ساعة .. في نهاية اليوم يصبحون
في الاسماعيلية ..

البعض الآخر كان يرى أن القوات الاسرائيلية بعيدة ولا خطر الا من
الطيران فلينتظروا حتى غروب الشمس ويتحركوا بالعربة . ونصحهم
أحدهم بالابتعاد عن العربة كي لا يلفتوا النظر اليهم .. وكان صديقنا
قد اطمأن .. بعد ساعات سيصل الى البر الغربي .. سيرسل لاهله تلغرافا
من كلمتين « لازلت أعيش » وبعدها سيذهب لرؤيتهم .. سيصل .. سيصل
.. يا للمغامرة .. رائعة خصوصا لو انتهت بسلام . كان يعجب كيف

أسنطاعوا أن ينجوا من الموت .. ينجوا من الموت وصدمة هذه الفكرة
والجيش .. والحرب .. والهدف .. والقضاء على إسرائيل والدفاع عن
العروبة .. ماذا حدث .. !! كان يريد أن يأكل .. أن ينام .. ترى ما سبب
الهزيمة؟؟ هل أصبحت هزيمة؟ من ادراه فهو لا يرى الا جزءا ضئيلا
داميا من الصورة .. وشعر بالخطر فأسترسل في أحلامه .. كان يريد أن
يستحم ... أن يحلق ...

وفجأة وبمنظرة للأفق البعيد تبددت كل الاحلام .. لقد ظهرت طائرة
حربية تطير على ارتفاع منخفض .. وخلفها أشباح سوداء تتحرك على
الارض ..

سألته : وهل ستتركنا الدول الكبرى ننمو ونناطحها ..
الآن تطالبنا بالثمن ..

رد : هي دائما تطالبنا بالثمن وهي دائما لا تتركنا ننمو ولكن هل
تتصور أن الحياة مفروشة بالزهور دائما .. وهل كانت الدول الكبرى منذ
الازل دولا كبرى .. !!

الساعة حوالي السادسة مساء ٨ يونيو والشمس تميل للمغرب وأصدقاؤنا
مجموعة من الضباط والجنود المنسحبين عبر سيناء في طريقهم الى مصر ..
حوالي المائة رجل على يمينهم جبل لا يعرفون ماذا وراءه .. وعلى يسارهم
واد رملي فسيح جاءوا من خلاله .. وخلفهم يمتد الوادي في اتجاه مجهول
قادم منه أشباح مكدرات سوداء تتقدمها طائرة تطير على ارتفاع منخفض
.. وعلى بعد عشرات الامتار منهم عربة زيل معطلة ولكنها أملمهم في أن
يتحركوا بها الى القنال .. وبين الكودي الحشيشية البرية المنخفضة
يرقدون في انتظار الظلام - اللحظات تمر ببطء كأنها دهور وهم يكتفون
أنفاسهم في انتظار القادمين .. ترى هل هم جيشهم جاء متصورا أنهم مجاميع
إسرائيلية هابطة في الوادي !! أم ترى هم إسرائيليون قادمون للتخلص منهم

ولاول مرة يكتشف صديقنا أنه من الممكن أن يموت فان الأشباح
القادمة ستطلق عليهم النار حتى يتعرفوا عليهم .. وعلى هذا قد يقتل
بعضنا بعضا .. الموت .. الموت لأول مرة .. وفجأة صاح ..

- اليهود .. دبابات اسرائيلية ..

- لا .. انها دباباتنا ..

- انها .. لليهود ... وأنهت المناقشة .. اصوات طلقات رشاشات ومدافع دبابات .. ومرت عن يمينهم ويسارهم دبابتان تليهما عربتان مدرعتان .. وارتفعت الطائرة الى أعلى .. لتدور دورة كاملة في السماء .. فلقد أدت دورها .. وتصاعد من الجمع المختفى بين كدى الحشائش التصبرة أصوات عديدة ...

- نحن عرب ... احنا مسلمين ..

- اسكت ... دول يهود ..

- يا حبيبتي ... يا بنتى مين حيربيكى بعدى ..

- متنا خلاص ... أشهد أن لا الله الا الله ...

- سلم يا مخمود ..

- ارفع المنديل ..

- مظلومين والله مظلومين ..

- سلم يارب .. سلم يارب .. سلم ..

- أحدهم يجرى نحو العربة في محاولة يائسة للهرب بها ..

- ابعده عن العربة .. يعقبها طلقة مباشرة تصيب العربة فتحولها الى كتلة نار ...

طلقات الرصاص ترسمهم .. أصوات جنازير العربات المدرعة قريبة وملاحقة كأنها تسرع مقلهفة لتدوس على الاجساد الملتصقة بالارض ...

يقول صديقنا « كنت أحاول ان اغوص في الارض كي تحمىنى .. ولكنها كانت تلفظنى فوقها كأنها أم مجنونة قاسية قذفت بأبنها على شريط للسكة الحديد وهى واقفة تضحك لترى هل سيمر القطار القادم فوق ابنها أم على الشريط المقابل ... »

تجاوزتهم العربات والتفت امامهم مكونة نصف دائرة اطلقوا عليهم دفعات مقاتلية من الطلقات .. ثم قفز الجنود الاسرائيليون من العربات

ينادون بعربية ركيكة « سلم يا مصري .. قومي .. مفيش حد حنضريه .. »
في الوقت الذي يصبح فيه الانسان وجها لوجه امام الموت يفتابه شعور غريب
عادي .. الحقيقة مجردة من جميع الاخفاءات التي يحاول أن يخفيها بها
في الظروف الطبيعية .. ويتصرف كل منا ولاول مرة على سجيته وتأخذ
الاشياء حجمها .. الطموح .. الرغبة .. الامتلاك .. الفخر .. حتى الحياة
نفسها .. وهكذا تجرد اصداؤنا جميعا واصبحوا عرايا امام انفسهم وامام
الاخرين وتحول رجال منهم الى اطفال ينههون وتحول بشر شامخون
الى خرق مهلهلة .. وتحول بعض الصامتين الى جبال صلدة شامخة ..

كان احدهم يبكي اطفاله الذين سوف يقتيمون .

وأخر يستجدي عطف أسريه باطلاق مجموعة من الشتائم في كل من
يحلو لهم سماع شتائمه فيهم .

وأخر لم يبق له الا تراثه الفكري المتمثل في الدين فأخذ يقرأ سوراً
من القرآن ويصلى تائباً عن ذنوبه ..

ورابع أخرج صورة زوجته وأخذ يكلمها ويقبلها .. أحضرت لك الشفة .
والسيارة .. وكل ما طلبت وذهبت أنا .. معاشي سيجعلك ..

وخامس خلع رتبه العسكرية وانهمك في حفر حفرة ليدفنها فيها وبسرعة
خلع سترة لكي يخلع الفانلة والكلسون فاليهود يعرفون الضباط من
ملابسهم الداخلية .

ودار في نفس صديقنا سؤال عجيب لا يدري كيف قفز الى قشرة شعوره .
ماذا فعل بملابسه المكسرة في دولابه وبالأجهزة العصرية التي في منزله ..
ومغامراته العاطفية المتعددة .. وقراءاته .. وتعلمه عشرات السنين ..
وسهر الليالي في الرسم والتصميم حتى حصوله على البكالوريوس ..
ودموع الفراق .. وساعات الانتظار .. وصراعه وعنفه .. ثم تنهد وقال ..
« مسكينه يا أمي ترى كيف تستقبلين خبر موت ابنك » .. كل الاشياء
أصبح لا قيمة لها الان وكل الساعات التي قضاهما هباء .. وكل الليالي
تبخرت .. ولن يبقى الا بعض الكتابات التي قد يهتم بها انسان ما ..

آه لو كان له عمرٍ فسيهبه ليقترِك اثرا في الحياة .. سيبغير حياته
بالكامل حتى ...

« سلم يا مصرى .. قومي مفيش حد خضربه .. احنا مش
متوحشين .. قومي ، وقام صديقتنا مع من قاموا .. الان هو امام
الاميرائيليين وجها لوجه .. ها هي ذى اللحظة .. ولكن في موقف مخزى
يستجدى حياته في نظرات الاعداء .. ها هي ذى اللحظة .. ولكن
يالهافتها .. تشجع يا فتى انه القدر الذى كتبه عليك فوو الكسابات
الحمراء ... تشجع فان مت فلتمت شجاعا .. تشجع لو ضعفت فستندم
طول عمرك .. تشجع فلن يجدى انهيارك شيئا الا لذة عدوك »

سألت صديقتنا : هل أنت رياض عما حدث حتى الان !!

أجاب : لقد قمنا بأقصى ما نستطيع ... ان الحرب عمل لا انساني
مرعب .. التدمير .. والقتل .. والتشوهات البدنية والنفسية .. شيء
لا يحتمل .. واذا كان من الممكن أن تسترد حقوقك دون تفريط بالسلم
فبالتأكيد هو أفضل من الحرب ...

سألت : هل لتجربتك الشخصية دخل في وجهة نظرك هذه !!

أجاب : بالتأكيد لا يعرف الوجد الا من يكابده ... ولا الصبابة
الامن يعانيتها ...

الفصل الثالث

الاسر

عندما عاد صديقنا من الاسر كان قد استقر في روعه من خلال المعاناة الطويلة بأن الهزيمة التي تمت كانت هزيمة مجتمع .. وأنه لابد من حدوث تغييرات أساسية في هذا المجتمع لمواجهة الهزيمة .. وأنها كافية جدا لتجعل كل القوى تتكاتف وتفيق من غيبوبتها .. كان يقول دائما « لقد كنا نعيش ونحن نتخيل أننا نستند الى حائط صلب ونقف على أرضية متماسكة .. وكنا نرمى بكل ثقلنا على القيادة .. متصورين أنها تصنع المعجزات .. هكذا علمونا .. لذلك أخذنا موقف المتفرج وفي أفضل الاحيان المتعاطف الساذج ولم نتحمل ابدا مسؤولية اتخاذ قرار استنادا على أن القيادة أفضل وتعرف صالحنا أكثر .. وقرارها سيكون الاصبوب وتغاضينا عن أشياء كثيرة وسلبيات حادة تراكمت ونخرت في البناء حتى أصبح بناء من قش طار مع أول صدمة »

ولم يستطع ما حدث أن يمحو حماسه وثقته بالثورة .. بل كان يتخيل أنه انحراف أو خطأ حدث ويمكن تعديله .. بتكاتف كل القوى .. ولكن صدمته كانت كبيرة ... عندما عاد فوجد أن المصريين هربوا من مواجهة .. جزء منهم هرب عن طريق الامراض الهستيرية .. أي تحول مرض نفسي الى جسدي .. فمرضوا بالضغط والسكر و امراض القلب والمعدة .. وجزء آخر هرب بالهجرة .. وجزء هرب بالتجائه الى التطرف الديني أو التطرف العبثي والاستهتار والغرق في اللذات الحسية .. وحتى الذين لم يهربوا وحاولوا اتخاذ موقف ايجابي لجأوا الى أنماط جاهزة تعلموها من الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفيتي .. وأنقسبوا الى شرادم صغيرة تتخفى تحت الارض ويدور بينها وبين بعضها صراعات مرعبة .. وبينها وبين الحكومة ثقة مفقودة ...

وهكذا عندما تخلخل البناء بحث كل منا عن وسيلته الخاصة للنجاة
تماما كما حدث لحظة أسرهم .. عندما تحقق الجميع أنهم أصبحوا أسرى ..
انطلقت الاصوات مليش دعوة .. ملعون أبو الحرب .. احنا مسالمين ..
وكان الآخرون يصيحون أيضا « ايدك على رأسك » .. مين اللي زحى
القنبلة على الدبابة ...

واقترب منه شاب في حدود الخامسة والعشرين أبيض ذو شعر محدد
طويل يلبس أوفرول أخضر مزركش ويسير بكبرياء وخيلاء شديدين .. وفي
نفس الوقت حذر من المفاجآت .
وسأله : « انت ضابط » .

سأله وفي نفس الوقت مد يده نحوه فاخطف النظارة البيرسبول
وقذف بها لزميل له وقف بعيدا . فتشبه ولم يكن معه شيء ذو بال سوى
النقود التي أخفاها ولم يعثر الآخر عليها . سحبه بعيدا وقال : ارتد ..
ايدك قدامك .. اخفض رأسك .

جمعوا الجنود في مكان والضباط في مكان آخر كنا صديقنا وضابط
آخر ثم ابتدأوا يحضرون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود
وقف باقى الضباط وكانوا قد تخلصوا من رتبهم مذعورين .. منبئين عن
انهم ضباط .. عرضوهم على صديقنا فأقر ورضوهم بجواره . وزعوا المياه
لكل فرد رشفة من زمزية معدنية مثلجة .. ماء ذو طعم خاص مخلوط
بالمغنيسيوم أو ما شابه ذلك ..

سأله أحدهم باللغة العربية وهو راقد : ماذا تعمل .
رد عليه صديقنا بالانجليزية : مهندس معماري .
ثم ابتدأ يتكلم بالانجليزية .. لم يكن يدرى لماذا فعل ذلك .. كل
ما شعر به أنه انطلق يتحدث بالانجليزية .. هل كان يتصور في ذلك
الوقت انهم لن يفهموا العربية .. أم لانهم أغراب كلمهم بلغة غريبة ..
أم أنه حاول لا شعوريا أن يفهمهم أنه مثقف مختلف عن الآخرين ويجب
ألا يقتلوه بدون سبب ...

ولكن لم يذم هذا الحال طويلا فقد زعق بالعربية .. وكان الصوت
قادم من انسان اخر غريب عنه .. « حرام عليكم .. حشتموا ايه فيهم
» عندما شامدهم يجهزون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود .

التفتوا لصاحب الصياح ليؤدبوه .. ولم ينقذه منهم الا قدوم عربة
جيب مركب بها جهاز لاسلكى وضابط كلمهم بالعبرية .. فتركوا الجميع .
الا واحدا منهم اراد ان يفتز الفرصة ليأخذ لنفسه بعض الاسلاب .. فمد
يده لينزع خواتم الزواج من الايدي ولكن لسوء حظه انه قد ابتداً بذلك
الضابط الذى اخرج صورة زوجته يقبلها أثناء الموقف فصاح فيه هذه ليست
ملكى انها ملك المدام وخوفا من الفضيحة تنازل عن رغبته فى الاسلاب ..
قوموا ... تقدم ضابط يدير الطابور .

وتقدم اقدمهم ليدير الطابور .. طابور من الاسرى !! ومع ذلك فلقد
كان يديره كما لو كان فى استعراض .. بالطبع لم يقصد هذا .. ولكنه
تعود ان ينادى على الجنود بنفس الطريقة خصوصا لو كان ذلك امام قائد
كبير يريد ارضاءه .. وهو هنا يحاول ارضاء آسريه .

الاسرى متعبون .. خائفون لدى اى بادرة غير عادية تصدر من الجانب
الآخر فهم لا يأمنون لهؤلاء السائرين خلفهم .. أعدائهم . وجنود الأعداء
فرحون كأنهم مجموعة من أرسنقراطى العصور الوسطى خرجوا للصيد
وعادوا بمجموعة نادرة من الحيوانات سليمة ..

ظل صديقنا يتفحصهم .. هؤلاء الأعداء .. هؤلاء المنقرون
الاسرون المتحكمون فى حياتهم .. لا يمكن أن يضم جيش كل هذه
التناقضات فى الملابس والسلاح والشكل واللغة والحركة والتصرف .

ملابسهم : مايوه .. (أى والله مايوه) قميص أحمر وبنطلون
كاكى .. أوفرول أخضر وحذاء مظلات .. أوفارول رمادى .. أوفرول
أصفر .

أغطية رؤسهم : طائفة صوف مشغولة .. برنيطه رعاة بقر أمريكية ..
طائفة مصرى .

أسلحتهم : خنجر - رشاش عوزى اسرائيلي - رشاش بور سعيد -
بندقية بلجيكي - بندقية تشيكي - بندقية رش (أى والله رش) .

مجموعة متنافرة لا أساس لها .. ولا تكوين .. غريب .. حل عؤلاهم
أسروهم أبيض أسود .. أسمر .. شامي .. عراقي ..
مغربي .. يمني .. مصرى .. تأمل صديقنا ثم ضحك وربت على كتفه ..
سأله :

- ألسن من الظاهر ؟؟

- نعم

- مدرسة الالهامية .

- نعم

- لقد كنت معك فى المدرسة .

- ماذا ستفعلون بنا .

حظكم رائع .. صدرت الأوامر الآن فقط بوقف إطلاق النار واخذ أسرى
قبل ذلك بدقائق كانت الأوامر اقتل ولا أسرى الا فى أضيق الحدود . ثم
دار حوار سريع بين الطرفين .. كل منهم كان يريد أن يتعرف على الطرف
الأخر .. حاول الاسرائيليون فى البداية تهدئة الاسرى .. لا تخافوا نحن
لسنا متوحشين .. ماذا تظنون بنا .

بعد ذلك ابتدأت الاسئلة .. لو كان الوضع بالعكس ماذا كنتم
بنا فاعلين . ثم ابتدأت نغمة الفرح والتعالى .. ما رأيكم فى طيراننا ؟؟

كانت فرحة النصر تتلألا فى أعينهم وفى نبرات صوتهم .. لا يستطيعون
إخفاها . ولا يستطيعون تصديق أنهم نجوا من رميهم فى البحر .

كانوا يريدون أن يتلفخوا برؤية زعب أسراهم وخوفهم وضياعهم .
لحظات غريبة تلك فى حياة الانسان التى يصبح فيها بلا ثمن ويمكن تنله
بسهولة لنزوة فى رأس مجنون . أو للتسلية . لو أن جنديين مهوسين

من ضغط الموقف والارهاق قراهننا على أن يصيب أحدهما عين أحد أسراهم
اليمنى في مقابل زجاجة كازوزة .. لكان من حقهما • عندما كنا نسمع عن
أباطره لهم السلطة للاطاحة برأس أى انسان لسبب واه أو بدون سبب
كانت أجسادنا تقشعر .. فما بالك بأصدقائنا هؤلاء .. الذين أصبحوا
بدون ثمن .. جردوا فجأة من الحصانة التى يتمتعون بها طول عمرهم
ولم يشعروا بنعمتها وهى الا يموت أى منهم بدون مبرر • وبدون أن يدافع
عن نفسه ...

كان صديقنا يحلم وهو يتحرك فى طابور الاسرى .. آه لو كان الأمر
بيدى لفرضت الحق والعدل دون دماء .. ثم أبتسم .. عدنا للاسماطير
والخرافات الشرقية عندما يحلم كل منا بخاتم سليمان يحركه فيتحقق
له أمانيه .. لا عدل الا مع القوة .. وفى الوحدة .. والتدريب .. والعمل
المستمر .. والقيادة الواعية .. والانتصار يحتاج لعرق وتعب وتضحية
وايثار وعقل وبذل وتخطيط ووعى وتجانس بين المحاربين فى الحياة
والمعيشة والهدف والمرمى والايمان بالقضية التى يحاربون من أجلها
وهذا حدث لهم فانتصروا وافتقدناه فى ناسير فى طابور الاسرى •

عندما قامت أول مظاهرة فى القاهرة بعد الهزيمة .. وكان صديقنا
قد عاد من الاسر .. كانت مظاهرة احتجاج على الاحكام الصادرة ضد قادة
الطيران .. اندهش صديقنا .. فلقد كانت أول مظاهرة يشهدها منذ أن
قامت الثورة .. أى احتجاج الأمر لستة عشر عاما وهزيمة عسكرية حتى
يستطيع الانسان المصرى أن يحنج ويعلن احتجاجه فى مظاهرة
جماهيرية .. وودلو أنه انضم لها ولكنه خاف .. خاف عليها من أن يقبض
عليه فيقال أن المخابرات الاسرائيلية هى المحركة للمظاهرة فيفسد الهدف
منها ويفسد اسمه أيضا .. ان هذا الخوف فى نفسه وفى نفوس الاخرين كان
يغريه بالتأمل .. وكان يقول هذا لجنوده .. أنتم تخافوننى وأقصى
ما استطيع أن أفعله هو أن أسجنكم لكن ماذا ستفعلون مع اعدائكم وهم
يستطيعون ما هو العن .. أن يقتلوكم .. لا تخف منى .. كى لاتخاف
من عدوك فتمستطيع أن تحارب .. الانسان القادر هو الانسان الحر المتحرر
من المخاوف .. الأمن على حياته ولقمة عيشه وعمله وحرية ..
فيدافع عنها ..

أحضروا لهم عربة مغلقة وركبوا فيها .. أو ركب من تبقى من المجزرة
حوالي الخمسين .. والباقى تركوهم جثثا أو أشباه جثث بين كودي
الحشيش . قفلت العربة من الخلف بأنزال الكبود المشمع وأظلمت الدنيا ..
وأصبح كل منهم مع نفسه وفي مواجهتها وتصاعدت الاحداث لا يعرف من
القاتل ومن المتلقى ...

- أبعد يا أخ شويه .
- يا بنى هنا مكان الضباط
- هو هنا كمان ضباط ومش ضباط .. كلنا أسرى فى أيديهم ومفيش
حد أرجل من حد .
- آه لك حق الراجل كان ورانا نفسه .
- الوحيد اللي فيكم الرائد الذى صرخ علسانا . يا أخى راجل فعلا
لا قال كلام فارغ ولا اتهم زى الثانيين .
- لولاه كنا متنا ..

كانت هذه الكلمات نياشين علفت على صدر صديقنا رغم أن قائلها
لا ينتظر مكافأة على ذلك ورغم أنه لم يتصنع لتقال له .. وأبتسم .. حتى
في أحلك الظروف يستطيع الانسان أن يرضى عن نفسه .. ولكن ماذا فعل
ليرضى عن نفسه .. لم يخلع رتبه وينكرها .. ثم يعود ليتمسح بها .
دافع عن الجنود بأضعف الايمان وهو الصراخ .. لم يتكلم بدون سبب
ولم يسمع أسريه ما يحلو لهم .. وتعلم من ذلك درسا الا يتخلى عن قيمه
حتى أمام الموت وليمت رافع الرأس ويتحدثون عنه ويستمدون من صهودة
قوة .. خير من أن يبقى ويرى نظرات الاستياء والاحتقار في عيون الآخرين
.. ان العيون ترصد كل العيون وتقوى وتضعف بها . وعليه أن يكون مصدر
قوة لنفسه وللآخرين في أزمتهم .. ووجد يده تمتد لتربت على رأس ما
تبكى .. لا تبكى يا رجل .. لا تحزن .. لقد ادبت واجبك . ولنستفد
من الدرس .. ان جبن وقذارة واستهتار الآخرين تهمانا جميعا لان حياتنا
مرتبطة بهم وبتصرفاتهم .. فلا نتركهم يلعبوا بأقدارنا بعد الان .. لو ..
لو قدرت لنا الحياة .

وقفت السيارة أمام مبنى .. ضوء الشمس اختفى تماما وحل الظلام
مجموعة من الجنود الاسرائيليين وأمامهم برميل ممثلى بالماء وكوز .. قفز

الاسرى بالتتالى من العربة .. وتم تفتيش كل منهم .. جيوبه .. ملائسه .. ويخلع حذاءه وشرابه .. ثم يشرب كوز ماء .. ويدخل المبنى .. الاضواء خافتة .. ونسمة هواء باردي تلمح كل من ينزل من العربة فيرتعش .. اصوات تنطق لغة غريبة على الاذن .. كأنه كابوس أو احد أفلام فليينى .. يفرك عينيه لعله نائم .. ثم يتيقن أنه يعيش هذا الحدث عندما تلمسه أيدي حقيقية لتفتيشه .. يشعر بالارهاق الشديد أمله في الحياة الان أن يرقد لينام .. لا يعتر المفتشون على النقود هذه المرة أيضا .. يدخل الى المبنى .. الاضواء قوية .. يطلب مقابلة ضابط ..

.....

- عندي اقوال خاصة ..

.....

- معي مائتان من الجنيهات المصرية أريد أن احتفظ بها معك ..

.....

- انها مرتبى عن شهرين ..

.....

- هل تريد الحق أم كلاما يناسب الموقف ..

.....

- نعم احبه لقد فعل لنا الكثير .. ابتداء من الاستقلال وتأميم القنال

.. حتى بناء السد العالى ..

- فعلا عبد الناصر لا نستطيع أن ننكر أنه زعيم عظيم .. ولكن

غلطته الوحيدة أنه أغلق مضيق تيران ..

لماذا قال هذا الكلام في هذا الموقف بالذات .. وبعد أسره بمدة

بسيطة .. لا يدري .. هل هو عناد قومي لم يكبح .. هل هو رد فعل

للشعور بالنقص .. هل عن ايمان ساحق .. هل ليكتسب احترام عدوه

بشجاعته أم كان للكلمات التي قيلت عنه في ظلام العربة اثر .. أم لجميع

هذه الاعتبارات ..

أشار له الضابط للمكان الذى سينام فيه .. كان صالة اسكواتش

راكت في مبنى بسيطاء لا بد وأنه مطار .. فلا يلعب الاسكواتش في سيناء

الا الطيارون .. وفيه يوجد منصة أو بلكون للمراقبة معلق بها كشافات

قوية مسلطة على عدد من الاسرى المصريين الراقدين على الارض كل اثنين منهم ملتفان ببطانية والحراس اليهود بجوار الكشافات ممسكون برشاشاتهم ينادون « كله ينام » بتهديد .. ولم يكن الاسرى في حاجة لبذا التهديد فسرعان ما استغرق الجميع في النوم ..

يقولون في المثل الشعبي الجوعان يحلم بسوق العيش .. كان صديقنا يحلم بأنه ينام على سريريه بالقاهرة مريضاً يتأوه .. ووالدته تضع كفها على جبهته .. عندما هزه زميله او شريكه في بطانيته ليستيقظ .. كان الضوء الطبيعي يملأ المكان ... وكان معظم النائمين قد استيقظوا واستطاع أن يتبينهم جيدا .. كان معظمهم من الضباط برتب مختلفه رواد ونقباء وملازمون .. وبعض المقدمين كانوا يجلسون على الارض مقرفصين في استسلام .. انتهت نظرات الرعب من أعينهم .. وحل محلها نظرات هي خليط من الاستسلام والتقرب .. وكان جندي اسرائيلي طويل الشعر على موضه البيتلز قوى يرتدى ملابس ملتصقة بجسده ويتصرف كنجوم السينما .. يجمع البطاطين ويزجر الاسرى أمرا اياهم بالجلوس بجوار الحائط .. وكان أخذ يمر عليهم بقطع من البسكويت والجبن الذي استولوا عليه من مخازن الجيش المصرى كوجبة أفتار ..

ورغم أن معظمهم لم يتناول طعاما منذ مدة الا أن أغلبهم أعاد الأكل كماهو ورفض المزيد .. كأنهم متفقون على ألا يأكلوا .. الأعناق تتجه لأعلى .. قفى المنصة نساء .. لم يروا نساء منذ شهر مجفدات اسرائيل يطلن عليهم .. كأنهن ينظرن الى حيوانات غريبة مجموعة قرود في أفضاص بحديقة الحيوان .. او قل قرود بجبلالية القرود ..

لا بل الآخرون هم الذين يتفرجون عليهم كأنهن ممثلات سينما خارجات من عند الكواكير لتوهن .. أحمر الشفاه .. الملابس الملتصقة بالجسد .. الصدور النافرة المتمردة على قمصانهن .. الميني جيب .. آه هذا جيش العاهرات .. لقد كان الامل في امتلاك واحدة منهن سببا قويا للحرب لعديد من الضباط والجنود ..

ها هن يتسلبن بالفرجة على رجال مصر الاشاوس .. لا بل وأيضا يقذفن قطع الشكولاته لهم .. تماما كما نفل مع قرود حديقة الحيوان ..

العجيب أن بعض الاسرى أخذ الحلوى وفكها وابتلعها بين نظرات زملائه ... حتى الانسان عندما يحبس يمكن أن يتصرف كالقرد ...

رقيب اسرائيلي يسأل .. هل هناك من يحتاج لطبيب .. وأجاب بالايجاب أكثر من شخص .. وحضر الطبيب .. كشف عليهم .. تأدية واجب .. وواجب ثقيل فهم من ساعات كانوا قاتليه ... أعطاهم بعض الاقراص المسكنة أو المهدئة .. كي يترك انطبعا بانسانيتهم ولكنه للأسف كان طبيبا وليس ممثلا فلم يجد الدور ...

انتصف النهار .. ثم نودي على صديقنا .. أعطاه رقيب اسرائيلي نقوده .. كان يعدهم له بالعبرية آحاد .. أشنين .. ثلوث .. مائتي ليره .. ليكتشف لأول مرة قرب اللغة العبرية من العربية ..

سأله .. ماذا سأفعل بها .. رد الاخر .. اعطيها لمن سيستلمكم في المعسكر الاخر ..

عربات لورى محذرة من الداخل بمقاعد للجلوس .. ركبها اسرانا وعندما طالبوا بالماء قالوا لهم هناك .. عندما طالبوا بالطعام .. قالوا لهم ايضا هناك .. أقفلت العربات من الخلف كعادتهم في نقل الاسرى أصبح الضوء قليلا .. المقاعد متقاربة لدرجة اصطدام أرجل الجالسين متقابلين .. صديقنا يواجه رائدا .. يبتسم ابتسامه خفيفة .. قسما وجهه تقول عزيز قوم ذل ، .. صامت كأنه لم يتكلم أبدا ... سأله :

- سيادتك منين

- مدفعيه (باختصار شديد)

- زعلان

- لا فرحان قالها بقرف وتهكم -

وشعر صديقنا بأنه كان سخيفا .. ولكن الرد كان اقسى .. وأصبح للسكوت - أفضل عمل .. ولكن السكة طالت - سأله :

- الى أين

- علمى علمك

وكان هذا الرد نهاية لاي محاولة لفتح حديث آخر فسكت ثم سرح
ثم هاجمته أفكاره .. ترى ماذا سيفعلون بهم .. نزع الاظافر .. تكسير
الاسنان .. شدد الشعر .

هكذا على الأقل يفعلون في معارضيتهم في مصر ... وخصوصا من يخج
منهم بين أيدي رجال السجن الحربى ..

حقا اذا كانوا في مصر يفعلون هذا في المعارضين مجرد معارضين
فماذا سيفعل اليهود بأسراهم .. أو قل أعدائهم .. ونزع نفسه من أفكاره
.. أين يستطيع الانسان أن يعيش .. كل العالم تحول الى غابة مرعبة
.. أكثر ضراوة من غابات الانسان الاول .

وحك ذقنه فهو لم يتعود على اطلاقها بهذه الطريقة .. شعره أيضا
اتسخ واصبح متربا .. يريد أن يستحم أن ينظف نفسه .

ترى ماذا سيقولون عنه أهله .. أصدقاؤه .. قائد الكتيبة ..
ورئيس العمليات الهاربان .. وشعر بمرارة .. ترى هل سيعبر اليهود
القنال .. هل سيصلون للقاهرة .. يقولون وقف اطلاق نار .. ترى الى
أى حد وقف القتال ...

كشفت غطاء العربة .. غابت الشمس وعم الظلام .. قفز من العربة
.. قنابلته لفحة البرد نفسها .. الى أين !! يضع يده في جيبه بنظراته
ويتحرك بكسل ... على الجانبين يقف جنود اسرائيليون أحدهم يزحف
ويطوح برجله في الهواء ليضربه بالشلوت يجرى فتصدم قدمه بمن يأتي
في الطابور بعده .. يضحك رغم المأساة .. كعكة ضخمة على الارض
ملتفة مثل أصبع الكنافة .. تتكون من رجال نائمين على الأرض عشرات
.. مئات الاسرى .. حتى ليخيل لك أن كل الجيش المصرى تم اسره ياخذ
دوره في الكعكة .. المكان محاط بكشافات ضخمة من كل اتجاه .. كأنها
قضى حلقة سيرك .. وصوت الموترات عال والخزاس يطلقون
الرصاص فوق مستوى الرعوس الراقدة مباشرة وهم يصيحون « ناموا كلكم »
ان الناظر لهذا المنظر يتخيل أنها ابادة جماعية في معسكر من معسكرات
النازى وان اليهود ينفسون عن عقدهم القديمة ..

ولكن لم يمنع هذا بعض الهمسات التي تجاوزت من أطراف الكعكة ..

-

- طر مطرحك *

- أريد أن أشرب *

- ما في ميه ..

- آه آه آه آه ..

- اسكتي ..

ووجد صديقنا فوق رجليه الثنيتين من البرد رأسا صفراء تتأوه
ربت على الرأس .. فوجد وجها متورما من الضرب ..

قال - عطشان حموت

- أسكت الا ترى الرصاص *

آه .. آه .. آه .. آه ..

كان الصوت يؤلمه .. حتى فقد رغبته في الحياة * فصاح ليخفف

عنه ..

- يوجد مريض هنا ..

وكان الرد - اسكتي ..

- انه يموت .. كمحاولة اخيرة متسترا بالظلام ..

وجاء الرد - تعالى * يلهجة التوعد والتهديد *

وذهب صديقنا للحارس في نوبه شجاعة مفاجئة .. أو قل في محاولة

دقيقة للانتحار والتخلص من قسوة الحياة * ولكن وللعجب أشار الآخر الى

دورق مياه وقال :

- خذي من هنا ميه

- لا يوجد به الا قليل

- خذي من هنا الباقي .. وأشار لدورق آخر ..

أخذ الكمية المتوفرة في الدورقين فلم يكفيا ملء نصف كوب .. وذهب

للرأس الصفراء يسقيها * رفع رأسه على رجليه وأبتدا يسقيه .. وفجأة

امتدت يد أخرى تخطف الكوب .. صرخ ابعده ايدك الرجل يموت .. فهل

كان من المعقل أن يضحى ويغامر لكي يسرق انتهازي الماء ويحرم منه المريض *

وهكذا مضت ليلة كثيية يعجب كل من عاشها كيف مضت .حقا ان الانسان
آلة رائعة متكاملة . . ففى الاوقات التى تصيح فيها حياته مهددة بالفناء . .
تنبعث من داخله قوى خفية تحميه وتمده بقوة لا نهائية من التحمل والتكيف
. . منها الاحلام .

الفجر يبزع ثانية . . أشعة الشمس تدفء الاجساد . . وها هم يرون
بأعينهم ماكانوا يلمسونه فقط ليلا . . الرأس الصفراء غلام لم يتجاوز
العشرين . . زملاءه مازالوا يلهون أمام الأمريكين وجروبي وفى حلقات
الرقص وجهه كله كدمات كأنما هو قد أنهى لتوه ماقش ملاكمة وفى نحافته
وشعره الاصفر الطويل وذقنه التى مازالت بكرأ احساس بالشقاوة
واللامبالاة . .

على الجانب الآخر فتوء عال هو كرش مقدم مازال نائما . من الناحية
الاخري زميل نقص وزنه خلال هذه الايام بصورة ملفته . . ماذا حدث ؟؟ .

شعور طويلة . . ذقون غير حلقة . . تراب يكسو الوجوه والملابس
والشعر كأنها أشباح خرجت من قبور السنين تلعن العالم . .

وهؤلاء لم يكفهم ما أصاب جنود مصر . . فاحضروا مجنذاتهم المزوقات
ليتفرجن عليهم الغريب أن القلوب الرقيقة والعيون الحساسة لم تدمع لسحق
الانسان لآخيه الانسان واذلاله . . .

ترى لو أتاحت لهم الفرصة لحضور حفل فى نادى الضباط . . هل كن
يرين فى هؤلاء الرجال شيئا يدعو للتسلية . . . !!

ارتفعت الشمس الى منتصف السماء . . وازدادت الحرارة . . وتصيب
العرق . . وجفت الحلق . . وفقد الرجال اتزانهم فهتفوا .

. . . يحيا أشكول (أخص . . أخص) . .

. . . يحيا موسى ديان (مش معسول) . .

. . . فريد أن نشرب (آه . .) . .

النسوة يسالن . . النسوة يجتسمن . . الرجال يضحكون . . فناطيس
المياه تحضر . . المياه الباردة تملأ الحلق . . تضغط على الانف . .
تختلط بالرمال لتكون طينا على الجبابة . . والوجوه . .

- اصعدوا للعرابيات .

عربات لورى مكشوفة مثل التي تستخدم في نقل الرمل والزلط

ابتدأوا يرصون الاسرى داخلها بأن يجلس صف قرفصاء ثم يأخذ كل فرد في الصف زميلا آخر بين ساقيه الذي يأخذ زميلا آخر بين ساقيه الذي يأخذ زميلا آخر .. وهكذا وضع غريب وطريقة أغرب للنقل يصعب ان تستخدم حتى في شحن الحيوانات فقد يهتم صاحبها بالاتنفق على الاقل .

- انزل اركب الاتوبيس .

اتوبيس سياحى فاخر .. شىء غريب من الضد للضد مباشرة ما معنى هذا ؟؟ واصبح أصدقاؤنا سياحا .. مع سائق أنيق يتكلم الانجليزية ووظيفته مهندس معمارى ... مثل صديقنا .

اعطاه علبة سجائر .. أخذ سيجارة منها ثم امتدت يد من الخلف فأخبطت العلبة .. رائد ذو عينين زرقاوين نارى .. يحتفظ بالعلبة لنفسه .

السائق يلاحظ ما حدث .. فيعطيه لبانا يفرقه على من حوله من الزملاء في حذر من ذى العينين الزرقاوين .

زجاجة ويسكى صغيرة .. رشفة منها قد تدفء .. الزجاجاة يتم تداولها بسرعة .

- نحن نحب السلام « أه يا عقرب أى سلام هذا »

.....

- أنا جميع أعمالى متوقفه بسبب الحرب « ونحن ماذا فعلتم بنا ؟؟ »

.....

- بلدنا متقدمة « بالمدفع والطائرة ... »

.....

وابتداً غسل المخ .. بأحدث الطرق العلميه .. القسوة الشديدة . يعقبها اللين والاعتذار بقلة الامكانيات والمحافظة على الامن .. هكذا نفذها الالمان

•• وهكذا قام بها أدوات التعذيب في المعتقلات السياسية •• الدعاية نصف الحرب • واستجاب البعض أحدهم قال بسعادة غير متوقعة ••••

– اليهود في الراديو كانوا دائما ما يقولون •• سيفضي الاسرى غذنا اجمل صيف على ضفاف البحر المتوسط في حين •

– والله ناس محترمين ينقلوننا في اتوبيسات سياحية •

وانفجرت الستائر قليلا •• اطل منها صديقنا •• انه يعرف هذا الطريق انه الطريق الى العريش •• وها هي محطة الابطال ونصب الجندي المجهول •• بجوار النصب عربة جيب مضروبة تتدلى منها جثة متفحمة سوداء من فعل النابلم •• أكيد هذه جثة ضابط فجراب الطبنجة يتدلى من وسطه •• الكلاب تنهش الجثة •• فطار مضروب بالنابلم •• جثت لا اول لها ولا آخر وجوه محروقة يكسوها الرعب •• الرائحة النفثة تزكم الانوف المرائق يلاحظ الامتعاض الذي على الوجه •• يقفل الستائر ويتكلم ••••

– نحن لا نريد الا أن نعيش فقط

– ••••• (الخنادق ممثله بالجثث •)

– نحن نحب السلام •

– ••••• (دبابات معطلة داخل حقول الغام)

– لماذا تكرهوننا نحن نحبكم

– ••••• (عربات مشتعلة حتى اللحظة •)

– لقفل الستائر •••

– لماذا •••••؟؟

– أوامر •••••

ولكن حب الاستطلاع تغلب على الخوف قفلوا الستائر وتركوا اجزاء منها تسمح بمشاهدة محدودة •• قرب الشيخ زويد •• كانت خسائرهم •• دبابات محروقة •• سيارات مشتعلة وقطارا محملا بالخسائر ••

الحرب على الجانبين •• ولكنهم يحطمون اسراهم بالسماح لهم برؤية خسائر الجيش المصري •• ويمنعونهم من رؤية خسائر الجيش الاسرائيلي ليتخيلوا أن الحرب قد حدثت بدون خسائر من جانبهم ••

لقد بدأ غسيل المخ فعلا احذروا أيها الاحباب احذروا . . رفح . .
غزه ويتجه الاتوبيس الى الطريق المنوع طالما نظروا اليه من قبل وتساءلوا
ترى ما الذى خلف هذا الطريق . . لقد أصبحوا الان فى اسرائيل . . الليل
يرخى سدوله ويخفى المعالم . . العربة تسير بسرعة . . الحفء والكراسى
الريحة . . والنوم يهاجم معظم أصدقائنا بعد معاناة طويلة فى الليالى
السابقة .

عندما عاد صديقنا من الأسر ووجد ان معظم اهله المصرين قد هربوا
من المواجهة سواء بالمرض أو الهجرة أو التطرف أو اللامبالاه والتملل . .
اهتز . . . كانت صدمته فى بلده أكبر كثيرا من صدمته فى أسره . . وكاد
أن يفقد الأمل . . فأصبح يجرى خلف أى هاتف . . حتى ولو كان شاعرا
أو منشدا يلتفت حوله بعض الشباب يصخبون وينفثون عن مشاعرهم
أو مجموعة من الشباب الصغير الذين تخيلوا أنهم قادرون على تعديل ما اعوج
بالخطب والشعارات . . وغاص . . لاذنيه يشاهد . . ويتكلم . . ويناقش
. . حتى اكتشف أن هذا أيضا هروب . . ولكن ما كان يحزنه ويضنيه . .
هو الى اين . . وكيف يمكن اجتياز الازمة . . وهرب هو أيضا . . هرب
بدخوله مستشفى القوات المسلحة قسم الامراض العصبية . . كل ما فعله
أن أخرج ما بداخله للطباء قال لهم الحقيقة وما يشعر به من أزمة . .
فحجزوه للعلاج وهناك عرفتة . . (شاب رومانسى) . . يرتدى روب دى
تسامبر أحمر . . وبيده راديو ترانزستور يستمع من خلاله الى الموسيقى
وبجواره شرات الكتب يقرأها ليفهم . . كتب فى علم النفس . . والتاريخ
. . والادب . . والسياسة . . كان لا يتكلم الا قليلا . . وينصت كثيرا
. . وفى بعض الاحيان يكتب . . وأعطانى ما كتب ورقات متناثرات أثارتنى
الى درجة كبيرة . . وكان لابد من استكمال أحداثها . . لذلك فلقد داومت
على الجلوس معه واستثارته بأسئلتى ودونت ملاحظاتى على هذه الاسئلة
. . حتى تم الجلاء . . فزرتة لاعرف ماذا تغير فيه بعد أن جلا آخر جندي
اسرائيلى - وهكذا ولدت هذه القصة . .

صحا أصدقائنا على ضجة . . فوجدوا أن الاتوبيس يتحرك فى مدينة
ما . . . عرفوا بعد ذلك أنها بئر سبع . . مبانى صغيرة ذات أسقف منحدره
مغطاة بالقرميد الاحمر على الطريقة الانجليزية . . أو الأوروبية من كل منزل
تظهر مدخنة بعضها يخرج منها الدخان دليل على أن بداخلها عائلات تتمتع
بالدفء والطعام الساخن بينما ملصق عليها افيشات أفلام حديثة تشبه

الافيشات التي كانت ملصقة أمام سينما كايرو وكان الفيلم المعروض ، صوت الموسيقى « ٠٠ الأولاد والبنات حول السينما في انتظار الدخول أو الخروج ٠٠ البنات يرتدين الميكروجيب ويصفن شعرهن بطريقة ديل الحصان ٠٠ نفس المناظر والملاح التي يمكنك مشاهدتها في مدينة ما في أي بلد في أي مكان من العالم ٠٠٠

الاتوبيس يقف داخل محطه بنزين ٠٠ يدخلون من الشباك خرطومًا من مياه تتخاطفه الأيدي ٠٠ مريض يئن راقد بقاع العرببة ٠٠ فقد شرب بوله ثم شرب ويسكى لتسكين الألم ٠٠ ويطلب ماء بالحاح ٠٠

الحارس يسبه ٠٠ أحد الضباط يحاول تهدئته اسكت يا شيخ محمّد الحارس يضربه بكعب البندقية ٠٠ يحاول أحدهم إعطاءه خرطوم المياه لفض المشكلة الحارس يضرب الآخر أيضا بكعب البندقية ٠٠ يسود السكون العرببة بعد ذلك ٠٠ السائق يعود ومعه علبة سجائر توزع - العرببة تتقدم ٠٠ ثم تتقف ثانية ٠٠ المدينة في مهرجان وسعادة ٠٠ يلتف حول العرببة مجموعة من البنات يصحن ٠٠ واحدة منهن تدخل من الباب تبصق على الراكبين ٠٠ فيبعدها الحارس ٠٠

العرببة تتحرك على طريق صحراوي حوله معسكرات ٠٠ ثم تتقف أمام معسكر منها عبارة عن مربعات من الأرض الفضاء تحيطها الاسلاك الشائكة وتفصل المربعات طرق مخططة على شكل رقعة شطرنج ٠٠ يدخلهم الحراس أحد المربعات ويعيدون تفتيشهم ولاول مره يسجل أسماء الاسرى ٠

(أسمك - تاريخ ميلادك - وحدتك - هل معك امانات ٠٠٠)

ينقلون الى مربع من المربعات الفارغة ٠٠ الهواء أكثر برودة ٠٠ ثم يظهر الفجر سريعا ٠٠٠ فالنهار بحرارته ٠

قائد المسكر قصير متغطرس ٠٠ أبيض ٠٠ يثق الأرض بقدميه بقوة اله من آلهة الرومان ٠٠ أو جنرال الماني نازي ٠٠ كلماته مغتصبة ولكن لها تأثير السحر ٠٠٠

- ماذا تريجون ٠٠٠ آآ

- خيام .
- خيمه للضباط فقط .
- مياه - اكل - دورة مياه .
- • • • •

حرارة الشمس تزداد •• والعطش •• والجوع •• والنصرفات الفازية أعطت انطباعا بأن الهدف من هذا المعسكر هو افناء الاسرى وتمر الساعات •• نريد طبيبا لمكان الجنود يسرع أحد الأطباء ويعود ويضحك بسخرية •••

- أحدهم غرق •• في وسط الصحراء •• فلقد وضع رأسه في الجردل وضغط عليه زملاؤه فغرق ••

هتافات من مربعات الجنود •• يحيا موسى ديان •• كان الحراس يقذفون السجائر والبرتقال •• والجنود تتخاطفها وتتصارع عليها •• كل حارس كان معه آلة تصوير يسجل هذه الكوميديا •• أو قل تراجيديا هزيمة الانسان • والضباط أيضا •• أهدوا رتبهم في مقابل السجائر والصابون واللبان والشيكولاته •• بعضهم تمادى فسمح بالتقاط صور له مع الاعداء •••

أحضر الاسرون بعد ذلك الطعام •• قوالب جبنة وأنابيب هربي وأرغفه عيش ضخمة كالسيجار •• وكلها اسرائيلية في هذه المرة • وتطوع بعض الضباط لتوزيع الطعام على الجنود •• وبعدها تعالت الشتائم •• كل ما لم يستطع الجنود أن يقولوه لضباطهم من قبل قالوه في ذلك اليوم •• يا حرامية تسرقون أكلنا حتى هنا ••• ابتعدوا عنا •• اليهود أكثر عدلا •• ولم يستطع الآخرون الرد •• أولا لأنه لا يوجد سجن أو حجز تشسلاق أو ضرب أو حرمان من الاجازات •• وثانيا : لأنها حقائق فإن بعض الضباط كونوا وسريعا شلة منتفعين تخفى كل ما تستطيع توفيره أو الحصول عليه من طعام ثم تتقاسمه في الخفاء ••• يباللحسرة •• لقد هزمتنا ••

مر النهار ببطاء شديد •• وجاء الليل وفي هذه الايام تلاحظ أشياء لم تكن لتلاحظها من قبل •• مواقع الشمس في السماء وحركة الظلال •• اختلاف درجات الحرارة •• وهكذا •• وكان الجنود الاسرائيليون قد

مدوا خطوط مياه حتى كل مربع بواسطة مواسير في نهايتها مجموعة
حنفيات • وحفر الجنود المصريون حفرة غطيت جوانبها بالخشب والخيش
واستعملت كدورة مياه •• وفرشوا خيمة كبيرة للضباط •• فأصبحوا
يعيشون في مربع ٢٠ x ٢٠ متر محاط بالسلك الشائك والاعداء •

ونام الضباط من الارهاق •• وجوههم مغطاة بطبقة كثيفة من التراب
مغلوبون على امرهم استسلموا • وتصاعدت رائحة دخان مسجائر غريبة
تشبه السجائر العربية ومالت الخيمة •• فتتبعها بعض الضباط •• حتى
وجدوا مصدرها •••

– من أين •

– اعطاني اياها الحارس •

– نفس من فضلك

– خذوا خدام واحده وابتعدوا عنى ••

والتف عشرة من الضباط حول سيجارة كريهة الرائحة •• يدخنون ••
الهدية الدرجة تستعيد العادة الانسان ••

أحدهم يرمس •• سننقل الى معسكر آخر •

– كيف عرفت •

من الحارس صديقى •• لقد كان كومسيونجى فى مصر •• ويحب
المصريين وكرمهم ويتكلم عن الفطير المشلتت والعسل النحل والزبدة ••
– وماذا قال لك صديقك هذا •• !!

سننقل الى معسكر جديد – فى مكان ما – به حجرات ومياه ساخنة
وبارده وسراير وملابيات والاكل فى ميز •• وسجائر •• وكل ما سنطلبه
سسيجاب •

– اليهود قالوا هذا الكلام فى اذاعتهم اثناء الحرب •

– انهم لا يكرهوننا •• انهم يكرهون نظام الحكم •

ورد آخر باستفزاز – ماذا حدث لآم هل نسيتم اننا بين ايدي اعداء
وهم سيفعلون بنا ما يشاءون • هذا جزء من مخطط • واسكتة اكثر من

صوت - بلاش دوشه .. ألم تكفيننا محاضراتكم وكلامكم المزوق ..
ألم تربيعينيك الاتوبيسات ومستوى الأكل ...

واحتار صديقنا .. أى الأطراف صحيحة . ثم تنبه أنه متشدد
لا يقبل أى نقاش والأعجب من ذلك أنه يحكم أحكاما مسبقة على هؤلاء
القوم .. الا يجوز أنهم بشر فعلا وانسانيون .. الا يجوز أنهم واقعون
تحت تأثير دعاية وفكر غير صحيح .. هل يضع نفسه في قوقعة ويغلقها
عليه فلا يرى أو يسمع أو يفهم .. الا يجب أن ينتهز فرصة قربه من
اعدائه ويتعرف عليهم بشكل أفضل ومن خلال ملاحظاته الذاتيه .

كل ما فى الأمر أنه اعتاد أن يتلقى من القيادة .. ماذا يضر لو أنه
تلقى من رأسه هو .. أليس هذا الحارس يشبه والده .. انه يبتسم
بود لماذا تحول هذا البريء الى أداة فى أيدي مجموعة من الاستعماريين مثل
موشى ديان يستخدمونه لضربهم وقهرهم وأقنع صديقنا نفسه بأن
يخوض التجربة يرى ويسمع ويفهم ولا يحكم أحكاما مسبقة على الجميع
ولكن يحذر فهو بين أيدي اعدائه .

طلبه أحدهم من معسكر الجنود بواسطة الحراس .. فذهب لرؤيته ..
كان أحد صف ضباطه ..
- سلامتك .
- ساموت يا فندم
- لا كلها كام يوم وتبقى زى الحصان
- وصيتك اولادى
- سترجع لهم بالسلامة .
- مش معقول حيموتونا .
- أصمد سير حلونا قريبا لمعسكر أفضل وستعالج هناك .
- ربنا يسمع منك .. اولادى وصيتك .

وجاءت أول وجبة ساخنة يذوقونها منذ شهر .. جردل ممتلىء
بالبطاطس واللحم كل عشره لهم جزء .. الطعام لذيذ ولكنه قليل ..
واسترخى اصداؤنا ... وابتدأوا يتكلمون .

- الناس دى بتموتنا ببطء .. صباحا وانتم نائمون على الأرض
- تأملت وجوهكم فمشعرت برعب من النظر .. التراب والأرض والشعر الطويل
- والذقون غير الحليقة والعيشة اللاأدمية ...
- وهل تظن أنهم سيلفوننا بحرير .
- العساكر مبسوطه ...
- والله غلابة . على الأقل لدينا خيمة .. وعم لهم الشمس والهواء.
- والحر نهارا والبرد والندى ليلا ...
- لم يحدث تغيير كبير في حياتهم .. هذه عيشتهم دائما .. المهم
- اننا لم نتعود على ذلك .
- بهذا الشكل سنموت ولن يحدث لهم شيء .
- ألسنا رجالا مثلهم .. يجب أن نعيش .
- ولكننا متعلمون .
- ان لم يفدك العلم في التكيف الاسرع والافضل فلا أهمية له .
- هل ستبقى للابد هنا .
- الاتفاقيات الدولية تنص على ان كل ضابط له سريرته وملابسه
- وأكله وسجائره ومصروف ايده .
- طظ بالاتفاقيات الدولية .. منذ متى احترم الاسرائيليون اتفاقيات
- دولية .
- لكن دى سمعة دولية .
- منذ متى ايضا اهتموا بالسمعة الدولية لذلك ضربونا بالنابلم
- لا تكن ظالما فهم يحاولون التعاون ولكنها الامكانيات .
- ثانيا امكانيات .. ألم تشبع من هذه الكلمة التى نعلق عليها عجزنا .
- هل رأيت الاتوبيسات التى احضرونا فيها .
- وهل رأيت عربات الزلط التى كنا سنركب فيها .
- انهم فى منتهى الفكاه صوروا لنا انهم قادرون على شحننا كالبهائم
- ثم اركبونا اتوبيسات سياحية .
- لتعذر اى تصرف حقير يتصرفونه معك بعد ذلك وترجمه الى نقص
- الامكانيات . ولكن حسن النية مقوفر .
- لو أننا أسرناهم ماذا كنا سنفعل بهم .
- تدفن رأسك فى التراب .. كنا ذبحناهم طبعاً .

- ومن أدراك أنهم لم يذبجوا غيرنا .
 - سؤال أخذ شلة المنتفعين عن موعد رحيلهم الى المعسكر الجديد .
 فقيل خلال ثلاثة او اربعة ايام وعندما ناقشه بعض زملائه في مدى
 العلاقة بينه وبين الحراس رد .
 - هس . . لا أريد كلام أكثر من اللازم . . ستقولون عميل . . موافق
 . . عميل عميل . . عندما أعود بلخ عنى .
 وانفلت آخرون كأنما كان هذا الحديث إشارة البدء . .
 - لماذا نحاربهم
 - اذا لم نكن في مستوى قدرتهم فلماذا نعاديهم .
 ثم تندر آخرون على أنفسهم
 - نحن اقوى طيران في الشرق الاوسط - سننقضى على اسرائيل
 في ٤٨ ساعة

- اضرب . . اضرب . . اضرب . . لجل الصغار . لجل الكبار
 - انهم متقدمون جدا . . مدوا المواسير في دقائق . . شوف لو شان
 عندنا كان أخذ وقت اد ايه .
 كانت الصدمة قد هزت ايمان الجميع ثقتهم في أنفسهم وبدون استثناء . .
 وجعلتهم يراجعون مبادئهم المتوارثة . . وكلما كانت درجة الاقتناع سطحية
 . . . كلما كان الانبهار أكبر . فأصبحوا يقدرون العدو بأكثر مما يجب
 ويبخسون أنفسهم حقها أكثر مما يجب أيضا .

وهكذا فان الجنود بايمانهم الاجوف النابع من تعصب ديني سيفونى
 سرعان ما حدث انهيارهم ودفعهم هذا للهتاف لقادة أعدائهم . والضباط
 بعنقرياتهم الجوفاء أيضا تعرضوا لهزات متفاوتة الدرجات من الانهيار . .
 تتراوح بين التعاون التام مع العدو الاملس وخدمته في سبيل بعض الامتيازات
 وبين مراجعة موقفهم من القضية والاستعداد لرؤية الموقف باعتبارات جديدة .
 وهذا ما حدث لصديقنا .

أصبح مستعدا لسماع وجهة النظر الاخرى والتعرف على العدو بروح
 محايدة جديدة بحيث لا تمس كرامته أو كرامة وطنه . . وتنبهت غريزه
 الاستطلاع لديه ليحاول أن يعرف ويفهم ويستفيد من التجربة الجديدة أقصى
 استفادة . .

وفي سبيل ذلك ابتداءً يراجع قيمه وأفكاره القديمة في ضوء آتون النار
الذي وجد نفسه داخله مرغماً .

صباحاً .. جاء البشير .. سترحلون وانتقلوا من يد الى يد حتى
وصلوا الى العربات .. عربات نقل الزلط .. ثانية ولكن في هذه المرة تسحنوا
فيها فعلاً بطريقة لا انسانية للغاية جلس كل منهم مقرصاً .. فاتحا رجليه
ليدخل بينهما زميل آخر ووضعت على عيني كل منهم عصابة من الشاس
وانقطن كان صديقنا في أول صف ملاصق لجدار العربة ويجلس بمحاذاة
رأسه فوق الكابينة حارسان اسراييليان بيدهما رشاشات وتحركت العربة
وتعالى الصياح ستكسر رجلاي .. يا اولاد الكلب الله يخرب بيتكم وتخيل
كل منهم أنه سيكون ضحية زملائه كما حدث مع غريق الصحراء .. فانهالوا
لعنا بعضهم لبعض .. وكلما طالت المسافة .. كلما زاد العذاب ..
حاول بعضهم الوقوف أو خلع العصابة ولكن الحراس زجروهم .

الهواء بارد .. ثم أصبح محملاً برائحة زهو البرتقال .. اكيد يمرون
الان بين بيارات البرتقال الفلسطينية التي طالما سمعوا عنها .. صياح المارة
يصلهم .. لقد دخلوا مدينة .. أصوات موتسيكلات وعربات تحيطهم ..
انهم يذفون عارهم .. ويمتعون مدينتهم بالمنظر المخزي لرجال مصر
الصناديد .. صياح لفتيات .. شتائم للنبي محمد ماله محمد وأحداث تمت
بعده بالف وثلاثمائه عام .. شتائم لعبد الناصر .. شتائم لام كلثوم ..
شيء غريب أن يعرف رجل الشوارع ما يوجههم لهذه الدرجة .. الاصوات
تضعف وتعود رائحة البرتقال .. لا بد وأن المنظر جميل .. كانوا يشعرونه
مز نسمات الهواء الرطبة المعطرة برائحة الحدائق .. أحدهم يعرى العصابة
ليرى .. عجيب هذا الانسان يخاطر بحياته في سبيل أن يرى .. ولكن
معظمهم لا يملك شجاعته أو استهوائه فهم يعرفون الا ثمن لهم .. ولذلك
فهم حريصون الا يعطوهم المبرر لاغتيالهم الذي خلع العصابة يصف لهم المنظر .

نحن في قول عربات .. امامنا ميكروباس يركبه الحراس اليهود وبعض
المصريين ... آه شلة المنتفعين .. الشجر على الجانبين أخضر وكثيف
(نعم .. نحن في الربيع) والورود والزهور تملأ منتصف الطريق وعلى
الجانبين .. (آه .. انها الجنة ..) العربات تجرى حولنا بسرعة .
ياه .. سيدات بالمبايوهات اليكيتي في العربات المكشوفة ... (لا بد

وانهم بقرب البحر) .. العربيات تتقف .. بنات صغيرات - يندممن تجاه
الميكروباس ويقدمن زجاجات النازوزه للحراس .. الله الله .. الزجاجات
منغيشة من قطرات الماء والبرودة .. يا نهار اسود .. وطى راسك طوبة
جاية ويحدث هرج في العربية فالجمع الاعمى يحاول أن يتوقى طوبة قادمة من
مكان ما لا يعرفه ويتنبيه الحراس لخطر الموقف فيسرعون بالحركة ..

ساعات طويلة تمر ببطء كل دقيقة تمضى بدون أخطار يحمدون الله
عليها .. والاطار تحيطهم من كل جانب .. حارس متهور او مدنى متحمس
يقذف بطوبة .. او ضغط الاجساد بعضها على بعض .. مع مرور الوقت
قل الحفر وابتدأت أعداد متزايدة منهم تخلع العصابات .. وظهرت أسوار
عالية في وسطها بوابة يتجمع حولها عشرات من الشبان والشابات بالميكروجيب
والمايوهات والشعر المسترسل أو البيتلز تهتف باللغة العربية شعارات
معادية وكلمات بخيئة لا تسمع في أحوالها يذنفون القادمين في ذلهم
بالطماطم وعلب الصفيح الفارغه ..

ودخلت العربيات من البوابة وسمح لهم رسميا بخلع العصابات ووجدوا
أنفسهم في الجنة ... حقا ...

أعداد كبيرة من الأشجار تشبه حديقة قصر المنتزه في الاسكندرية
أحواض الزهور والحشائش .. والشوارع المسفلطة الفظيفة وفي خلفية الصورة
جبل عال أخضر مزروع كله يظهر منه فنتاس مياه ضخمة .. ويتناثر عليه
مجموعات من المنازل الصغيرة التي لا يمكن تمييزها بسهولة .. ونسمات
هواء رطبة محملة برائحة البحر والزهور وصوت حريمى رقيق يتكلم بلغة
غريبة من الميكرفون .. قد يكون هذا منظرا عاديا في الظروف الطبيعية ولكن
لأنسان عاش حوالى الشهر في الصحراء لا يرى الا التراب واللون الاصفر
يعتبر المنظر مفاجأة مؤثرة ..

لقد كان هذا معسكر عتليت المكان الذى أعده الاسرائيليون للاسرى
المصريين - ليعيشوا فيه أجمل أيام صيفا ٦٧ على حد قولهم فى إذاعة اسرئيل ..

الفصل الرابع

عتليت

آن الاوان لكى أحدثكم عن نفسى قليلا أنا الكاتب . . كما سبق وذكرت لكم لقد تقابلت مع صديقنا أول مرة فى مستشفى للقوات المسلحة بقسم الامراض النفسية وكنت فى ذلك الوقت نقيباً طبيبياً يعمل بالقسم . . وكان صديقنا رائداً مهندساً حضر ذات يوم يشكو رغبته فى أن يطلق الرصاص على قادة كتيبته واللواء الذى يعمل بهما وعندما تخدينا معه اكتشفنا أننا أمام حالة خاصة ليست ككل الحالات التى نقابلها وأنه ذكى متفهم ولكنه مصاب باكتئاب نفسى شديد . . وأن لديه ما يقوله . . . بعد أن عانى من الاسر . . وشدنى صديقى اليه كحالة مرضية تستحق المناقشة وكأنسان ذى وجهة نظر تمسنا جميعاً . . فصارت بيننا صداقة غريبة . . هى خليط من ثقة مريض بطيبه وعلاقة مجروحين بخنجر واحد . . فرغم كونى طبيباً نفسياً متخصصاً بالقوات المسلحة . . الا اننى أيضاً انسان مصرى مصاب وان كنت أكثر قدرة على فهم مشاكل وأحاسيسى لذلك فلقد تقبعت حالته حتى بعد أن ترك القوات المسلحة . . وكان يزورنى فى عيادتى فى بعض الاحيان . . وكنت أسعى اليه فى بعض الاحيان . . وشفى صديقى . . ولكن انتم تعرفون ان كلا منا مريض بشكل أو بآخر بنسب مختلفة . . عندما أقول شفى صديقى فأقصد أنه أصبح يحمل النسب الطبيعى لانسان يعيش فى مجتمع مصرى .

وفى الفصل القادم سأنقل لكم ما خطه بيده من خلال مذكراته عن عتليت التى سلمها لى ولن أتدخل الا فى القليل فهذا الفصل لا يقرأ الا كما كتبه صاحبه .

عقلية قرية بجوار حيفا على شاطئ البحر الابيض المتوسط .. واهم ما يميزها هذا المعسكر الكبير الذي بناه الانجليز أثناء احتلالهم لفلسطين فهو بذلك يشبه معسكراتنا على القناة .. في الاسماعيلية والسويس .. المباني المبنية بالخشب والاسقف المنحدرة .. ودورات المياه الجماعية ذات الحوائط الانقرنيتية .

والمعسكر قريب جدا من البحر بحيث نستطيع سماع صوت الامواج في الليالي الهادئة .. ويفصله عن البحر حقول الغام محاطة بالاسلاك الشائكة .. أو قل ارض فضاء عليها يافطة بالانجليزية والعبرية تدل على وجود حقول الغام ..

والمعسكر مقسم من الداخل الى معسكرات فرعية كل قسم محاط أيضا بأسوار أسلاك شائكة وكل معسكر فرعي يتكون من عدة عنابر مبنية من الخشب كل عنبر يتكون من ٤ حجرات اثنتان منهما كبيرتان وهما اللتان على الطرفين والاخرتان اصغر قليلا .. ولكل حجرة باب وعدة شبابيك تفتح على شوارع فرعية مزروعة أر كانت مزروعة يوما ما .. والارضيات مبلطة موزايكو .. وفي مرحلة متقدمة وضعوا قضبان حديد لسد الشبابيك مع اتاحة الفرصة لفتحها ليلا ..

والمعسكر الفرعي المكون من عشر عنابر يخدمه مجموعه من الحمامات ودورات المياه المقامة بالخشب والانقرنيت والمعسكر يضاء بالكهرباء .. ومحاط بأبراج مراقبة تتبادلها الخدمات المسلحة برشاشات بلجيكية ومعلق بجوار كل برج كشاف كهربائي يدور طول الليل لكشف الطرق الرئيسية والفرعية الكثيرة التي تربط أجزاء المعسكر المختلفة .

ولاستكمال الحراسة تسير دوريات خدمة راكبة عربات جيب مكشوفة .. ولقد خصصت المعسكرات الفرعية لتضم الاسرى المصريين والسوريين والاردنيين .. بشكل نوعي .. فالجنود ٤ معسكرات والضباط الصغار

من ملازم حتى رائد لهم معسكر واضباط الكبار من مقدم حتى لواء لهم
معسكر آخر : * والمدنيون لهم معسكر خاص ..

ويضم معسكر عقليت بالاضافة لذلك عناصر للحراس الاسرائيليين
ومطبخا لاعداد الطعام للاسرى وآخر للاسرائيليين .. ومطعما لهم ومدان
الاستجواب بعضها أنشئ على عجل من الخيش .. كذلك يوجد بالمعسكر
مستشفى ميدانية لعلاج المرضى تحتوى على عيادة باطنية وعيادة أسنان
وأجزخانة وحجرات للمرضى .. ومعدات عتيقة جدا ..

وللمعسكر بوابة خارجية أو أكثر من بوابة ومحاط بسور مبانى
عال وأبراج حراسة كالابراج السابقة .. ويدار هذا المعسكر الكبير بواسطة
هيئة الادارة .. القائد ومدير المخابرات والاذاعة بواسطة ميكرفونات معلقة
بأنحاء المعسكر ..

والعمل جار ليل نهار لعمل انشاءات جديدة وتغييرات في المعسكر
بتحسين أسوار وشق طرق جديدة ..

ويقول الاسرائيليون .. أن الانجليز أثناء الوصاية على فلسطين
منعوا اليهود من الهجرة الا في حدود ضيقة .. ولكن لتدفق الاعداد الكبيرة
من المهاجرين اضطروا للقبض عليهم وسجنهم في هذا المعسكر .. ولقد اضطرت
العصابات الصهيونية (وهذا تعبيرهم الحرفي) .. في هذا الوقت لمهاجمة
هذا المعسكر أكثر من مرة وتهريب اليهود المعتقلين فيه لداخل البلاد ..
ثم تحول المعسكر بعد ذلك الى معسكر استقبال للمهاجرين بعد قيام الحكومة
الاسرائيلية يمضون فيه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشهر لاعدادهم
للحياة في اسرائيل عن طريق تعليمهم اللغة العبرية وأهداف قيام الدولة ..
والخطوط الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية .. ولقد استقبل هذا المعسكر
أسرى حرب ٥٦ وحرب ٦٧ واستعمل في الفترة بين الحربين كمعسكر تدريب
الشبيبة من ١٢ : ١٥ سنة أثناء الاجازات الصيفية .. وفي آخر المدة التي
قضيناها كانوا يعدونه ليكون معسكرا ثابتا للواء الجولانى الاسرائيلى
أقدم لواءات جيش الدفاع ..

هذه هي عتليت وهذا هو معسكر عتليت الذي قضينا فيه حوالي الستة أشهر ٠٠ معسكر اعتقال بجوار حيفا في حوض جبل الكرمل مزروع بعناية بالأشجار ومحاط بالأبراج من كل جهة وفي كل مكان ٠٠٠ وتقيم سعادنا فيه قوة إسرائيلية من الرجال والنساء ٠

جلسنا في صفوف متتالية واضعين أيدينا فوق رؤوسنا بتراخ ٠٠ ننظر حولنا باستغراب ٠٠ وأستطلاع ٠٠ وبعد الصدمة الأولى استطعنا أن نميز أن الصوت الانثوي ينادى من خلال ميكرفون باللغة العبرية ٠٠ ليسير العمل في المعسكر وبالتالي نستطيع أن نتصور مدى ضخامته ٠٠

نودي علينا ٠٠ ثم أعطى كل منا رقما أصبح لصيقا به بعد ذلك طول فترة الأسير ٠ الأسير رقم ٥١٧٦٣ هذا هو رقمي ٠٠

وابتدأوا في العمل منذ اللحظة الأولى التي وصلنا فيها ٠٠ كل منا حمل لوح اردواز عليه رقمه باللغة الانجليزية ثم التقطت لنا صور للحفظ في مملكتنا ٠٠

وانتقلنا بعد ذلك لملء الاستمارات ٠٠

اسمك ٠٠٠٠ ٩٩

وحدثك ٠٠٠ ٩٩

سنك ٠٠٠٠٠ ٩٩

ديانتك ٠٠٠٠

متى أسرت ٠٠٠٠ ٩٩

أين ٠٠٠٠ ٩٩

ثم انتقلنا الى مكان آخر لنسلم فيه الامانات ٠٠ وسلمت نقودي وأخذت أيضا باللغة العبرية ٠٠ ثم انتقلنا الى غرفة التطهير ٠

نخلع ملابسنا ٠٠٠٠ ورششنا ببودره التطهير ٠٠٠٠

ثم انتقلنا الى غرفة الدمع ٠٠ حيث دمغت ملابسنا بالدوكو ٠٠ مربع أصفر على كل ركبة للبنتلون ٠ ومربع آخر على الظهر وعلى صدر السترة علامة بهذا الشكل لـ كما وكذلك على غطاء الرأس ٠٠

وأستلم نل منا بطانيتين قديمتين ترحيان بأن الفمل والبق يجربان
داخلهما وان لم نجدهما أبدا .. ووعاء للاكل من الالمنيوم سميذاه سفرطاس
.. ولا أدري من أين جاء هذا الاسم وهل له علاقة بالاسم الحقيقي أم لا ..
ومعلقة .. أصبحنا الان أسرى حقيقيين .. لنا رقم ومعنا عهدة ..
والقنطت لنا صور كنت أتمنى أن أراها فبالأكد كانت تستحق المشاهدة
.. وجلسنا بدون وضع الايدى فوق الرؤوس في انتظار باقى الزملاء .

مر علينا مجموعات من الجنود الاسرائيليين .. شباب صغير السن
يحملون ادوات اكل تشبه ادواتنا .. بعضهم يحمل زجاجات غازوزة منلجة
.. برتقال وليمون .. والآخرون يقضمون في برتقالة كبيرة .. والكل
لا يهتم بنا فعندهم منا الكثيرون ..

الظل مريح .. لاشك أن متاعبنا ستصبح أقل .. ان الوصف
الذى سمعناه قد يحمل جزءا من حقيقة .. الاسرة .. والمياه الباردة
والساخنة .. والمطعم .. وأدوات التسلية .. معنى هذا انهم يريدوننا
الا نكرههم .. محاولة للتقرب .. بل محاولة للتأثير .. لهذا شحنوننا
في عربات الزلط وبهذه الطريقة اللا انسانية .. لكي نصل الى ما يريدوننا
ان نفهمه .. وهو أننا نعيش في جنة .. لا ان العربات كان المقصود
بها استعراض أسراهم وخزينا وعارنا .. وقد يكون للضغط قبل الاسنجواب
.. وقد يكون لترك انطباع عن المصريين بأنهم مجموعة من البهائم المتخلفة
لدى الشباب الاسرائيلى .. قد يكون ..

نحن الان في طريقنا الى المكان الخاص بنا .. خلف السور يقف
مجموعة من الزملاء .. حضروا قبلنا .. نظراتهم غريبة .. خليط من الترحيب
والحزن والرثاء .. حركاتهم خليط من اليأس والكسل .. لايد أننى أعرف
منهم الكثيرين .. الوجوه لا أرى فيها من أعرف .. أين أقاربي .. أين
أصدقائى .. لعلنى واجد أحدهم هنا .. هنا خير من الموت .. وهل لا يوجد
حل آخر .. الاسر .. أو الموت .. نسبة ضئيلة للنجاة .

أحدهم ينادينى .. زميل قديم .. بالحضن .

— الحمد لله على السلامة ..

— أى سلامة هذه ..

- برضه هنا أحسن ...
- كيف الحال ؟؟
- يعنى
- بتاكلوا كويس
- يعنى
- آين تمام ؟؟
- هنا
- على الارض !!
- نعم
- ثم أشرت لادوات الاكل وسألت ...
- وما هذا ؟؟
- هذا تملؤه ماء .. لان الماء ينقطع طول اليوم واثناء القفل
- مستغرب - قفل !!
- بعد الساعه ٥ بيقتلوا علينا الابواب حتى الصباح ...
- وهذه لتأخذ فيها الارز ... وهذه للخضار ...
- الا يوجد مطعم ؟؟
- يا سلام ... سيأسرونك فى الهيلتون ان شاء الله
- ومن الذى يغسلها ... ؟؟
- انت بالطبع ...
- والهدوم ... ؟؟
- انت برضه ...
- هل يوجد صابون ...
- لا
- دقنى طويلة عايز أخلق وعايز استحم ...

قال ضائقا - أصبر يا أخى .. ستعرف كل شيء .. ابحت عن مكان
لقتام فيه اولاً وبعد ذلك سنرى . دخلنا حوالى عشرين صابطا الى حجر-
من الحجرات الكبيرة .. كل منأ فرش لنفسه بطانية على الارض . وأدار
الآخرى على هيئة مخدة .. وجلسنا ينظر بعضنا لبعض .

الوجوه أصابها خيبة الأمل .. أين الميز ..؟ أين السراير ..؟
الحمامات ..؟ على كل حال أحسن من القراب ... والارض ...

ذهبت لدورة المياه .. يا للقدارة .. لا تطاق صغان متقابلان من
الفتحات تحتها خندق وعلى المسنفل أن يجلس أمام الآخرين يؤدي حاجته
ويرى الآخرين ويرونه .. ويسمع الاصوات ويشم الروائح .. منظر
لا انساني ...

سألت زميلي - من هؤلاء ..؟

- أردنيون ... وفي الناحية الاخرى سوريون ...

- هل يمكن التكلم معهم ..؟

- ممكن .. ولكن احذر الكلام هنا .. معظمهم جواسيس ينقلون الكلام

- كيف عرفت ..؟

- يقولون ...

رعب فقدان الثقة .. ذل .. ملل .. انتظار .. تفكير .. خوف على الاهل

.. توتر شديد هذه هي الحياة هنا ...

ومن الان بهتت الاحداث .. أصبحت صورة مرسومه بالطريقة

للتأثيرية ... اذا نظرت لتفصيلاتها لا تجد شيئاً .. ولان من على بعد

تستطيع أن تحدد اشكالا ... كأننا نعيش في عالم ثابت يخالف عالم

المتغيرات الخارجى .. ولكن .. هل يوجد ثبات في هذه الحياة ...؟

لقد كانت هناك تغييرات لا نشعرها .. دأنا في مركب بعرض

البحر .. لا نرى الا الماء من كل جانب في الخارج .. ولا نرى

الا انفسنا .. نفس الوجوه .. ونفس الاشكال من الداخل .. ويمر

يوم .. يومان ونشعر أن المركب لا تتحرك .. ولكنها تتحرك فعلا وحتما

سنصل الى شكل آخر .. متغير .. بعد ساعة .. بعد شهر .. بعد

سنة .. ولكن حتما سيحدث تغيير .. لان الارض تدور .. ومع دورتها

تتجدد الحياة وتتغير .. هل شعرت طول حياتك بأن الارض تدور ..

أنا أشعر الان .. بأن الارض تدور ... أشعر بأن الارض تدور .. وهذا

#

أملى .. والا سابقى هنا للابد ..

جلست على بطانيتى المفروشه •• قرفصت •• رقدت •• اعتذلت ••
جلست •• ربتت •• ماذا افعل •• هل سيبقى هكذا مهمتى
النوم •• والنوم •• والنوم •• تنابله السلطان الذين كنا نسمع عنهم فى
الحكايات •• اريد ان اخلق •• ان اغسل راسى ووجهى •• ان استحم ••
ان اكل •••

وخرجت من الحجرة الى الفناء الخارجى •• ادخل الجنود وعابى
كبيرين من البطاطس واللحم والارز •• اندفع الضباط كل يحمل فى يده
ادوات اكله لاخذ نصيبه •• كل منهم يحاول ان يحصل على اكبر جزء
من الطعام •• الضباط تقضارب •• تقشاقم للوصول للاكل •• الاكل
يقارب على الانتهاء •• رائحة الطعام تحرك أحشائى ••• أفرز كمية هائلة
من اللعاب •• أبصق •• الضباط يزداد هياجهم كلما قلت الكمية •••
الجنود الاسرائيليون يتجمعون خلف الاسوار يتفرجون علينا •• ضباط
نو رتبة كبيرة يصيح فى الضباط •• انتم همج •• احنا ناس
متعلمين •• وعسكريون تعلمنا النظام حتى فى الاسر نقف طابور ••
يوقفهم فى طابور ويقف فى اول الصف لاخذ نصيبه ••• ينصرف تعود
الفوضى ثانيا كما كانت •• ماذا حدث للرجال •• نحن فى غابة •• لكى
تعيش لابد وان يكون لك قدر هائل من المضلات •• والصوت القسوى
العالى •• والبجاجة الكافية لرد شتائم الاخرين ياخذ منها •• هل معنى
ذلك ان الانسان يردد الى طبيعة الغابة والتوحش مع اول فرصة تواتيه
للتخلص من قيود المدنية المفروضة عليه •• أم هل هى طبيعة شبعنا وان
الحضارة لدينا قشرية تزول بسرعة مع اول اختبار •• هل كل شعوب
العالم بهذه الطريقة يتصرفون •• لو كان هؤلاء اسرى انجليز ••• امريكان ••
روس •• فرنسيين •• هل ••• ٩٩

اسئلة كثيرة صدمتنى وأنا اناضل للوصول الى قدور الطعام لاخذ
حبات قليلة من الارز والبطاطس وقطعة لحم •• اهدى بها صراخ
معدتى •• وضعت الادوات بجوارى بعد ما فرغت من الاكل وحاولت
ان اتابع حديثًا دلثرا بين الرائد عادل والملازم محمد وهو ضابط
من كتبيته [٩٩]

- هو مفيش أكل يا محمد ولا آيه ... ؟
 - زحمة يافندم على القزان ...
 - طيب م تاخذ تجيب لي أكلى ...
 - والله يضربونى .. يفتكروا انى حاكل مرتين ...
 - يعنى لازم أروح بنفسى .. آيه الغلب ده ...
 - الرائد توفيق يتدخل فى الحديث ...
 - لو لقيت أكل .. الاكل خلص خلاص ...
 - يعنى آيه .. تعينى مين اللى أكله ...
 - فوضى شديدة ...
- يخرج ثم يعود متحسرا هائجا .. الشعب الهمج ده .. تصور فعلا
الحلل فاضية .. لا .. لازم يتنظم المعسكر ده .. اذا م كناش عارفين
ننظمه اليهود ينظموه .. يرضى مين انى أفضل جعان .. ويتجمع الرواد
فى حجرة من الحجرات للمناقشة .. الحجرة مزحمة جدا .. أصوات
عالية حرقها الجوع .. فصغار الضباط بنقوتهم استطاعوا الحصول على
أكبر جزء وتركوا الكبار بدون أكل ...
- المناقشة تزداد سخونة ...
 - أنا دفعة ٥٢ ...
 - لكن أنا فى أول الدفعة ...
 - رقم أدميتك كام ...
 - يبقى صفوت أقدم الضباط ...
 - لا عبد الله الأقدم ...
 - أنا ياسيدى متنازل عن اقدميتى ...
 - خلاص صفوت ينظم الموضوع بقاع الاكل ...
 - أنا لا اتحمل المسئولية منفردا .. يجب أن نقسمها بالتساوى ..
 - ياصفوت لازم تقوم بدورك ...
 - أنا مقلتش حاجة .. لكن تقموا المسئولية معايا .. احنا هنا
كلنا أسرى ...
 - يرضيك العيال ياكلوا أكلنا ...
 - نقسم المعسكر لجموعات ويتولى القيادة فى كل مجموعة أقدم
رائد ...

- والتعيين ياصفوت . . .
- المشكلة مش مشكلة تعيين . . المشكلة اننا امام نظر وسمع العدو . . . ولا بد ان نظهر بمظهر مشرف . .
- العدو اختبرنا جيدا في الايام السابقة ويعرف من نحن . . .
- مش مبرر اننا اتأسرنا وانهزمنا اننا نستسلم للفوضى . . شرف بلدنا وحضارتنا متوقف على مظهرنا هنا . . لا بد من السيطرة الكاملة على المعسكر لذلك أقترح ان يصبح أقدم رتبة في كل حجرة مسئولاً عن حجراته . . وأقدم رتبة في كل بلوك مسئولاً عن بلوكه . . وتقسّم البلوكات الامامية بقيادة والخلفية بتيادة . .
- ما لزوم كل هذه القيادات . . .
- لزومها اننا نبقى بنى آدميين مش وحوش . . بلدنا عرنت التقسيمات الادارية من خمسة آلاف سنة . . .
- والتعيين ياصفوت . . .
- أقدم ضابط في البلوكات الامامية يعاونه طقم توزيع رئيس شئون ادارية وضباط للتوزيع . . رئيس الشئون الادارية يستلم تعيين البلوكات والضباط توزعه تحت اشرافه . .
- طيب موافقين . . الرائد يحيى يصبح مسئولاً عن البلوكات الخلفية . .
- والرائد فريد يصبح رئيس الشئون الادارية للبلوكات الامامية . . .
- وأنا شايف ان الفوضى التي نعيش فيها نتيجة لقلّة الوعي . . ومن رأيي اننا نعمل ضابطاً للتوجيه المعنوي والرائد ثروت أندر الموجودين فهو . . .
- موافقون . . . موافقون . . .
- وانفض الاجتماع بعد ما تكونت الاسس التي ستحكم المعسكر وتديره . . هذا الشكل أكثر تمدنا . . والا أصبحنا وحوشا نتصارع . . ولكن ترى هل ستنجح هيئة الادارة الجديدة . .
- الساعة الخامسة . . العشاء . . قزان به طعام أبيض . . الرائد فريد يستلم القزان ويستلم خياراً وطماطم وبصلًا . . وأرغفة طويلة

متضخمة تشبه عيش التوست •• ضباط الشئون الادارية وأطقم التوزيع
تستلم الطعام •• الضباط يتجمعون حولهم •• الرائد يحيى يصرخ ••
الضباط تتشاجر معه •• يدورون على الحجرات •• الضباط تتجمع عند كل
حجرة •• تتدافع •• تنصائح لم ينسوا درس الغذاء •• العشاء ملعقتين
من الطعام الابيض وخياره أو طماطماية أو بصالية •• ورغيف عيش
للاكل على ثلاث وجبات •••

الطعام الابيض له طعم الجبن •• أو اللبن الرايب •• أو اللبن
الزبادى •• نتناقش طويلا حول ما هو •• الرائد توفيق يقول انه شربة
جبنة •• الرائد عادل يخطف طماطماية كبيرة •• لقد كان الرائد الذى
اختطف علبه السجائر فى العربة •• وجوه كثيرة اراها لأول مرة ••
احاول أن أحفظ اسماءهم •••

الجنود الاسرائيليون يدخلون المعسكر •• يصفقون بأيديهم ••
يحملون رشاشاتهم مصوبة نحونا •• آن وقت القفل الضباط يدخلون
حجراتهم •• الجنود الاسرائيليون يتممون على الضباط بالحجرات ••
يقفلون الابواب من الخارج بالاقفال •• التعليمات أن تبقى الاضواء طول
الليل بالحجرات •• لا تطفىء الانوار •• الليل يحل •• الشيخ محمد الذى
شرب بوله يقوم ليصلى •• أحاديث ثنائية أسمع منها خرم ••
أبو عجيلة •• اللواء العاشر •• اللواء المدرع •• العقيد ••
العميد •• الرائد •• الطيران •• الحرب •• اليهود •• القتل ••
العطش •• الموت •• الاسر •• أصوات فى الحجرة المجاوره •• الله •• الله
الله •• الله •• حلقة ذكر •• ادعية ••

- ما هذا هل ستقاوم اليهود بالذكر ••
- ابتسامات خفيفة لا تصل الى ضحكات •• نتثاب - أريد أن أنام
- لكن قائد الكتيبة ورئيس العمليات راحوا فين ••• ؟
- هربوا زى الباقين •••
- ولا الضابط اللى أخذ العربية وجرى •••
- ربنا ينتقم منهم ••• فهم السبب •••

ويمر الليل بطيئاً نقيماً فيه ما حدث لنا في سييئاء .. وكيف
أسرونا .. وكيف نجونا من الموت وكيف خانوا .. وكيف .. وكيف ..
حتى نسقط من التعب نائمين ..

في السادسة صباحاً .. يفتح الحراس الابواب .. ويقتمون علينا ..
ثم يتركوننا لنذهب لحدوات المياه .. الماء يسمح به ساعتين صباحاً ..
وساعتين قبل قفل البوابة .. وحول الحنفيات نتجمع لنغسل أوعيتنا
وملابسنا ونملاً الاوعية الخاصة بالماء .. ثم نرتب بطناياتنا ونجلس
في الحجرات لنعود الى اساطيرنا القديمة عن الحرب ..

تعرفت به ملازم أول شاب .. أسمر .. طيب .. رياضي .. اسمه
بيومي .. منذ تخرج من الكلية الحربية وهو يعمل باليمن ضابط استطلاع ..
كان فكياً ولماً .. كان يقص لي قصته .. لقد أحضرونا من اليمن ..
ركبنا القطار المتجه للقاهرة .. بمهماتنا وكل ما أحضرناه من اليمن ..
الثلاجات .. والريكوردرات .. والتوينزات .. وفجأة صدرت الاوامر
لسائق القطار بالدوران والعودة .. ثم أتجه الى سييئاء .. فالعريش
ومنها ذهبت رئاسة اللواء وكتيبة الى منطقة بجوار الحسنة اسمها خرم ..

- مين قائد اللواء ... ؟

- العميد خيرى ...

- انت كنت فى اللواء ١٢٠ ... ؟

- آه ...

- انت ضابط استطلاع ... ؟

- آه ...

- منذ رأيتك وأنا أحاول أن أتذكر أين رأيتك قبلاً .. الم تستلم

منى المطارات التى أعدتها لطائرات المشير ..

- آه .. آه .. فعلاً .. تذكرتك .. بعد ذلك ضربتنا الطائرات

الاسرائيلية بالنابالم ...

- وكانت لنا كتيبة متأخرة .. اصطادوها عند الكيلو ١٦١ .. وهى

فى طريقها لخرم .. لم ينج منها أحد ...

- فعلا .. قالو ان خرم كانت مضروبه بالخابلم ...
- يوم ٦ يونيو العميد خيرى ورئيس الاركان ذهبوا لقيادة الجيش
أخذوا أمر الانسحاب فأرسلوه لنا مع سائق عربة الاستطلاع لنخبر
الوحدات .. وكلفنى قائد الاستطلاع بتبليغ الكتائب .. ضللت
الطريق ولم أستطع العودة فأول مرة أدخل سيناء .. وأخيرا ..
قبضوا علينا بدون مقاومة .. ولا طلقة ... !
- نفس القصة .. العميد خيرى فعلا لم يكن مقتنعا منذ البداية
بما يحدث ..

زهقت من حديث الحرب والهرب والانسحاب .. ومع ذلك لم أستطع
ان أتخلص من سماع القصص صباحا ومساء .. كان لابد أن نتكلم ..
كان لابد وأن نشتكى ..

أنا قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات فى اللواء ١١٨ .. كان علينا
حماية المثلث عند الكيلو ١٦١ .. أنا سريتى ممتازة .. كانت السرية الاولى
فى الفرقة .. فى كل الاختبارات كفت احسن قائد سرية مدفعية مضادة
للدبابات .. كنت تدخل مكتبى نفسك تفتتح .. داهنه زيت وفارشه
بارضيات خشب بتاعة انساكر .. كانوا زيادة فى العهدة .. ومجلد المكتب
بورق ضرب نار .. كنت ضابطا ممتازا .. والله .. لكن الجيش ..
غريبة .. تصور قالوا انسحبوا الى مكسر القناجيل .. أرض كلها رمل
وغرز العربيات غرزت .. زقيت المدافع بايدى .. ونصبنا المدافع ..
موانير العربيات فوتت عربيات خفيفة بتشد المدفع بصعوبة .. فى الغرز
لازم تقوت .. المهم .. الجنود فى الخط الاول انسحبوا .. من
ابو عجيله .. غرقانين دم .. مفيش فايدة .. الخطوط تنهار بسرعة ..
جنودى روحهم المعنوية انهازت .. وفى وسط الهيصه دى .. قالوا لا ..
ارجعوا تانى .. أزاى نرجع .. السرية انفطت .. لم أستطع السيطرة
عليها .. نصف المدافع فى الغرز .. والجنود فقدت حماسها .. والقيادات
فقدت سيطرتها علينا .. سهرنا طول الليل نسمع الضرب والطلقات
الكاسفة .. قائد كتيبة المشاة الذى كنا نعاونه مشى .. الناس كلها
انسحبت بأوامر .. بدون أوامر .. لا أعرف .. لم أجد فى مركز القيادة
قائدا. واحدا .. رجعت .. حرقت أوراقى .. ولكن نسيت شسانون كان

يه مذكرات فرقة قادة السرايا .. ومذكرات طبعتها مدرسة المشاه ..
ومذكرات فرقه المساحة .. كانت ممتازة كنت مجلدها .. ومهتم بها ..
نسيته في الشانون ..

سألته - أنت قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات .. في ايدك أقوى
سلاح لضرب الدبابات التي أربعتنا كلنا .. المفروض الاتخاف منها ..
ما الذى أخافك .. لماذا لم تمت فوق مدفعك .. لماذا لم تنتظر حتى
تستعمل مدفعك .. على الاقل كنت ستضرب دبابة .. اثنين .. ثلاثة ..
أى حاجة يشعرون اننا بنقاوم .. هذا شغلك .. حياتك .. ليه .. ؟؟

وايه يعنى دبابة .. وايه يعنى لما نقاوم ما كان سيحدث
أنى ساهوت أنا وطقمى بعد أول طلقة .. حتى دون أن نصيب .. في المدفعية
شئ اسمه تصحيح .. بنضرب أول قذيفة .. وبعد ذلك نصحح عليها ..
المفروض أن نعمل في وسط مجموعة تحميننا .. تضرب معانا .. المدفع
له لهب قوى جدا يكشف موقعه من أول طلقة .. ونضرب بعد ذلك ..
وإذا كان القادة هربوا هل سأكون أكثر منهم حماسا .. كلهم هربوا ..
كفاية الويل الذى وجدناه طول الطريق ...

مشيت .. أخذت معى زهومية وزجاجة كولونيا .. وعلب فول ..
وغيارين في شنطة .. الطريق أعرفه جيدا .. إذا استمررت في السير سأصل
الى الاسماعيلية .. مشينا انا وآخرون .. حوالى عشرين كيلو .. الدبابات
ضربت كلها .. أوغرزت .. الورشة كانت محروقة .. قلنا نستريح قليلا
فيها .. دخل اليهود بعرباتهم ضربوا المعسكر كله أسرونا .. بينهم بنات
زى القمر .. منهن واحدة قربت منى وسألتنى انت من الظاهر طلع عليه ؟ ولع
سيجاره من سجائره .. فمنا على الارض .. العربيات تدور وتتجه نحونا
بسرعة من بعيد .. وتفرمل عندنا .. قبلنا ببوصات .. كنت بتكلم انجليزى
زى اللبلب البنت أحضرت لى كوبا من الليمونادة الثلجة .. استجوبونى ..
قلت أنى ملازم جديد لا أعرف شيئا .. ضربنى بعصاية فيها مسامير ..
عندهم خريطة لسيناء بالكامل مكتوب عليها بالعبرى .. كانت أياما سوداء ..

أنا كنت في لواء مدفعية .. بين خرم والمطلة .. كنا مجموعة اللواء
ياقوت ... أقدم الاسرى .. معانا هنا .. كنا ثلاثة لواءات مدفعية ولواءين

مشاة احتياط .. كان واجبنا مصيدة للدبابات اليهودية .. كنا في مكان لا يعرف عنه شيئا .. لم نر الحرب يوم ٥ ، ٦ يونيو .. وكأنا لواءات لجيش آخر .. يوم ٧ يونيو اتصلت بنا القيادة من وهران الساعة ٤ ظهرا . وهران .. القيادة سقطت صباح يوم ٧ يونيو الساعة ١١ على

وجه التحديد

– انتظر حتى تعرف باقى الحكاية .. الو .. ياقوت .. هل تستطيع الانسحاب الى الحسنه .. قلنا .. نستطيع ..

بعد نصف ساعه ... الو .. الوياقوت طريق تمادة مؤمن انسحب عليه .. اللواء ياقوت الحقيقة عمل انسحاب تكتيكي كما هو موجود في الكتب .. بعد آخر ضوء ... لواءات المشاة أولا .. وبعدها لواءات المدفعية .. والاضاءة مقيدة .. وخرجنا من حفرنا .. وانطلقنا في الطريق لتمادة .. وبالقرب من تمادة .. وجدنا سدا ترابيا .. وباعت ضوء .. ورشاش متوسط ومدفع هاون .. عندما اقترب القول من السد .. تسلط علينا الغمراء البروجكتور .. دخلنا في دور من الفوضى العجيبة .. الهاون والرشاش ابتدا في الضرب والناس لم يستطع أى قائد أن يسيطر عليهم .. ذلهم ضغطوا على السد .. وابتدأوا يضربون بعضهم بعضا .. وانتهت تماما السيطرة على اللواءات الاحتياط ..

قائد اللواء مسكين .. كان واقفا فوق عربته الجيب ينادى ويصرخ .. ولكن لا مجيب .. تداخلت اللواءات بعضها داخل بعض .. وأخيرا .. فك أحدهم مدفع وعمره وأطلقه في اتجاه البروجكتور .. طلقتين .. احضرنا بعد ذلك بلدوزر .. فتح ثغرة في السد وتحركنا ثانيا على الطريق .. لكن في فوضى غريبة .. بعد حوالي مائة أو مائتين من الامتار وجدنا سدا آخر .. ونفس الطقم .. وهذه المرة كانت كافية لينفرط عقد خمسة لواءات – كان من المفروض أن تكون مصيدة دبابات .. وفي داخل الصحراء المحيطة بطريق تماده وعلى الجانبين .. انطلق كل منا يبحث عن طريق للعودة .. وفي اليوم التالي كانوا يجمعوننا مثل السمان المنهك بعد رحلة طويلة .. ويسقط في أول شبكة مفرودة على الشاطئ ..

– مش معقول الناس دى كانت فهمانا بالشكل ده ..

– ولاد .. عرفوا انهم لو هاجمونا في خنادقنا .. كنا كبدناهم

خسائر شديدة • كانوا خسروا •• فكروا يدمروننا بأيدينا ••
هذه هي الحرب الحديثة ••• بالطبع لا يوجد مبرر لاقول ان الاشارة
التي ارسلتها القيادة في الحقيقة ارسلتها القيادة الاسرائيلية من
مركز قيادتنا وعلى أجهزة اشارتنا بعد ما انسحبت القيادة وتركت
الاجهزة والخرائط •• والشفرة ••

- منتصرون ••• يبتكرون ويخططون •• وينفذون بجراءة •• كنت
قائدا لسرية مهندسي اللواء العاشر مشاة •• وهو لواء مستقر منذ مدة
طويلة في القسيمة •• يوم ٤ قرروا تغيير مواقعنا وتكثيف حقول الالغام
لذلك اخذت ٥ عربات لصرف الغام من العريش وفرصة اكلمهم في البيت
من السنترال •• صرفت الالغام ونمت الليلة في النادي •• صباحا كلمتهم
من سنترال العريش وفي الطريق للقسيمة هاجمنا الطيران •• قفزت خارج
العربة وبعد ذلك بدقائق انفجرت عربة تلو الاخرى •• قنابل ذرية •• تخيل
عربة محملة بالالغام وتنفجر •• ضللت الطريق في الصحراء •• حتى ورمت
قدمي من المشى •• وكدت اموت من العطش •• التقطتني دورية اسرائيلية
قلت لهم اشرب •• قالوا امش لن نسقيك •••• قلت لهم لازم اشرب ••
خذوني معكم أو اسقوني •• وتشبثت بهم •• حتى اخذوني ••

انت كنت ستموت من العطش •• أنا كنت سأموت من الشرب ••
كنت قائدا لنقطة مياه قرب عين الجديرات بالقسيمة كل الناس يتشرب
من عندي •• حتى يوم انسحبوا جميعا ولم يخبروني أنهم ينسحبون ••
تقولش رمية • في الزنقة يعرفونني وفي المصلحة يتركونني المهم دخلت المدرعات
الاسرائيلية القسيمة •• وقبضوا على •• سألني قائد المدرعات فين التتكات
•• أنا فاكر تتكات الماء •• أشرت له عليها •• قال لي لا التتكات ••
وأخيرا فهمت أنه يقصد المدرعات عندما اخذني لاحدها. وأشار لي عليها ••
ثم قال اين التتكات الخاصة بكم •• قلت له •• لا اعرف انسحبوا وتركوني
•• اخذني لفناتيس المياه تخيل انونا مسممة •• وأجبرني على الشرب
من كل فنطاس وكميات كبيرة حتى كدت أن اموت من كثرة الشرب •••

أما نحن فقد كنا في ابو عجيلة •• كنت قائد الورشة في نهاية ابو
عجيلة ••• وأبو عجيلة محصنة جدا •• ولا يمكن اختراقها من المواجهة
أبدا •• طالب القائد تدعيم لواء مدرع •• واجابت القيادة أنه قادم لنا لواء
•• واتفقنا أن اشارة التعارف هي أن يدخل مضيئا أنواره •••

- ودخل مضيئا أنواره حتى وصل الى الورشة فأطلق المدفعية ..
فلقد التقطت القوات الاسرائيلية الاشارة ودفعت لواءا مدرعا مضيئا أنواره
استقبلناه بالاحضان ورد علينا بالنيران

وهكذا مضت الايام الاولى من الاسر كل منا يتكلم عن مأساته ..
متصورا أنها المأساة الوحيدة .. ولا يمل من سردها أبدا .. حتى حفظنا
جميعا كل القصص ... حتى التصرفات الصغيرة منها .. وكنا نجد لذة
في الرواية ولذة في السماع ونسهر حتى أوقات متأخرة من الليل نعذب أنفسنا
.. بين الاهات والزفرات الحارة الحزينة .. واصبحنا نكملها عندما
يسردها صاحبها .. ثم ساد بيننا صمت مفاجيء عن رواية اساطير الحرب ..
خلال الاسبوع الاول لم تحدث أحداث هامة عدا تنظيم الادارة
للمعسكر واعتيادنا على النظام الجديد سوى بيان المخابرات الاول ..
وهذا البيان له قصة ...

في نهاية الاسبوع الاول وحوالي السابعة ارتفعت أصوات الميكروفونات
على غير العادة ليتكلم المذيع باللغة العربية في صوت ضخم قائلا « أيها
الضباط والجنود بالجيش المصري اليكم هذا البيان .. » ثم صوت الرئيس
عبد الناصر .. يقول « لقد فقدنا أكثر من ثمانين في المائة من معدات الجيش
وأنه لم يكن موجودا من يدافع عن قناة السويس .. » ثم صوت المذيع
ينعى الجيش المصري ويرجع ذلك الى شخصية الرئيس العدوانية النزقة ..
ثم نسمع صوت عبد الناصر قائلا « أنا المسئول عن كل ما حدث .. »
ويتركنا البيان معلقين .. لا نعرف ماذا يحدث في بلدنا .. هل حقا
عبد الناصر الذي قال هذا الكلام .. هل هذه مسرحية متقنة .. هل معنى
ذلك أن الجيش قد تدمر .. وأن اليهود قادرون فعلا على الوصول الى
القاهرة .. وتذكرنا ما كانت الاذاعة الاسرائيلية تذيعه في بداية الحرب
كانوا يوجهون نداء يقول « أيها الجندي المصري نحن لا نريد بك أذى ..
عندما تشاهد جنود جيش الدفاع الامرائيلي الق سلاحك وارقد ماذا يدريك
أمامك وجنود جيش الدفاع لديهم الاوامر بأن لا يصيبوك بضرر ..
وستقضى فصل صيفا ممتع على ضفاف البحر المتوسط في ضيافتنا) نداء
يحمل قدرا هائلا من الصفاقة لمن يستمع اليه في بداية الحرب .. ولا يتحرك
الا ابتسامة خفيفة اذا كنت مؤدبا ... ولكنه يصبح شيئا يمكن التفكير
فيه بعد الاسر ..

ودارت المناقشات بعد انتهاء البيان .. معنى ذلك أننا هزمنا فعلا .. هذا اعتراف صريح من عبد الناصر .. وكأننا فوجئنا بالهزيمة .. وكأننا لم نعش المأساء كان عندنا أمل .. أى أمل .. وانتهى .. . لكن هل عيد الناصر هو المسئول الوحيد عما حدث بالتأكيد هو شريك .. ولكن النظام بالكامل مسئول .. الجيش .. والاعلام .. . ومجلس الامة الذى حل نفسه فى وقت الشدة .. والاتحاد الاشتراكى الذى لا وجود له .. ونحن ايضا .. مسئولون .. .

رد آخر - يابنى دول مجانين .. أصيبوا بجنون العظمة .. وطغوا وفسدوا هذه هى النتيجة .. شمس بدران ده .. كان .. الاها .. كان متحكما تماما فى كل شيء .. النظام كله يجب أن يتغير .. يجب أن نعود لديننا .. ولتعاليمه .. والأخلاقه .. فبين عبد الناصر .. من سيدنا عمر .. سيدنا عمر .. كان عنده جلابية واحدة .. كان بينام تحت الشجرة ونعله تحت رأسه .. . « عدلت فأمنت فسلمت فنمت يا عمر » ..

- يا أخى هو ده وقت مواعظ .. المهم آيه الحل .. ؟
- الحل تناموا وتتركونا ننام .. يا ناس ياهوه الواحد لا يستطيع أن ينام ساعتين ..

وبعد هذا البيان بإيام قليلة أذيع البيان الثانى .. وكان حديثا مسجلا بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين .. بالتليفون اللاسلكى ..
- الانجليز والامريكان هم اللى ساعدوهم والا الامريكان بس ..
- الانجليز والامريكان ..
- على كل حال .. شد حيل جلاتك .. احنا مبسوطين من الموتف المشرف لجلالتك .. وهى الحرب كده .. خسارة ومكسب ..
ثم .. . (كلام غير مفهوم) ..
- جلاتك تصدر بيانا واحنا نصير بيانا وحنقول للسوريين كمان يصدرون بيانا علشان نحصى الموضوع ..

ثم يتلوه المذيع معلقا على هذه الحادثة .. بأن الانجليز والامريكان لم يحاربوا معهم وأن الحرب كانت بواسطة جيش الدفاع الاسرائيلى .. ونتيجتها .. نتيجة لقوة تدريبيه وعظمة قيادته .. وأن موضوع التدخل الخارجى ما هو الا محاولة للتخلص من الازمة ..

ودارت المناقشات وأحتدمت فلقد كنا كمن يعيش في سرداب مظلم من العالم ... عجيب أمر انسان هذا العصر .. ان تعوده على أن يستيقظ كل يوم فيقرأ أخبارا جديدة عن العالم .. أو يفتح الراديو فيعرف ما يدور بأقصى الارض أمر جديد عليه حضاريا ... ومع ذلك فأنقطاع الجريدة أو نشرة الاخبار تشعرنا بأننا نعيش في سرداب مظلم مقطوع عن العالم .. كيف كان يعيش البشر قبل وسائل الاعلام ياترى ..

لذلك جددت هذه البيانات أوجاعنا .. وأجبرتنا على التفكير وكثرت المنازعات والمناقشات ...

- ليس هذا صوت عبد الناصر ...
- لا .. صوته وأنا سمعته من قبل في الراديو .. نفس الكلمة ...
- يريدوننا .. أن نفهم أنهم انتصروا منفردين ...
- هذا حقيقي .. هل رأيت طائرة انجليزية أو امريكية ...
- نحن بين أيدي أعداء تذكروا ذلك ...
- عايز عبد الناصر يكرر مسرحية ٥٦ ويخرج منتصرا ويحول الهزيمة والأنسحاب لنصر ..
- هل فقدنا الثقة تماما في بلدنا ..

هكذا كانت حياتنا .. في الاسابيع الاولى .. وكما هدانا قليلا حركتنا
المخابرات الاسرائيلية ٥٠

في يوم .. صحوفاً لتجد في لوحة الاعلانات في مدخل
المسکر صورة زنگورافية لجريدة الاهرام .. وفيها مقال لمحمد
حسنين هيكل من سلسلة مقالاته « بصراحة » يقول فيه أن الجيش الاسرائيلي
كان يخارب بطرق علمية أكسبته النصر وهي طرق عالية معروفة في الحرب
من حشد ومناورة وتثبيت وتطوير .. وأن القيادات المصرية اصحابها
الذعر والارتباك فلم تستطع الصمود ...

وبعد ذلك بأيام قليلة وضعوا مقال ل احمد بهاء الدين في المصور ..
عن ضرورة قيام دولة عصرية في مصر .. وأن السبب في الهزيمة أننا لم نكن
نأخذ أمورنا بمقاييس الدولة العصرية .. وأنه مستحيل أن يؤمن عامل
بلاشعراكية التي يتحدث عنها رئيس مجلس الاداره ذو العربه وجهاز التكيف

والملايس المستوردة .. وأنه لكى يؤمن الشعب بضرورة شد الحزام لاجد
وأن يرى شد الحزام هذا عمليا على قيادات العمل السياسى والمهنى ..

وكانت هذه المقالات أيضا .. تولد مناقشات حادة جدا .. فلم تكن
نقصور انه وفي نهاية حرب كهذه يستطيع كاتب مهما كان أن يقول ما يقولانه
.. البعض قال انها نسخ مزوره ويدلل على أنه بعد الانفصال طبعت سوريا
صورة مزورة من جريدة الاخبار تحمل خبر حدوث انقلاب فى مصر ..
ووفاة عبد الناصر والمشير .. مما حدا بجلال هريدى أن يضعف ويسبب
الحكم وفساده فى التليفزيون السورى .

ويرد آخرون .. بل هو أسلوب هيكل فعلا وأسلوب بهاء الدين
وهذه ليست بكذبة ..

- ممكن تقليد الأسلوب ...
- الكلام معقول ...
- وهل معقول أن يكتب فى مصر ...
- من أدراك ما يحدث الان فى مصر ...
- لقد تأثرت بدعاية العدى .. وفقدتم روحكم المعنوية ...
- وانت مغلق الفكر ولا تريد أن تفهم ...
- سنعود فى يوم ما .. ونعرف الحقيقة ...
- سننتقابل ..

وكان النقاش لا ينتهى .. حلقات مناقشة متتالية .. لكل منا وجهة
نظر .. وقدرة على التحليل والفهم والعناد ...

وفى الايام الاخيرة من الاسابيع الاولى .. احضروا لنا كتابا كتبه
مندوبو وكالات الانباء يحكى قصة النصر العسكرى الاسرائيلى .. حوالى
عشر نسخ .. وتركوها فى غرفة القيادة .. ذهبتم لاستعير نسخة ..
فرفض الرائد صفوت اقدم الضباط .. وأحالنى للرائد ثروت الذى حاول أن
يفهمنى بأنها كتب مسممة لافكارنا .. ثرت ثورة شديدة .. قائلاً ..
لماذا تنصب من نفسك وصيا على فكرى .. لماذا تتخيل أن قدرتك على
الفهم تفوق قدرتى .. أرجوك اعطنى كتابا ..

- هل تتحمل مسئوليته في مصر ...

- أتحملها .. هات الكتاب

وقرائته - كان يقص قصة الحرب .. والمعارك المختلفة .. مبالغاً فيها .. ومحاولاً - في نفس الوقت أن يدعى بأن الجيش الاسرائيلي خاض معركة حقيقية وأنه لولا كفاءته التي لا تدانى .. لما حقق النصر ..

وكذت دائماً ما أقول .. حقا أنه حقق نصراً يفوق أقصى تصورات اللواء مرد خاي قائد الطيران جنونا .. ولكن السبب لاننا أيضاً نقننا أقصى التصورات جنونا في الفوضى وعدم التخطيط والارتجال والغرور ... أن الانتصار الاسرائيلي في حقيقته هزيمة عربية ... فقط

تشبعنا في الايام الاولى .. حتى كدنا ننفجر ياساً وحزناً .. لا حديث سوى حديث المعركة ولا تصور الا تصورها .. ولا شيء سوى ماذا حدث لنا .. حتى يوم ٦٧/٦/٢٣ .. حدث تغيير خطير .. فأجهزتنا العصبية لم تعد، تحتمل التوتر التي ما لا نهاية .. ولذلك فأقد حدث الضد .. سهرنا طول الليل نحكى نكتاً ونضحك ... ونضحك .. ونضحك بأصوات عالية كأننا في حفل سمر .. محاولين لا نشعورياً أن ننسى مأساتنا .. وكانت هذه الليلة .. وبصورة متفاوتة في الحجرات المختلفة انتشرت موجات الضحك واللامبالاة .. وابتدأنا نلاحظ الصوت الانثوي الذي ينادى في الميكروفون .. وأصبح مثيراً جداً .. ومثيراً لخيالات لا نهائية .. وابتدأنا نلاحظ مرور المجندات الاسرائيليات في الشارع الامامى في طريقهن للمطعم والعكس .. البنات السمينه .. والبنات الطويلة .. والبنات أم شعر أصفر .. والتي تحرك مؤخرتها .. والتي .. الخ ..

وأصبحنا نطالب بإذاعة رتيهية ولو لساعات .. نريد موسيقى .. أغاني .. وهنا كانت المخابرات الاسرائيلية قد أتمت فترة الانضاج .. ووصلت فعلاً الى اللحظة التي تستطيع فيها أن تقابلنا وجهاً لوجه .. بل لقد أمدونا بصابون وأمواس حلقة .. حقا لكل ثمانية عشر ضابطاً موسى وقطعة صابون صغيرة .. ولكنه تطور يربطنا ياسانيتنا بشكل أو آخسر ...

حُلقت ذقنى .. لاول مرة .. حلقها لى زميل اذ لم نجد مرايا
للحلاقة ... وأخذت حماما باردا وغسلت أوفرولى ثم لبسته .. وشعرت
أن حالتى النفسية أصبحت رائعة .. فاليوم لاول مرة أشعر بأنسابيتى ..
وسمعت نداء .. ٥٧٦٣ .. هذا رقمى ..

- أفندم ..

- مطلوب للاستجواب ..

وذهبت لاجلس أمام أول مستجوب .. ماذا سيحدث يا ترى ؟

الموقف يخالف تماما لما تخيلته .. أدوات التعذيب .. والمعذبون
الغلاظ ذوو العضلات المفتولة .. لا وجود لهم .. وحل محلهم رجل بسيط
رفيق ملامحه عادية تشبه ملامح أى فلسطينى طيب ومهذب ..

كان ضابطا فى الجيش الاسرائيلى ويرتدى ملابس ثقيب ذى الثلاث
عصايات الصغيرة على الكتافة ... هذه هى اللحظة التى حاولت تخيلها
كثيرا منذ أن قبضوا على لاول مرة ... جأ ميعاد اختبارى .. اجمع
شجاعتك يافتى .. ألم نفسك ... فلتفرض احترامك عليه .. لست أقل
منه فى شىء ..

نظر الى باندماش .. وقال :

- أنت مصرى ؟

- نعم ..

- لا .. ملامحك تدل على انك لست مصرىا ...

- لماذا ؟

- لا اعرف .. ولكن عندى احساس بانك لست مصرىا ...

كان من الممكن أن تغضبنى هذه الاسئلة .. لولا أننى تعودت عليها ..

فكثيرون يقولون لى مثل هذا الكلام ..

- مصرى .. أبا .. وأما .. وجدودا ..

قلتها وأنا ابتسم لماذا يا ترى بدأ حديثه بهذه البداية الغريبة .. قد

يكون لاننى أول مصرى يقابله وتقنه معاوقة وملابسه نظيفة .. وحالته

النفسية مرتفعة .. مجرد مصادفة .. وقد يكون لان ملامحى أقرب

للشاميين .. وقد يكون ..

- اسمك .. وحدتك .. تاريخ ميلادك ...
- أسئلة عادية تماما ومسموح لنا بالرد عليها مفصلا ...
- ما رأيك في الحرب ...؟؟
- شيء سيء جداً .. أن يقتل انسان .. انسانا آخر .. أو أن يهدم انسان أعمال وعرق اناس آخرين ...
- ولماذا تحارب ...؟؟
- لانكم اجبرتمونا على الحرب ...
- لقد ايقتكم الحرب باغلاق مضيق تيران ...
- الحرب ابتدأت بقصف الطيران للمطارات ...
- يا حبيبي مضيق تيران يشكل حياة أو موتاً بالنسبة لنا .. ومستحيل أن تغلقوه وتجمعوا في سيناء آلاف المقاتلين ولا تقوم باجراء وقائي .. بذلك تصبحون انتم البادئين بالحرب .. ويؤكد ذلك سحبكم للبوليس الدولي ...
- كان ذلك بسبب حشدكم لقواتكم امام سوريا ...
- والله ... والله ... لم نحشد قوات .. لقد اخذنا سفراء جميع الدول على الحدود وأطلعناهم على الوضع وطلبنا من سفير روسيا ان يذهب ولكنه رفض ..
- حشدتم قواتكم امام سوريا ...
- ماذا اقول أكثر مما قلت .. ستعود لبلدكم وتعرف اننا لم نحشد .. بالنسبة هل والداك احياء ...
- نعم ..
- أو حشوك ...
- متعودان على ذلك .. وانا متعود على أن أعيش بعيدا لحد طويلة ..
- ربنا يرجعك لهم بالسلامة ...
- أرجو ذلك ...
- كلامي العربي كويس ...؟
- ليس رديئا ...
- تعلمته من أصدقاء فلسطينيين هنا ...
- لك أصدقاء عرب ...؟
- كثيرون ...

وكيف يعيشون ؟

- كويس .. بنعمل لهم مدارس ومستشفيات .. ونعطيهم عملا ..
ولكن احمد سعيد وهيكل .. والكلام الكثير .. يجعلهم باستمرار غير
راضين ..

- احمد سعيد وهيكل فقط .. وارضهم ومنازلهم .. وحياتهم ...
- من بقى منهم تركنا له ارضه .. وتركنا له وظيفته وعائلته ..
ولكن الذى ترك ارضه اخذناها لتعميرها ...

- ولماذا ترك ارضه .. لانه خاف على حياته منكم ...

- والله فكرتك مش مضبوطة بالنسبة لهذا الموضوع .. فى سنة ٤٧
احنا خرجنا بعربات معلق تليها ميكروفونات .. وكانت تنادى لا تغادروا
اماكنكم ... لن نؤذيكم .. لكن زعماءهم قالوا لهم اسبوع او اكثر وتدخل
الجيش العربية وينتهى الموقف ولذلك تركوا الارض على امل الرجوع فوق
مدرعات الجيش العربية .. ما ذنبنا فى هذا (لم اكن اعرف تفاصيل
هذا الموضوع جيدا ولذلك فلم استطع الرد وحاولت ان اتخلص من المازق
فسألته)

- انت متزوج ؟

- نعم ... وزوجتى فنانة ...

- اى نوع من الفن ؟

- رسامة ...

- بترسم كلاسيك .. ام مودرن ؟

- مودرن ... انت بتحب الرسم .. تعرف ترسم ... ؟

- افهم ... واتذوق ...

- بتحب السيريايزم ؟

- ولماذا السيريايزم بالذات .. افضل التعبيرية والتأثيرية ..

والتعبيرية ..

- انت بتفهم كويس فى الرسم .. احنا عندنا مدارس ورسامين

كبار ...

- ونحن ايضا ...

- انتم بلدكم فنونها قديمة .. من خمسة آلاف سنة .. اما الان

فهي متخلفة ..

- معلوماتك غير صحيحة تماما .. فلدينا كليات فنون ومعاهد
موسيقى وباليه ومسرح وسينما وأساتذة لهم معارض .. وينالون جوائز
كثيرة في المعارض العالمية تصوير .. ونحت .. وعمارة ..

- قد يكون هذا صحيحا .. ولكن الموسيقى ضعيفة ...

- لماذا .. لدينا موسيقى كلاسيك .. وموسيقى حديثة ..

واوركسترا سيمفونى

بدهشه - هل تعرف الموسيقى الكلاسيك ... ؟

- بالتأكيد ...

باختبار - من من المؤلفين تحب ... ؟

- تشيكوفسكى .. ريمسكى كورسكوف .. بتهوفن .. موتسارت ..

خاتشاتوريان .. باخ ...

- هل تسمع لباخ ؟

- نعم .. سبستيان باخ ...

- شىء غريب .. الم اقل لك انك لست مصريا .. المصرى يجب

أم كلثوم .. وعبد المطلب ..

- وما الغريب .. نحن شعب له حضارة عمرها أكثر من خمسة آلاف

سنة .. من عندنا نشأت الحضارة .. نحن الذين علمنا العالم .. ومرقان ..

في البداية وفي العصر الاسلامى ...

وابتدأت نظراته تتغير .. لم تعد نظرات الدهشة .. ولم تعد نظرة

تواضع من انسان متقدم لآخر متخلف من شعب متخلف .. وسعدت لهذا

التغيير فلقد فرضت عليه احترامى نجحت في تحويله من مستجوب الى

متعجب .. وخطرت لى فكرة لماذا لا ابعد عن الهدف الذى احضرنى من

اجله ... وفي فلسف الوقت أقنعه باننا لسنا شعبا متخلفا لاننا هزمننا

اعجبتنى هذه الفكرة .. وحاولت ادارة الحديث كلما حاول أن يفرعه الى

الناحية العسكرية الى حديث آخر .. عن الفلسفة .. والعلوم ..

والفنون .. والاجتماع .. والسياسة والتاريخ .. والحضارة .. اتسرع

عديدة متنوعة كانت تزيد نظرات الاحترام المزوجة بالدهشة كلما تكلمت

عن سارتر .. وهيجل .. وبرتراند رسل .. وفرويد .. ودارون .. حتى

حضر من ينبئه بانتهاء الوقت .. وتركنى ولم يأخذ المعلومات .. التى

يريدها .. وخرجت لاحاسب نفسى .. ما الذى فعلته .. هل هذا وثت

استعراض معلومات .. هل ما فعلته كان صوابا .. ؟
أم خطأ .. ؟ لماذا تصرفت بهذه الطريقة .. اعزاز وطني ..
محاولة للتغلب على الشعور بالنقص عن طريق الاستعراض ... فح نصبه
بمهارة رجل المخابرات ليتعرف من أنا .. قد يكون .. ولكنى تعلمت
درسا .. وهو ألا أخاف المستجوب .. هو رجل .. وأنا رجل ..
ولا فارق ...

وفي هذه الفترة تغيرت الحياة في المعسكر تماما .. فلقد ردم
الاسرائيليون دورة المياه المفتوحة والتي أستعملناها في بداية احضوريا
للمعسكر .. وفتحوا دورة المياه الاساسية .. وهي دورات تشبه
اي دورة في معسكر مصرى .. ولكنها قذرة جدا .. وسمحوا لنا بأذاعة
ترفيهية صباحا لمدة ساعتين .. ومساء قبل اغلاق العنابر .. وكانت اول
اغنية نستمع اليها في اسرنا .. أغنية لمحمد عبد المطلب .. وأنا مالى ..
وأنا مالى .. عمر الايام م حتلالى طول م أنت بعيد عنى يا غالى ..
وصحنا جميعا كأننا متفقون .. اولاد الكلب ...

ثم اغانى لام كلثوم .. فات الميعاد .. وبقينا بعاد ..
متصبرنيش ... م خلاص ... أنا فاض بيه ومليت ..
واغانى لشاديه .. سلامات .. سلامات يا غايب عنى ...

كلها اغانى تزيد الحنين الى الوطن .. وتزيد التساؤلات .. متى
سنعود ... لتكون شرخا فى اعصابنا .. وتزيد توترنا ...

وفي بعض الاحيان كانوا يذيعون بعض الموسيقى الراقصة قبل ذترة
الغذاء ... والمجنذات الاسرائيليات ذاهبات الى المطعم .. يرقصن وهن
ما شيات .. (تاكيلا .. ورقصات اخرى ..)

وزادت الدعوات للاستجواب .. وآمدوا مكتبة المعسكر يكتب اخرى
تتحدث عن النصر العسكرى الاسرائيلى ثم مجلة نيوزويك الامريكية .. وهى
تحكى قصة الانتصار .. تصبوزة موسى ديان .. فى المقال الرئيسى
وعنوانه « الرجل الذى حول القطط الى سباع » .. والمقصود بالقطط

هم جنود الجيش الاسرائيلي الاحتياط في الاغلب .. وعى اشارة الى انهم
مسالمون .. ولكن في وقت المعركة يتحولون الى سباع تحت قيادة السبع
الاكبر ..

كذلك وفي هذه الايام احضروا لنا كروت صغيرة لنكتب عليها ما لا يزيد
عن عشرين كلمة لاهالينا .. وكان خطابي الاول .. * ما زلت اعيش على
ظهر الارض .. وفي هذه الفترة أيضا .. احضروا لنا مجلات جنسية
امريكية كلها صور جنسية عارية ..

وهكذا خففوا الضغوط قليلا .. فأصبح في استطاعتنا اغلاق النور
في المساء دون تهديدات .. ولم نعد نستمع الى الطلقات الليلية للجراس ..
وصاحب ذلك تطور في الطريقة التي نعيش بها .. انتهى حديث الحرب ..
أو قل الى حد كبير .. وابتدأنا في الخدين، فن وسيدة لترفيه وقضاء
الوقت .. وتحولت الاحاديث تدريجيا الى الحديث عن السنينما ..
والجنس .. والنكت الجنسية .. والمغامرات العاطفية .. والاغاني الخليعة
كل يحاول ان يعوض النقص الذي اصابه بالمبالغة في مغامراته .. بالإضافة
لما دار في الاستجابات .. ثم ابتدأنا في عمل كتاشين من علب السجائر ..
وشطرنج من لبابة العيش ..

في الاستجابات الثاني .. طبقت ما تعلمته من الاستجابات الاول ..
الملابس النظيفة .. وحلاقة الذقن .. والابتسامه الواثقة .. واستقبلني
في هذه المرة لجنة .. ضابط ومترجم ومتفرج .. وأوراق كثيرة .. استجاب
عسكري هذه المرة ..

- ماذا كنت تعمل ؟ .. ؟

- ضابطا ..

- أي كتيبه ؟ .. ؟

- كتيبه مهندسين ..

- معلوماتك الهندسية ..

سؤال مباشر بماذا ارد .. لا استطيع اللف أو الدوران حوله ..

- أنا .. أنا دخلت الجيش منذ مدة قريبه ..

- ماذا تعرف ؟ .. ؟

- أعرف كل شيء .. ولكنني لا اتقن شيئا .. معرفة سريعة ..

- أنت رائد * * معنى ذلك أنك مسئول * * ؟
- المهندسون يصبحون روادا سريعا * *
- مدة عملك * * ؟
- سنه * * ؟
- وفي خلال هذه السنة تصبح رائدا * * ؟
- أضافوا الى مدة خدمتي السابقة في وظيفة مدنية * *
- ما نوع تخصصك * * ؟
- مهاري * * ؟
- بقبني عمارات في الجيش * * ؟
- مباني صغيرة * * بوابة * * مخزن * * سلاحك * * سجن * *
- واين كنت تعمل وانت مدني * * ؟
- في سيناء * * نفذت كل المباني الموجودة هناك * * في العريش
ورفع والشيخ زايد وبير العبد * * المدرسة الابتدائي هناك * *
- ومدرسة الصنایع في العريش * * قطع حديثي بصراحة * *
- ما معلوماتك عن رص حقل الالغام * * ؟
- مش فاهم * * !! محاولا ان اعطى نفسي فرصة للتفكير * *
- كيف ترص حقل الالغام بواسطة الافراد * * بواسطة معدات * * ؟
- بواسطة الافراد * *
- وما الطريقة * * ؟
- عادي * *
- ازاي بتسجلها * * ؟
- في السجل * *
- ايه اللي بتكتبه * * ؟
- املا الخانات الموجودة * *
- مش عيب عليك تبقى رائد طويل وعريض وتكذب * *
- كيف * * ؟

وفتح درج مكتبه وأخرج مذكرات الفرقة الاساسية وكتاب الالغام * *

وقال :

– هذا هو المستوى الذى تدرّسه .. وهذا هو كتابكم .. لماذا تكذب .. ؟

أخذتني المفاجأة بصورة لم أتوقعها .. ولكننى استجمعت نفسى سريعا وضحكت قائلا ..

– فى الحقيقة .. اللى بيرص الالغام كتائب متخصصة .. أما أنا فلم أرصها أبدا ..

– كيف تعمل طريق ... ؟

– بالجريد .. والبلدوزر ...

– وعندما تكون مفككة ... ؟

– نضع طوب و زلسط ...

– ألا توجد طرق أخرى ... ؟

– توجد طرق كثيرة .. تعرفها كتائب الطرق ...

– وماذا تعرف أنت ... ؟

– أعرف كل شىء ...

– ماذا كنت تعمل .. فى الجيش ... ؟

– لم أعمل أكثر من سنة ...

– فى هذه السنة ماذا عملت ... ؟

– كنت فى الكلية الحربية ثلاثة شهور .. والباقى فى المدرسة ...

– التى فى الحلمية ... ؟

– نعم .. أخذت فيها الموجود فى هذه الكراسية .. ووصلت كتيبى

منذ شهرين فقط

– ماذا عملت هناك ... ؟

– بنيت بوابة .. وميز للضباط ...

– العمل العسكرى ...

– مفيش ...

وهكذا درنا فى دائرة مفرغة .. ننتهى من حيث بدأنا .. وكان يتخلل الحديث أسئلة عن حالتى النفسية وأهلى .. وهل تريد أن تراهم (بلهجة تهديدية) كأنما يقول لى اننى لى أراهم الا اذا تكلمت .. ومع اننى فهمت ماذا تعنى هذه اللهجة .. ومع علمى أيضا بأن تفاصيل عملى مكتوبة فى الدفاتر والكتاب اللذين أمامه .. الا اننى لم أستطع أن أنطقها لعسرو بلسانى .. بنفسى .. تطوعا .. حتى بدون ضغط .. حقا هو يعرفها

جيدا .. ولكن من يعلم ماذا يسألني هذه الأسئلة .. وطغى هذا السؤال على قشرة عقلي .. فسألته ..

- أمامك الكتاب والمذكرات .. وتستطيع أن تعرف منها الاجابات الصحيحة ... على كل سؤال تفصيليا .. فلماذا تسألني ؟

فوجيء بالسؤال وتردد قليلا ثم قال :

- مجرد اجراء روتيني لأتأكد من أنك مهندس ..
شيء غريب لا يمكن أن يكون اجراء روتينيا .. المقصود شيء آخر ..
لا أعلمه .. اكتسفته بعد ذلك عندما داومت على التفكير .. وبعد عدة ظواهر أخرى ربطتها بعضها ببعض أهمها أنهم يبحثون عن المهندسين الذين رسوا حقول الألغام .. ليساعدوهم في أزلتها .. وهنا فهمت لماذا إذا يصرون على حقول الألغام .. ويعود لها بعد عدة أسئلة .. لقد نجوت ان الاصرار على مصلحة الوطن الفطرية ما هو الا اصرار على المصلحة الشخصية ضمنا ... لو أنني اعتبرت الكتاب والمذكرة ببساطة سببا لان اتكلم لأصبحت مثل الفتاة التي يعتدى عليها غصبا بواسطة مجنون او سكران فتتحول الى بائعة هوى .. ألم تغتصب .. ؟ .. ما الداعي للشرف الان .. ألم تقع في أيديهم الكتب والمذكرات ما الداعي للسكوت الان .. ولكنني لو فعلت ذلك لكان جزائي يتناسب مع مقدار قصر نظري .. لكان جزائي أن أقف الايام الطوال .. اساعد العدو على التخلص من الألغام التي نصبها له .. لكان جزائي الاستنكار من نفسي ومن مجتمعي وقومي .. وازدراؤهم لي .. ايم لبائعة البروى التي أعتدى عليها يوما غصبا بواسطة مجنون ..

ومنذ هذا الاستجواب ومع انتهائه .. انتهى تماما سؤالي عن المعلومات العسكرية ولا اعرف السبب .. بل الاعجب أن كل المستجوبين بعد ذلك كانوا يعاملوني على أنني ضابط احتياط ..

جاننا زميل بعد الاستجواب مصفر الوجه منفعلا أنفعلا شديدا ..

- ماذا حدث ؟؟؟ ؟

- اولاد الكلب ..

- ماذا حدث ؟؟؟ ؟

- سألوني عن جهاز لاسلكي معين فاستعبطت .. أحضروا كلبا
ضخما ووضعوه أمامي .. أيدي الكلب فوق كتفي .. ودخلت
سيده مجنونة اسرائيلية وبصقت في وجهي .. وقالت لي ..
هل أنت رجل ..

- ياه وبعد

- ركبنا في عربة جيب حتى البحر .. نزل منها جنديان وحفروا
حفرة عميقة على الشاطئ، قالوا لي دي مقبرتك .. سندعذك
هنا

- مش معقول ١١

- بعد ذلك أرجعوني وقالوا .. فكر وسنتكلم ثانية الساعة الرابعة ..
.. .. .

وهاج الزملاء .. قد يتعرض اي منا لهذا الاستفزاز .. وذهب الرائد
صفوت الى قائد المعسكر .. وقائد المستجوبين .. مقدا احتجاجا .. ألم
تقولوا انكم لن تضغطوا على احد في استجواب .. ألم تقولوا انكم لستم
برابرة لتستجوبوا بهذه الطريقة .. سنقدم احتجاجا للضليبا الاحمر
.. وكانت النتيجة اعتذار عما حدث .. وانتهت القصة .. وان ظلت
تداول مدة طويلة ..

زميل آخر جاءنا يضرب كفا بكفا .. هل تخيلون .. قلت لهم انني
رئيس عمليات كتيبه فقالوا لي لا اسمك كذا .. ووظيفتك كذا .. ثم أخرج
ورقة من مكتبه وقال وهذه امضاؤك .. ثم فرد خريطة رسمتها للدفاع
المضاد للطيران في منطقة أبو عجيلة وقال لي .. وهذه خريطةك ..
أحضروا الخريطة التي رسمتها

وكذلك أحضروا لبعض الزملاء .. خرائط مصورة بالطائرات لمناطق
أبياء القوات في القاهرة وعلى القنال وأخفوا يضعون على الاماكن اسماءها
.. وخاصة مصانع وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات

أصبحت لحياتنا ما يشبه الشكل المستقر حتى بداية شهر يوليو ..
أغاني وبعض الموسيقى .. ثم استجد في نهاية المدة نشرة الاختبار في تمام
الثانية عشر من صوت اسرائيل ار الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العزبية

أو ما يشبه ذلك .. وسمحوا لنا بخطاب كل شهر وكارت كل خمسة عشر يوما .. وأغرقوا المعسكر بجليبتين يوميتين .. أحدهما باللغة الانجليزية وتسمى الجورزلم بوست وهي جريدة ناطقة بأسم الحكومة الاسرائيلية .. وأخرى باللغة العربية وأسمها جريدة « اليوم » وهي تصدر للمناطق المحتلة

والجورزلم بوست جريدة غير مبتذلة بالمقارنة بجريدة اليوم .. وإن كانت موجهة ومعبرة عن وجهة النظر الاسرائيلية في جميع القضايا .. وتصادف مرور خمسين عاما على مؤتمر بازل ونجوة هرتزل بقيام دولة اليهود في فلسطين بعد خمسين عاما .. ولذلك أصدرت الجريدة ملحقا خاصا عن نشأة اسرائيل .. ومنها عرفنا بقرارات مجلس الامن والسفير يارنج والاطواق التي منحت للجنود والضباط الاسرائيليين ومعظمها نتيجة للعمل الجاسل الذي قاموا به لانقاذ جريح أو احضار جثة زميل أثناء القتال ..

أما جريدة اليوم فهي جريدة ، مبتذلة وحقيرة جدا .. لا تتورع عن 'حكم في مصر خصوصا وتشويش الحياة في الدول العربية عامة .. ونقد (لاشتراكية اللبن المخلوط بالماء في مصر) والتشكيك في احتمال تدره الجيش المصري على استعادة كفاءته القتالية في المدى القريب وحددت بناء على رأى قائد عسكري أمريكي بأن أقل مدة لذلك هي أربع سنوات .. وكان من النادر أن تمسك عددا ولا تجد فيه سببا مباشرا لعبد الناصر ..

وهذه الجريدة رفضتها العناصر الواعية بالمعسكر وقبلتها بعض العناصر المهزوزة التي كان يحلو لها قراءتها واستعذاب آلام الاهانة ..

واستقر نظام الحكم المحلى للمعسكر وأصبح لهيئة القيادة حجرة كبيرة يسكنها حوالى خمسة ضباط يخصص كل منهم مكان أكبر .. وأصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات الصغيرة في هذه الظروف جعلتهم متميزين عنا .. فهم لا ينظفون حجرتهم أو يغسلون أدوات أكلهم .. أو ملابسهم .. بل يقوم بها بعض الجنود المصريين المخصصين لخدمتهم وكميات أكلهم أكبر كثيرا .. ولكنها حياتنا ومجتمعنا .. نقلناها معنا الى الاسر ..

وتحولت أحاديث الضباط كما قلت بعيدا عن الحرب .. وزادت التحرشات .. والمشاجرات السباب لأتفه الاسباب بين الضباط ..

وانتشرت النكات التي تروج لها المخابرات الاسرائيلية .. مثلا قولوا لعين الشمس ما تحماش .. لحسن دا جيشنا المصرى راجح ماشى ...

كذلك حدث تغيير هام .. وهو عودة الاسرى الاردنيين .. والسوريين .. ولم يبق بالمعسكر سوانا .. اسرى ...

والان فلنحاول ان نتصور سويا .. يوما من ايامنا في المعسكر .. في الحجره رقم ١٠ .. حيث ينام ستة عشر ضابطا ما بين رائد وملازم حديث التخرج ...

الساعة السابعة صباحا :

أحدهم يستيقظ ويضحك بصوت عال .. ثم يصمت فجأة .. ويزغد الضابط المجاور له .. قائلا ..

- انظر اليسوا امواتا .. احنا خلاص متنا ياسادة ..

آخر - اصطبح وقول يا صبح .. من الصبح وانت تتعق كده ..

آخر - هو الواحد ميقدرش ينام ساعة ...

آخر - قوم ياسى زفت اغسل الاواني النهارده دورك في الغسيل والفطار زمانه جاي ..

آخر - علشان خاطري اغسلهم بدلا منى .. انا تعبنا وقرفان ...

آخر - هو انت الوحيد الذى لك اهل .. م كلنا متجوزين ولنا اولاد ونسوان واباء وامهات ...

- انا متصور ان الصليب الاحمر الذى اخذ خطاباتنا مزور .. ولم يرسلوا الخطابات

- السوريون والاردنيون مشيوا .. ليه احنا فاضلين ...

- البنى آدم في مصر لا ثمن له .. ولا قيمة ..

- لو ان بيننا ابن وزير والاخو واخذ كبير كان زماننا في مصر ...

- حتى دى عايزه وسايط ... ؟

- سلفنى صابونتك اغسل وشى ...

جديان يحملان قزانا كبيرا ومعهما ضابط يقفون على باب الخجرة ..

- الفطار يا حضرات كل واحد ياخذ اكله ..

- اين كوزى .. عايز اخذ شاي .. انتم متغاضبين من كوزى لانكم

لا تملكون مثله ..

- بطل بتمى .. كوزك مرمى وراء جزمك ...
- ارمى الدبش بتاعك ... يا فتاح يا عليم ..
- لا .. العيشة معاكم هتفغش أنا حاشوف ناس غبركم ..
- قوم يا عاطف ... عشان تاكل ...
- سيبه ده سهران طول الليل بيولع سيجارة من سيجارة ...
- هي دى سجاير دى .. قش ملفوف فى ورق ...
- فينك ياكيلوباترا ...
- احنا يا جماعة لازم نشغل وقتنا بحاجة مش معقول كده حتموت من
الملل والفراغ .
- والله الواحد منكم لويؤدى تعليمات دينه عمره ما حيلقى فراغ ..
- صل واقرأ القرآن وستجد السكينة ...
- من اين نحضر القرآن ؟
- ساطليه من المستجوب عندما اذهب له ...
- قل لى يا سيدى انت بتروح كتير هناك ليه ... ؟
- ناس بتحبني .. انت مالك .. على الاقل بشرب سيجارة نظيفة
وكازوزه مثلجة وشاى فى كباية ...
- تعال أعلمك البوكر ...
- انت مقصور ان الكوتشينه بتاعتك دى كوتشينه ...
- مش احسن من مفيش ...
- تعال نتمشى فى الخارج ...
- تعال نزر الدكاتره .. فى حجرتهم ...
- انت يا واد انت قد اولادى .. انت نسيت انى قائد كتيبك ... ؟
- يا عم لما نروح لمصر ابقى حاكمنى .. هنا كلنا أسرى ...
- عيب يا محمد ده القائد بتاعك برضه ...
- والنبي تسكت يا فتدم .. اصلك متعرفهوش .. انا عازفه كويس
- ... يخرّب بيتك كل ده عشان طمطمايه يا ولد ...
- آه كل مرة ياخذ الطمطمايه الكبيرة .. ويسيب الصغيرة لى ..
- طمطمايه ايه يا ولد .. الطمطمايه دى ملهاش قيمة .. شوف الواد
الذنى ..

- فى مصر عندك الفدادين والعمارات والفلوس فى البنك .. لكن هنا
الطمطمايه هي العمارات والفلوس .. خلى فدادينك تنفك ...

- برضه الأصل غالب .. من يوم ما دخل الحربية أولاد الشحاتين
وهي كده • على أيامنا كنت تحب تتفرج على أيام الجمعة والزيارات
•• أحسن العربيات • وبوفيهات الثورتات والجاتوهات ••
وأميرات مصر وجميلاتنا •• وفرقة مزيكة باللبس الرسمي ••
ناس اعينهم مليانة •• مش أولاد الشحاتين اللي بيتكلموا عن
طمطماية •• روح النهارده شوف الكلية الحربية •• تلاقى
العوابين والسمركية هم الزوار •• لدرجة أن أى أفندى محترم
يتكسف يزور قريبه •••

- يا عم بطلوا سرح بقه عايز تفهمنا انك ابن باشا •• انت دخات
الحربية سنة ٥٣ •

- آه لكن أخويا دخل ٤٩ •• ومادام أخويا قبل ٤٩ كنت خقبل انا
كمان لو كان الوضع زى ما هوه •••

- ياريت والله كان أحسن ••

- هس •• هس •• كان زمانك النهارده خالى شغل ••

- مش أحسن من الرمية المهبية دى ••

- ان شاء الله حيعوضوك كويس بعد ما ترجع •••

- الاسرى فى ٥٦ اخفوا مرتباتهم بالكامل وشهرين مكافاه •• وهدايا
وحفلات وتعويضات ••••

- لكننا فى ٥٦ كنا منقصرين مش زى الخيبة السوداء دى •••

- يا عم انتصار آيه وفيلة آيه •• انت بتصدق يعنى لو كان الانجليز

والفرنسيين عايزين يموتونا واحد •• واحد •• كنا حنقدر عليهم ••

- انتم لسه عمالين تتكلموا •• انا استحميت وانتم عمالين تتخانفوا

- استحميت فين ••• ؟

- على الحنفيه •••

- قدام الناس كده •••• ؟

- اذا كنت بقضى حاجتى قدام الناس •• حيلب علينا أن نستحمي

امامهم •• ولا فى النظافة لا •• فاضل الواحد يحلق •• وأحط

الكولونيا التمام ••• والبودرة •• واسرح شعرى •• وتلبس

الجلابية الديلان بتاعة أخوك شلبى •• يا سيد متعلمش ••

أحنا هنا كوم زبالة ••• دى مزبلة •• عايش فيها خنازير ••

- يا جماعة •• يا جماعة •• الواحد يعنى ميعرفش ينسام •••

- قوم يا معلم الساعة بقيت الحادية عشرة ...
- قوم بينا نسمع الاخبار ...
- خليك أنت علشان تأخذ لنا الاكل .. غسلت مكان الفطور ... ؟
- الميه انقطعت قبل يم الحق ...
- يا أخى حتفضل كسلان كده لامتى .. مش قادر حتى تخدم نفسك
- أصله ابن بهوات .. كان عنده ثلاث مراسلات في المكتب يا سيدى
- نصف السرية كانت مراسلاته ...
- هو حد وصلنا لعتليت الا اللي زيه ...

الساعة الثانية ظهرا :

- الضباط يخرجون من حجراتهم .. ويتدفقون الى واجهة المعسكر
- أمام السور حيث يوجد الميكروفون ليستمعوا الى نشرة الاخبار ..
- تعليقات مختلفه على الاخبار .. كل كلمة تفسر لاكثر من معنى ..
- مناقشات متواترة ..

- الغذاء .. علب الخضار المحفوظ التي أخذوها من الحرب وأرزنا أيضا
- أو مكرونة .. لا فاكهة .. اللحم في حدود ضيقة على هيئة كفتة أو بلوبيف
- .. طابور الغسيل .. كل يحمل أوانيهِ ويقف أمام حنفيات المياه في انتظار
- دوره ...

الساعة الان الخامسة :

- بعد ساعة ستقف علينا الأبواب .. هذه الساعة هي الفرصة الوحيدة
- للتجول خارج الحجرات حيث يصبح الجو صالحا للمشى .. كل ثلاثة أفراد
- أو أربعة .. يسيرون معا .. اذا اقتربت منهم تستمع الى كلام متباين ..
- فلتقترب من هؤلاء ...

- الجو جميل جدا ...
- شايف الالوان في السما ...
- الحياة حلوة لكن احنا اللي جايبين القرف لانفسنا ...
- لماذا لا نعيش في سلام .. هل يجب أن نكون دولة عظمى ...
- والله أنا مليش في الطور أو الطحين كنت مدنى وحتجوز جرونى ..
- انا اتجوزت الشهر الماضى .. كنا في شهر العسل ..
- مراتى حامل .. يا عالم ..

- والدى كان مريضاً .. ترى ماذا حدث له ... ؟
- تلاقىهم ولا حاسين .. احنا بس اللي طالع عنينا ...
ولنتقرب من هؤلاء ...
- اذت فاكر اللحن ده .. ويصفر بفمه ...
- آه بالطبع « سترانجراين زى نايت » ...
- اعيدها الغنوه دى
- شوف كلماتها .. اتنين تايهين فى الظلام .. يتمنيان الحب
والمسعادة .. شىء ما فى عينيك جذبني اليك .. شىء ما فى
ابتسامتك اثارني للغاية .. شىء ما فى قلبي يقول آت لى ...
- أسكت من فضلك لا تقطعنى .. احنا أصلنا ذراعنه .. شوف
الاطفال فى الجنائين تلاقىهم بيقتفوا الورد .. حتى الورد
لا تستطيع ان تعيش فى سلام .. الورد الرقيقة الحلوة ..
احنا شعب فرعون ..
- والله كلامك مضبوط ..
- يا جماعة وحياتة ابوكم تبطلوا السيرة دى .. احنا حنفضل شتم
فى نفسنا كده لحد امتى ...
- أصلنا نستحق الشتيمه .. لازم النكسة دى تغسلنا من الداخل
.. لازم ننقد أنفسنا ونصلح بعض .. ليه الطفل الصغير يقطف
الورد .. ويضرب الطوبية فى لوح الزجاج .. ليه .. تعرف تقولى؟
- سمعت اللحن ده « لاقام دى مون آميه » .. زوجه صديقى ..
أحبك .. أعبدك .. انت النور الذى آراه .. انت الحيساة ..
أكسبتنى السعادة والمحبة ولكن هناك عيب صغير أنك زوجه
صديقى ..
- الناس دى بتجيب الكلام ده منين .. ولا اللحن .. علشان آده
بيغلبوا ... مش تعاليلى يا بطه ...
- ولنتقرب من مجموعه أخرى ...
- وقتله ادينى بق ميه ...
.....
- قاللى لا .. ليه يابنى .. ده أنا حموت .. ابن الكلب يقول لى ..
م هو يا انت " تموت يا أنا أموت .. احنا كده .. شعب مش
متعاون .. لو كان قلبنا على بعض وايدنا فى ايد بعض .. مكنش
حصل اللى حصل ...

- وحتروح بعيد ليه مشفتش الخناقة اللي حصلت على الاكل اول يوم .
- شسايف الواد ده ...
- فين ...
- التخين ده أبو زنوبه ...
- آه ...
- بس اوعى تقول لحد ...
- لا ...

- آه ... ده ... احنا لتاسرنا سوا ... يوم ٨ يونيو ... جابوه
- اليهود وقعد يخطب فينا يا حضرات ... انا ضابط مصرى زيكم ...
- متخفوش ... احنا خلاص حترجع بلدنا بعد يوم أو اثنين ...
- لان اليهود مفيش بينهم وبيننا حاجة ... اللي كان بينهم وبين
- عبد الناصر ... ويسرنى أن أرف لكم الخبر الجميل ده اللي كلنا
- بنتمناه ... ان عبد الناصر ... تنحى ... استقال ... مشى
- وبالشكل ده يصيح مفيش سبب للحرب ... وحترج تانى لاهلنا
- واولادنا قريبا جدا ...

- مش معقول ... هو عبد الناصر استقال ... ؟
- آه انت متعرفش ... بس رجع تانى ...
- يا أخى اشاعة اسرائيلية ... احنا سمعناه بيخطب فى ٢٣ يوليو
- ... وانتم ... عملتم ايه ...
- كنا عايزين نقتله ... لكن ما باليد حيله ... اليهود بيحموه بالسلاح ...
- وانت ايه رأيك ... ؟
- زى ما قلت احنا شعب ميخافش الا بعنيه ... اللي يتجوز اوى
- اقوله يا عمى ...
- ولنقترب من مجموعة رابعة ...
- أنا مش قلت من زمان ... من لا دين له لا شرف له ...
- حقيقى يا أخى البلد اللي تنسى دينها لازم يحصل لها كده ...
- قول لى يا أستاذ ... أين الدين ... أين الصلاة ... أين الفضيلة
- ... هل نعيش فى بلد اسلامى ونستولى على أرض الناس وفلوسهم
- ومصانعهم اللي عرقوا وتعبوا فيها ... ربنا قال كده ...

- يا اخ والله الواحد كان بينكسف يركب الاتوبيس من الانحازل
.. دى فوضى .. اخر زمن ...

- ربنا مش راضى عنا .. ده انذار من الخالق عز وجل ...
- لكن م اليهود كفرة .. لماذا ينصرهم علينا واحنا مسلمين وخير امه .
- مين قالك .. مش يمكن يكونوا اقرب لله منا .. مش اليهوديه
دين سماوى .. مش يمكن يكونوا بيطبقوا تعاليم دينهم احسن منا .
- على رأيك .. على الاقل ما بيسجنوش مسلم علشان بينادى بتعاليم
دينه واحياتها .

- انت عارف لو الاخوان فى الحرب دى .. كانوا شيبوهم .. الواحد
من دول فى ٤٨ كان يطلق على اليهودى زى الوحش ينادى الله اكبر
.. الله اكبر .. اليهودى يتربع يسب سلاحه ويهرب ..
سبحانه مغير الاحوال ...

وهكذا تدور الاحاديث بين جماعتنا الصغيره كل اثنين كل ثلاثة
كل اربعة ... نصبوا انفسهم قضاة .. وظلوا يرحمون المجتمع ثم يلصقونها
بالنكسة .. بالحرب .. لقد هزمتنا لاننا فراعنه ونمارده .. ومتخلفين
نقطع الورود .. ولاننا لم نترك الاخوان يقتلوننا فى السينما والمسارح
.. ولم نتركهم ينسفون لنا الكبارى ومحطات الكهرباء !!!

وتحل ساعة الحبس .. ويتجه كل منا الى غرفته .. الى سجنه
.. فيؤدى حاجته اولا .. ويملا اوانيه بالماء .. ويغسل وجهه ورجليه
من التراب .. واخيرا .. يقف الحراس اليهود يصفقون بايديهم .. انتهت
الحرية فلندخل الى الاقفاص !..

الاضاءة طول الليل .. لاضواء .. الشبابيك مغلقة .. اذا مرض
احكم فليناد على الحارس اقدم ضابط بالحجرة ..
- مساء الخير .. مين اقدم الضباط ...
-
- العدد كيام ... ؟
-

- أحاد .. اثنين .. ثالث .. رابع .. خمشة .. سابع ..
شمونى ...
- تصبحوا على خير ...

وتغلق الابواب بالترابيس .. ويوضح عليها الاقفال من الخارج ..

الان نحن فى مواجهة انفسنا .. وعلينا ان نقضى هذا اليوم .. بيومى
يقلد اليمينيين .. الشيخ محمد صلى يوم المصلين .. محمود والجندى
وفايىز ومحمد يلعبون بوكر .. عاطف وعادل يتكلمون .. حتى نسقط بالتتالى
نائمين .. واحدا .. تلو الاخر .. ونضع الجردل الذى نبول فيه ليلا خلف
الباب .. ويطفىء آخر الساهرين النور .. وننام ليبدأ يوم جديد ..

وقمر الايام الباقية من شهر يوليو حتى قرب نهايته وفى السبت الاخير
من الشهر استدعى للاستجواب حوالى ٢٥ ضابطا مجتمعين .. كانت
الاجراءات مخالفة للاجراءات المتبعة .. اكوام من البنطلونات الجبردين
البيج بكل المقاسات .. قمصان بيضاء .. احذية بلاستيك ..

فسألنا .. ما الموضوع ؟ .. وجاءنا الرد ..

رجل طويل يلبس الملابس المدنية .. ينادى علينا .. وكل ٥ ضباط
او اربعة او ثلاثة يسلمهم لآخر .. وهكذا حتى تبقى ٦ ضباط ..
انا مهندس - وطبيب - ونائب احكام - ومهندس مركبات - ضابط اشارة
ضابط مدفعية .. يوجد رابط معين يجمعنا اكيد ولكننا لا نشعر ..
ارتدينا ملابسنا الجديدة .. واستلمنا الرجل المدنى ومعه اخر يحمل
حقيبة عرفنا بعد ذلك ان بها طبنجة .. ركبنا ميكروباس .. واتجهنا خارج
المسكر نحن فى طريقنا لزيارة اسرائيل .. اول زيارة للاسرى المصريين ..
الدنيا غريبة بعد السجن الطويل .. ما نحن نرى عربات مدفعية .. رجلا
ونساء واطفالا يسرعون بعرباتهم فى اتجاه البحر .. الميكروباس يقف بعد
مدة قليلة .. يلتفت لنا المرافق ويفرد خريطة لاسرائيل ..

صباح الخير .. اول موضوع نتكلم فيه هو انفى اريد ان تتسوا انكم
اسرى .. انتم الان ضيوف لاسرائيل .. سياح .. بالفهوم ده نقدر نفهم
بعض ونمضى يوما جميلا ...

وقد يكون للضغط الشديد وفرصة التخلص منه ولو ليوم سببا لاننا جميعا ابتسمنا وقررنا فعلا أن نعتبر انفسنا سياحا ..

استمر في كلامه .. هذه خريطة اسرائيل بعد ٥ يونيو .. (سباح ايه الله يخرب بيتك هل هذا كلام) وكأنه اكتشف ما يدور بظننا .. وأضاف الا اذا حل السلام فنحن مستعدون للرجوع الى الحدود السابقة .. وهذا المكان اسمه عثليت .. (كانت المرة الاولى التي نسمع فيها اسم المكان) نحن بجوار حيفا .. هذا جبل الكرمل .. زيارتنا سنصعد الى جبل الكرمل .. وسنرى حيفا من اعلى ثم سنذهب الى كيبوتز بجوار حيفا وسنزور اخوانا عربا في الناصرة .. ثم نتناول الغذاء على شاطئ طبرية .. وانطلق الميكروباص .. العربات حولنا تحمل العائلات للبحر .. الرجال والنساء بالمايوهات فالיום عطلة .. بلاج حيفا .. الشمس الملونة .. المايوهات البكيني .. الجيلاتى .. النظارات .. حياة عادية .. كان لا وجود للحرب هنا .. العربة ترتفع في طريقها الى اعلى الجبل .. السينمات .. افيشات افلام رايناها في القاهرة .. السيدات البيضات بالشورت .. بالميكروجيب .. بالمايوه .. العربات الصغيرة تملأ الجبل .. من هنا الطريق الى الجامعة .. هذا فندق مبنى على أحدث طراز .. مباني جديدة منشأة على مدرج الجبل .. هنا نفق للمترو يصل الى حيفا أسفل الجبل .. وفوق ربوة عالية تطل على حيفا .. توقف الميكروباص .. نطل على حيفا من اعلى .. جميله حيفا .. البحر الابيض .. نستنشق الهواء بملء رئتينا .. فناطيس بترول .. قبة ذهبية .. يشير اليها المرائق هذه مقبرة زعيم البهائيين .. البهائية دين يجمع بين المسيحية والاسلام مكانه الاصلى ايران .. ثم انتقل لحيفا .. يوجد بهائيون في الدول العربية .. وفي الهند ..

رجل يحتضن فتاة بجوارنا .. منظر يخدر الاعصاب .. هذه مباني المهجرين الجدد .. كل أسرة لها منزل تملكه وتسدد ثمنه على أقساط .. حيفا تشبه اى ثغر لكن جميلة .. الاسكندرية اجمل .. هذه لها طابع .. والأخرى لها طابع آخر .. لا .. الاسكندرية اكثر جمالا .. وأكثر حضارة .. وهل الاسكندرية على هذه النظافة ونسبة الخضرة .. هذه

تمتاز بالجبل المطل على البحر .. حديث دار سرا في غفلة عن المرافق
ركبنا الميكروباس .

المرافق - هل عندكم ما يشبه ذلك ... ؟

زميل - لا ...

آخر - بل يوجد .. المقطم ...

آخر - الاسكندرية مثل هذه واجمل ...

آخر - المعادى ومصر الجديدة على نفس المستوى من النظافة ...

المرافق - الجبل كان مزروعا اشجارا .. لكن الانجليز في الحرب

العالمية حرقوه لانه قريب من البحر ويسهل التخفى داخله .. بالمناسبة هذا
المبنى كان سجنا اقامة الانجليز ايام الاحتلال .. لليهود ..

- الانجليز تركوا لكم البلد .. وكان لكم حكومة ظل تحكم بجوار

الحاكم الانجليزى ...

- ابدا كان الانجليز مستعمرين .. ولقد حاربناهم .. والعرب

حاربوهم وكانوا دائما لا يفرقون بيننا .. في يافا .. كان هناك حتى

اليهود في تل ابيب وحتى للعرب في يافا .. فكان الانجليز يخطفون اطفال

العرب ليتركوهم في الحي اليهودى .. ويخطفون اليهود ويقتلونهم في الحي

العربى .. كى يزيحوا الاحقاد والتنازع .. عبد الناصر بنفسه ذكر في مذكراته

انه تكلم مع اليهود في الفالوجا وسألهم كيف حاربتهم الانجليز .. نحن اولاد

اسحاق .. وانتم اولاد اسماعيل ... والاثنين اولاد ابراهيم .. وطول

عمرنا بنعيش في سلام .. لماذا لا نعيش الان في سلام سوف ترون اننا

نبنى ونريد ان نبنى لكن بجوار كل مبنى وبجوار كل مصنع خندق ..

لماذا ؟

وصلنا الى الكيبوتزيم .. مبانى حديثة الطراز .. يستقبلنا رجال

بسطاء جدا بقرحاب .. السيدات والفتيات بالشورت والبلوزة

والصندل .. مستوى الجمال على .. رجل كبير السن يستقبلنا بقرحاب

رائد .. انه السكرتير العام للكيبوتز حاليا .. هكذا نتعرف عليه ...

- اتفضلوا في حجرة الاجتماعات ...

اطباق برقوق احمر واصفر .. تفاح .. كمثرى .. نلتف حول

المائدة .. تفضلوا انتاج مزارعنا .. يتكلم عن لنظام في الكيبوتز ...

استمعنا اليه واعيننا على البرقوق والتفاح والمكثرى .. فلقد طال
حرماننا منها .. ولكن الكرامة البرجوازية كانت تمنعنا من ابداء هذه
الرغبة صراحة .. لذلك فقد كنا نستمع اليه فارغى الصبر .. نريد ان ينتهي
لنبدأ بالالتهام

- الحياة عندنا ديموقراطية .. كل الناس تشتغل .. كل الناس تعيش
نفس العيشة الادارة والقيادة بالانتخاب .. وكل زوجين لهما منزل ..
الاطفال في منزل خاص بالاطفال تحت رعاية موحدة .. واكل موحد ..
الاطفال لا ترى اباؤها الا في العطلات وبعد الظهر ساعتين .. الشابات في
منزل .. والشباب في منزل .. وممكن يتزوجون .. ويكون لهم منزل
منفصل .. لكنهم عادة يتزوجون من خارج الكمبيوتر .. الخدمة في المطعم
بالدور كل فرد له مصروف شخصى شهري من ٢ : ٣ جنيهات ملابسه على
الكمبيوتر بالطبع .. الارباح تزيد بها المنشآت وترفع مستوى المعيشة ..
جزء اخر نعمل به رحلات للخارج .. الناس تنفسح .. وتتعلم اشياء
نافعة للكمبيوتر ..

التعليم حتى المرحلة الثانوية .. وفنى حسب احتياجات الكمبيوتر ..
وهناك تعليم اكثر من ثانوى ايضا حسب احتياجات ومطالب الكمبيوتر ..
ثم شعر بالملل الذى انتابنا .. فانهى محاضراته .. هل تريدون ان
تسألوا .. شيئا ؟

- متى انشئ هذا الكمبيوتر ؟

- سنة ١٩٣٩ .. واسمه .. ضاليا .. ولقد انشئ بواسطة الوكالة
الصهيونية بعد ان اشترقتها من اصحابها اليهود وجعلتها ملكا للسكان ..
وكان اسمها القديم « جديرة » وانشأتها سنة ١٨٨٤ ولكنها لم تكن كيبوتز
انما أصبحت ملكيات بمفهوم الكيبوتز ١٩٣٩ ..

- لماذا لا يعيشن الاطفال مع اهلهم ؟

* - هنا كلنا نعمل .. الرجال والنساء .. والنساء حصصن على
حقوقهن المساوية للرجل .. ومن لذلك لا يستطيعن ان يتفرغن لابنائهن ..
لذلك تقوم مدرسات مدربات برعاية جميع الاطفال ..

هامش (ان العائلة في الكيبوتز تعتبر مجازي الى حد ما . . . اذ انه لا توجد حياة عائلية بالمعنى الذي نفهمه . . . ويتضح من مراجعة تاريخ الكيبوتز ان قادة حركة الكيبوتز وروادها كانوا يعتبرون الزواج مؤسسة برجوازية مهترئة أو فاسدة لا تتناسب مع حياة الكيبوتز ومثلها وللقيم الاقتصادية والاجتماعية فيها . توقعت ان تقضى حركة الكيبوتز على الزواج والعائلة بالمعنى التقليدي ، (سبيرو صفحة ١١٠) . . . والواقع هو ان تغيير مؤسسة الزواج وضع « الرواد » امام مشكلة مستعصية زادت تعقيدا زيادة عدد الرجال على النساء بنسبة ٢ : ١ . . . وقاموا بتجارب عديدة منها تعدد الأزواج . . . وتعدد الزوجات (سبيروا صفحة ١١) . . . وكسروا طوق الحياء الجنسي فأسسوا الحمامات المشتركة ولكنهم لم يلبثوا ان تخلوا عنها . . . وعلى أي حال فقد اعتبروا الجنس مسألة شخصية والزواج مسألة مزاجية . . . لا تحتاج الى اذن أو مراسم من قبل المجتمع سواء في مطلعها أو نهايتها . . . وحتى يومنا هذا كل ما يحتاجه الزوجان لاعلان زواجهما هو التقدم بطلب غرفة مشتركة . . . والغاء ذلك الترتيب عند الافتراق . . . وبذلك فالرجل والمرأة لا يتزوجان بل يصبحان « زوجين » . . . أي اثنين « . . . والمرأة لا تحصل على زوج بل على شهاب أو رفيق والشباب لا يحصل على زوجة بل رفيقة . . . صديقة . . . ولذلك فالاطفال بهذا المعنى يصبحون ابناء للكيبوتز . . . يعلمهم ويرببهم على الولاء المطلق للدولة والكيبوتز وكراهية الاعداء . . . فاصلا لياهم عن ابويهم . . . وأمثلة ذلك واضحة في أكثر من قصة من قصص الجيل الجديد الاسرائيلي . . . وخاصة ابنة موسى ديان) . . .

— ماذا تفعلون للرجل الذي لا يريد ان يعمل . . . أولا يرضى عن العمل
الموكل له . . . ؟

— أولا النصيحة . . . ثم توجيه النظر . . . ثم الطرد بعد « الاجتماع العام هامش : ان فلسفة الكيبوتز تقوم أساسا على فلسفة ا . و . جوردن (١٨٥٦ - ١٩٢٢) صاحب فلسفة « دين العمل » . . . الذي نادى بالعمل كظاهرة خلقة وقيمة عليا . . . وكان دائما ما يحض على العمل كخلاص للشعب اليهودي « ان شعبا تعود جميع أنماط الحياة عدا النمط الطبيعي — أي تحقيق الاكتفاء الذاتي عن طريق العمل — لن يصبح شعبا حيا عاملا إلا اذا بذل أقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف . . . »

ان العمل ليس مجرد العامل الذى يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب .. بل هو القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية أيضا ان العمل هو مثل انسانى أعلى للمستقبل والمثل الأعلى يشبه الشمس الشافية .. اننا بحاجة الى متعصبين للعمل متزمطين له بأعلى معانى الكلمة « جوردن » .. وكان بن جوريون هو الذى وضع هذه الفلسفة موضع التنفيذ واعتبرها خلاصا للشعب اليهودى حتى أنه كان يقضى شهرا من كل سنة فى الكيبوتز يعمل فى الفلاحة .. وهو يقول سنة ١٩١٥ « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى .. سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكدحنا .. ان ارض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراسها من صفوفنا » .. (المصدر بن جوريون بعث اسرائيل ومصيرها) .. وفى موضع آخر قال « الحياة فى الكيبوتز صعبة .. وفيها الكثير من ملامح التقشف فى حياة الجندي وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتها اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعاً » .. « ان تمهيد الارض وخلق الشروط هو من عمل الطلائع .. طلائع العمل والعلم والبناء مسلحة بارادة قومية ووعى تبشيري .. قادرة على أن تدمج مصائرهم الفردية فى هدف سام وعارفة كيف تطوع حياتها لتحقيق أحلامها .. » .. - بن جوريون -

من هذا نستطيع أن نفهم مدى سذاجة السؤال .. ومدى الاندعاس الذى اجاب به سكرتير الكيبوتز .. فالمفروض أن المنضم للكيبوتز طليعة متحمسة مندفعة لبناء الوطن الاسرائيلى القومى .. هل هذه اشتراكية ماركسية أم اشتراكية اصلاحية اقرب لأوين .. ؟

وتغابى الرجل .. فلم يرد على السؤال .. ثم قمنا لزيارة الكيبوتز .. بعد ما انهينا على الاطباق المملثة امامنا ..

زرنا منزل عائلة :

حجرتان احدهما للنوم واخرى بها انترية خفيف جدا .. مكتبة .. راديو .. ثلاجة صغيرة جدا .. حمام .. لا مطبخ .. لا حجرة طعام .. لا حجرة اطفال لا حجرة استقبال .. دخلنا اكثر من منزل .. كلها متشابهة .. نظيفة تتخللها الشمس والهواء ..

الكيبوتز

في طريقنا الى عنبر الاطفال .. اشار سكرتير الكمبيوتر لبعض الاكواخ
الخشبية .. قائلا : هذه كانت مساكننا القديمة في بداية انشاء
الكمبيوتر .. بالطبع ازلناها واقمنا مكانها هذه المساكن .. ولكننا تركنا
بعضها لتتذكر دائما ما استطعنا انجازه خلال هذه السنوات بالعمل ...
ولنتطلع الى مستوى احسن ...

عنبر الاطفال :

حجرات متجاورة .. بكل حجرة من ٢ الى ٤ أسرة أطفال .. تحت
كل سرير شيشب صغير .. فوقه بيجاما .. حجرة للالعاب .. حجرة للاكل
والدراسة .. الاطفال كلهم في الخارج يلعبون مع آبائهم يوم عطلة ..
دورة مياه بها مياول ومراحيض صغيرة خاصة بالاطفال .. وفرش أسنان
وقوط ..

في الطريق الى المركز الثقافي : .. المرافق يعطى على ما شاهدنا ..

الطفل يقربى في بيوت الحضانة منذ أن يرى النور حتى سن الثامنة
عشرة وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام .. فيوضح الطفل في بيت
الحضانة .. ويبقى هناك مدة سنة واحدة وتتولى الام ارضاعه بينما تتولى
المربيات تربيته .. وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى الروضة حتى
سن الرابعة .. وفي تلك المرحلة يسمح للابوين باصطحاب طفلهما الى البيت
لقضاء بضعة ساعات معهما .. وفي سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرسة
الاطفال وهي التي زرناها الان : .. وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغه السابعة
حيث ينتقل الى المدرسة الابتدائية التي تكون بمثابة بيت لهم أيضا حتى
سن الثانية عشرة فيعيش في منازل الشباب حيث يتعلم في المدرسة الثانوية
« أو مؤسسة التعليم » حتى الثامنة عشرة ... حيث يلتحق بالجيش ...

وكنا قد وصلنا الى المركز الثقافي .. مارين من خلال ماشى مبلطة
ببلاطات كبيرة ومزروعا فيما بينها يحفها من جميع الاتجاهات الاشجار ذات
الازهار الملونة .. بين طوابير النساء والرجال والاطفال القادمة على الطريق
يلعبون المايوهات ويحملون على اكتافهم أطفالهم .. الاطفال صحتهم جيدة
جدا .. الدماء تجرى في وجوههم بشدة .. بعض الجامع تغنى ..
دواد ير .. وكلاما أخر بالعبرية ..

شباب وفتاة في ركن تحت شجرة يتناجيان .. ولا ينظر لهما سوانا
نحن الستة المصريين .. المرافق بيتسم ويقول هذا هو سن الحب ...

المركز الثقافي مبنى من طابقين .. ولذلك فهو أكبر المباني الموجودة ..
به مكتبة هائلة ممتلئة بالكتب العبرية .. بعض أغلفتها توحى أنها
مترجمة .. مسرح أنيق .. أماكن للقراءة أو لسماع الموسيقى .. السيمفونية
التاسعة لبيتهوفن تشدني .. أقف لاستمع الى الكورال في الحركة
الرابعة .. سكرتير الكيبوتز يعلق .. لم نكن نملك كل هذا منذ ثلاثين
سنة .. ولكنه جهد عمل هذه السنين .. لم يساعدنا أحد .. بجوار المركز
الثقافي حمام سباحه رائع .. حوله الارض مزروعة من كل جانب .. الشبان
والشابات يجرون .. يلعبون بالكرات الخفيفة .. العجائز مسترخيات على
كراسي بلاج يتشمسن .. يعتسن في هدوء .. كأن الحرب في مكان آخر
في المريح مثلا .. الاطفال تجرى حولي .. أطفال ذوو شعور صفراء
ممتلئين يكاد يخرج من وجوههم الدم .. أربت على رأس أحدهم ..
فينظر الى باستغراب ..

هذه هي السعادة .. حقا .. قطعة من الجنة .. بالتأكيد هم سعداء
جدا .. يعملون .. يأكلون .. يلهون .. صحتهم جيدة ..

هامش (في مجال الحديث عن الحياة الاجتماعية علينا الا فنسى ان
العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق .. وبعد انتهاء
ساعات العمل يتجه سكان الكيبوتز الى الحمامات ليغتسلوا ومن ثم يصرفون
بعض الوقت في رؤية اولادهم بمدارسهم ومؤسسات التعليم الجماعي ،
حتى وقت العشاء .. والواقع هو ان صالة الطعام العامة هي مركز الحياة
الاجتماعية في الكيبوتز .. وذلك لاسباب عائلية جماعية ، ولاسباب
(ظرفية تاريخية) تتعلق بظروف السكن وعدم صلاحية الغرف الضيقة
لاستقبال الضيوف ..

في صالة الطعام العامة تجرى المناقشات وتتم اللقاءات بين جميع أفراد
الكيبوتز يستمعون الى الراديو - قبل ان تنعم الراديوهات - وفي بعض
الاحيان يشاهدون الافلام السينمائية والحفلات الموسيقية. ولكن مع ذلك
لا يزيد هذا على أكثر من مرة في الاسبوع أما بقية سهرات الاسبوع

فيقتضيها الاعضاء باجتماعات اللجان .. والاجتماعات العامة ومع ان
اجهزة الراديو الخاصة قد كثرت في الاونة الاخيرة واتجه أعضاء الكيبوتز
نحو قضاء بعض السهرات في مساكنهم الخاصة .. الا ان الحياة الاجتماعية
بقيت باهته لسبب فقدان الحياة الخاصة وضعف وسائل الترفيه والتسلية
وضعف ضيق الدائرة البشرية .. ولما كان نظام الكيبوتز نظاما مغلقا فقد
كثرت الثثرة والاصطدامات الشخصية .. ولعل العطلة السنوية تتسكن
متنفسا لضغط الحياة الاجتماعية مع ان مشكلة عدم توفر النقد المخصص
للمرحلات تحد من امكانية قضاء بعض الوقت خارج الكيبوتز .. وخالصة
القول فان الحياة الاجتماعية في الكيبوتز تشكل انعكاسا للحياة شسبه
الحسريه التي يعيها سدهن المستعمرات الجماعية وهي متأثرة بالمقاييس
انتقضية والجماعية التي وضعها مؤسسو حركة الكيبوتز في مطلع القرن ..
« الكيبوتز أو المزارع الجماعية في اسرائيل ، عيد الوهاب الكيالي »

عدنا في طريقنا الى خارج الكيبوتز .. مررنا بالمطعم .. صالة
واسعة أنيقة جدا .. الاضاءة مخفية وهادئة .. المناضد مرتبة جيدا وعليها
اغسوك والمعالق والسكاكين والملاحات والمسطردة .. السرفيس ..
انسلت يدفعن امامهن عربات عليها الاكل الساخن . المطبخ نظيف جدا يعمل
بالبخار لا رائحة .. لا قاذورات .. كأننا في مستشفى نظيف ..

زميل - بالطبع كانوا يعلمون بزيارتنا مقدما ...
آخر - حتى لو كانوا يعلمون فالمستوى رائع ...
خرجنا من مكان الايواء ... ودارت الاحاديث الثنائية بيننا ...
- المستوى رائع ؟ هل تتخيل ان هؤلاء فلاحين ؟ ...
- فلاحين بالمشورت والمايوه والشوكة والسكينة ...
الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين فلاحيننا وهؤلاء ...

والان الى اماكن العمل .. الارض .. التي قال عنها احد قادة
التكتلات العمالية الثالثة في الارض المحتلة في مجلة يهودية تصدر في
نيويورك « لقد تم شراء الارض التي اقيمت عليها الكيبوتزات بواسطة
المستدروت من الاقطاعيين غير المقيمين وجرى ابعاد الفلاحين العرب الذين
كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة أو بدون تعويضات على الاطلاق ..
وكثيرا ما تعرض الفلاح العربي وعائلته الى الاجلاء القهري لرفضه النزوح
عنها .. وكان شبان الكيبوتز المتعبد يسارعون الى طرد الفلاح العربي بالقوة

ويستعينون بالشرطة أحيانا ٠٠٠ كثيرا ما كانت عودة النظام تعنى اهراق دم الفلاح العربي (نيويورك سنة ١٩٦٢ صفحة ١٣) مورد كاي شتاين (الى اتحاد عمال امريكا حول الهستروت) .

الارض ٠٠ مزروعة قطننا - قطن هنا ٠٠٠ |

- اجرينا تجارب حتى وصلنا الى زراعته ٠٠

- الزراعة اتوماتيكية ٠٠٠

- كيف عرفت ٠٠٠؟

- خطوط شجيرات القطن في خط مستقيم كأنها رصت بتيوليت ٠٠٠

- نعم ٠٠ عندنا الحرث ميكانيكي كذلك بذر الحبوب والجنى ٠٠

- وكيف تحافظون على الخطوط المستقيمة نظيفة بدون حشائش ٠٠

- نرش مواد بين الخطوط تمنع نمو أي مزروعات أخرى حتى

ولو كانت قطننا ٠٠٠ لنعطى الفرصة لشجرة القطن بامتصاص

كل المواد ٠٠٠

- ولكن هل كل هذا قطن ٠٠٠ مساحات كبيرة ٠٠٠

- لنستطيع رشها بالطائرات ٠٠٠

- وكيف تروونها ٠٠٠ ؟

- بواسطة المواشير والرش ٠٠ لان المياه عندنا قليلة لابد ان نستفيد

من كل نقطة منها للزراعة ٠٠. توصلنا الى قطن مستواه جيد وان كان قطنكم

لا ينفس .

وقفت انظر الى حقول الممتدة الى مدى البصر ٠٠ وفجأة تخيلت ان

القطن قد تحول الى قطن احمر ٠٠ لانه مصبوغ بدماء القتلى المدفونين

في هذه الارض ٠٠.

اتجهنا الى مكان تربية الحيوانات ٠٠ ابقار فريزيان ٠٠. الحلب

اتوماتيكي ثم يعبا في عربات ثلاجات ٠٠ الفراخ ٠٠ البيض ٠٠ مصنع علب

خضار ٠٠ الخيل ٠٠ جراج الجرارات والعربات . وانتهت الزيارة ٠٠ ركبنا

الميكروباص مغادرين الكيبوتز في اتجاه اكمال رحلتنا ٠٠٠

- مستوى حضارى عالى ٠٠٠

- هل رأيت مديرية التحرير .. لا تقل عن ذلك ...
- كل العالم أصبح في هذا المستوى .. عدا ريفنا المتخلف ...
- هل رأيت البنت المرتدية ثورت أحمر .. ذات الشعر الاصفر .. كالقمر ...
- اولاد الكلاب .. في منتهى الجمال ...

الطريق الى الناصرة .. جميل .. هكذا تخيلت الطريق وأنا مغمض العينين في رحلة الوصول لعثليت .. الطريق العريض في منتصفه جزيرة مزروعة على جانبيه بيارات البرتقال ...

- هل كل هذه كيبوتزات ... ؟؟

- كيبوتز .. في اللغة العبرية تعنى جماعة .. مؤنثها (كفوتزا) .. ونستعملها للتقليل أى جماعة صغيرة .. والان تعنى هذه الكلمة جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا في مزرعة جماعية والكيبوتزات عندنا متفاوتة بعضها يضم ٣٠ نسمة والاخرى ١٥٠٠ أما الكفوتزا فهي مستعمرة يقل عدد ساكنها عن ٣٠ نسمة .. والكيبوتز ليس الشكل الوحيد للزراعة عندنا .. فبجوار الكيبوتز والكفوتزا يوجد الموشاحيم وهي قرية تعاونية يمتلك الارض فيها اصحابها ولكنهم يعيشون بتسويق جماعى وعمل جماعى وعندنا قرى ذات ملكية خاصة ومدارس زراعية بالاضافة للقرى العربية .. عندنا حوالى ٨٢٨ قرية زراعية منها ٥٩٢ قرية جماعية من هذه الـ ٥٩٢ حوالى ٢٢٨ كيبوتز يسكنها حوالى ٨٨ ألف من حوالى نصف مليون .. ولهذا فليست كل الاراضى التى نمر عليها كيبوتزات ...

- وهل العرب يعيشون أيضا في كيبوتزات ... ؟

- لا فطبيعتهم ترفض الحياة الجماعية كل منهم يريد قطعة ارض خاصة به ...

هامش

(يسكن الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من أوروبا الشرقية والذين تلقوا التوجيه والتدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين .. ومن يهود أوروبا الوسطى والغربية (اثر الاضطهاد النازى) ومن الصابرا أى أبناء المهاجرين المولودين في فلسطين من أعضاء حركة الكيبوتز في المدن .. والجدير بالذكر في هذا الصدد هو أن تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وقائدها الرئيسى كان قد شدد في مذكراته على أهمية طرد الفلاحين العرب من اراضيم واستنبط لهذه الغاية وسائل متعددة ولعل

الكيبوتز كانت في هذا الصدد وسيلة مثالية لاستقدام أعداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم وربطهم بالأرض الفلسطينية والتنظيمات العسكرية والعمالية الصهيونية ربطا محكما وإجلاء العرب عن أرض فلسطين لذلك لم يسمح إطلاقا لاي عربي بالحياة في كيبوتز ... وبالتالي لم يسمح لعرب بأقامة كيبوتزات خاصة بهم لأنها بذلك تفقد سببها وأهميتها العسكرية .. وتربط العرب بأرضهم في شكل متماسك لا يريدونه ...)

زميل يضربني ضربات سريعة من أسفل المقعد لارى طائرات تنفذ من بين الحقول وترتفع لأعلى .. هنا مطار سرى .. المرافق يحاول أن يلفت نظرنا لشيء آخر فيقدم لنا سجائر من علبته ...

وصلنا الناصرة .. مدينة عربية فعلا .. المباني القديمة من دور أو دورين على الأكثر .. الشوارع الضيقة الممتلئة بالأطفال ذوى الجلابيب .. القهاري الكثيرة ذات الكراسي القش والفراجيل .. عربات الفول والطعمية والكوبيبة ورائحة الزيت المحروق ... الحلويات الشامية .. الراديو العالي .. اكوام بورتقال وليمون وخضروات ...

- مثل أي مدينة عربية .. الناصرة ...

- هنا بشرت الملائكة السيدة مريم بميلاد المسيح ...

هذه كنيسة البشارة .. هنا مكان الحقل الذي حول فيه المسيح الماء الى نبيذ ... وأردف .. والله العرب مش عايزين يغيروا الطابع بتاع بلدهم رغم أنهم أغنياء لكن الواحد يفضل يحوش عن أن يبني لنفسه بيتا ويفرشه ..

الميكروباس يسرع في اتجاه الناصرة الجديدة .. بلد نظيف .. فيلات على الطراز الحديث .. الشوارع واسعة ونظيفة .. المنازل من أعلى الجبل تطل على منظر رائع للسهل .. المرافق يتفق مع أحد السكان الاسرائيليين على أننا سنعود له حوالي الساعة الرابعة .. الميكروباس يتجه الى بحيرة طبرية .. نقف داخل محطة بنزين .. صاحبها عربي ..

- مين دول ... ؟

- أصدقاء من القاهرة ...

- أهلا .. أهلا .. كيف الحال في القاهرة .. ؟

- الحمد لله .. كيف حالكم انتم ؟ ..

- والله كويس .. احنا عايشين في بلدنا .. الخير كثير وانحية عظيمة ولا يوجد ضغط أو أى مشاكل .. والله احنا ما كنا نريد أن يتور الموضوع لهذه الدرجة ..

ثم حاول أن يكمل بسرعة خطبته التي أعدها مسبقا .. ولكن المرافق من مقدرتنا الذهنية على الفهم فأشار للسائق بالتحرك قائلاً متشكرين يا أخى ...

- والله احنا عايزينهم معانا شوية ...
اكتشف أننا ننظر له باستهزاء وفي نفس الوقت باستفكار لمحاولته التقليل
- متشكرين لدينا أعمال أخرى هامة ..

طبرية بحيرة مياه عذبة .. هادئة جدا .. الجو جميل وان زادت الرطوبة قليلا لان مستوى منسوب الأرض تحت منسوب البحر فهي أكثر نقطة منخفضة على الأرض .. والرطوبة والحرارة تسمح بزراعة الموز .. وصيد الاسماك وتربية الحيوانات والطيور الداجنة .. كذلك السياحة بفتح كازينوهات أو فيلات للتصيف وهذه الاعمال التي يعيش عليها الاعداد المتلاصقة من الكيبوتزات ...

سنزور كيبوتز منها .. كيبوتز حجانيا وهو اول كيبوتز أنشئ في فلسطين سنة ١٩١٠ .. كان اول مكان زرناه هو المطعم .. صالة واسعة تشبه السابقة .. ولكنها أقل رفاهية في الواجهة الامامية شبك واسع له كونتر .. يطل على المطبخ .. وفي نفس الصالة صفت مضاد خشبية كبيرة حولها كراسي خفيفة .. والمضاد مغطاة بمفارش بسيطة .. والطراز المعماري لهذه الصالة يرجح بانها منشأة منذ مدة طويلة .. شباب وفتاه يدخلان لروعتنا بدافع حب الاستطلاع .. الشاب يربى شعره على هيئة البيتلز والفتاة تطلق شعرها الاصفر الطويل في افعال وترتدى بلوزة حمراء وشورت ابيض قصير جدا تبدو مثل ممثلات السينما .. ننظر لهما نحن ايضا باستطلاع ...

المرافق يشرح لنا - هؤلاء الشباب من الدول الاسكندنافية .. يحضرون لقضاء العطلة ويعملون مثل باقى افراد الكيبوتز .. بالطبع لا يأخذون

مرتببات .. فاذا اعجبتهم الحياة عاشوا معهم .. وان لم تعجبهم يعودون .. ولكن عادة ما يبقون فشكل الحياة هنا يجذبهم كثيرا ..

هامش

ان الاسلوب المتبع في اختيار الاعضاء الجدد يعتمد على مبدأ التجربة .. أى أن الراغبين في الانتساب يقضون فترة تجريبية في الكمبيوتر قبل قبولهم أعضاء فيها .. وتقسم هذه الفترة التجريبية الى قسمين : المدة الاولى والحد الأدنى المقرر لها هو ستة أشهر يعتبر المتقدم بطلب الانتساب بمثابة ضيف .. فاذا وافق الاجتماع العام بأغلبية بسيطة على انتسابه يصبح عضوا مرشحا لمدة لا تقل عن نصف عام أيضا .. ولا يصبح عضوا عاملا الا بعد موافقة ثلثي أعضاء الكمبيوتر أو ثلثي حضور الاجتماع العام على الانتساب الكامل للكمبيوتر .. وهناك حقيقة هامة عن تصفية الانتساب وهي أن عضوية الكمبيوتر تزداد لا بفضل الانتسابات الزردية بل بفضل انتساب أعضاء حركات الشباب جماعيا « بن يوسف ص ٨٨ »

تناولنا الغذاء .. سوسيز .. وبطاطس بالصلصة البنية .. ومكرونة وشراب عصير البرتقال .. ثم بعد ذلك كمثرى وبرقوق طازج .. وابتدأنا جولتنا في الكمبيوتر بالمرور على قسم الحواجز .. القسم منظم .. ونظيف ومعد بطريقة مبتكرة تناسب الجو الحار فهناك ادشاس من المياه الباردة المستمرة ترطب الاقفاص والمنطقة المحيطة .. ورغم ذلك فلم نهتم كثيرا بالقسم فلقد اصابنا الملل والتعب بعد أكثر من شهرين كسل في حجراتنا ومشينا شبه نائمين خلف سكرتير الكمبيوتر .. حتى وقفنا أمام شناب اسمر من عمال الحظيرة يتكلم اللغة العربية باللهجة المصرية بوضوح .. نشد انتباهنا التفننا حوله .. لقد وجدنا قطعة من مصر هنا في اعمان اسرائيل ..

— أنا مصرى .. مصر أجمل بلاد الدنيا .. زرت بلاد كثيرة لم أجد هو حياتي ما هو أجمل من القاهرة والاسكندرية كان يتكلم صادقا .. بل كان سعيدا بنا .. فلقد وجدنا قطعة من مصر أيضا .. يا حبيبي يا مصر .. كم وحشتيني .. كم وحشتني شوارحك .. حواريك .. ترايك .. ناسك .. حتى شحاتينك .. كل ما هو جميل فيك وكل ما هو سيء .. واستمرت جولتنا .. المركز الثقافي ..

•• المستنقى نفس الكلام •• نفس الفلسفة •• ولكن كان هناك شيء جديد
فالمستعمرة في مواجهتها هضبة الجولان عبر بحيرة طبرية •• ولذا
فلاستعدادات عسكرية تغلب عليها •• بل الطابع العسكري واضح في كل
مكان •• الخنادق المكشوفة والملاجئ المغطاة •• أسوار السلك الشائك
•• أبراج الحراسة •• الكشافات الضخمة •• صفارات الانذار •• لاحظ
المرافق نظراتنا •• فقال :

هضبة الجولان فعلا تسيطر سيطرة كاملة على المستعمرة •• ولكن
لن تصدقوا ان خسائر المدفعية السورية هنا لم تعدد بعض بقرات •• وبعض
المباني ولا خسائر اطلاقا في الارواح •••

هامش

استند الجيش الصهيوني شبه السرى في فلسطين الانتدابية
(الهجانا) الى الكيبوتزيم في التجنيد وفي التدريب السرى وفي اخفاء الاسلحة
السرية •• (موش كريم) •

ان شعب اسرائيل هو الجيش •• اذ ان جميع المواطنين من ذكور
وراث هم افراد في الجيش فهذا الوضع وحده يؤمن شروط بقاء جزيرة
اسرائيل في محيط عربي (بن جوريون) ••

في ظل هضبة الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية
الهادئة وقبل غروب يوم من ايام يوليو ما بعد الذكسة
جلسنا •• سنة ضباط اسرى مصريين •• ومرافق صهيوني
(عرفنا من الشاب الاسمر الذى قابلناه انه سكرتير حزب الماباي الحاكم)
•• في كيبوتز دجانيا اقدم المستعمرات العسكرية الزراعية الاسرائيلية وثلاث
مواطنين اسرائيليين كانوا في يوم ما •• مواطنين مصريين •• جلسنا
حول منضدة طويلة في كافتريا اعدت للسياح •• كل الموجودين يتكلمون
اللغة العربية واغلبهم بلهجة مصرية عدا سكرتير الكيبوتز فكان يتكلم
الانجليزية •• واستمرت دردشة عن القاهرة •• وحواريها وناسها ••
•• وملاهيها •• والتغييرات التى حدثت فيها •• العتبة وميدان رمسيس
•• نقلوا تمثال النهضة امام الجامعة •• واقدم الكورنيش بالطبع والهيلتون
والسد العالى •• وتخدر كل الموجودين •• نحن من ذكرى بلدنا •• والحديث
عنها في هذا المكان الرومانسى وهم من ذكرى ايام صدر شبابهم التى عاشوها
في بلدنا •• سقطت العداوات •• وتقاربنا بشدة •• وتحمس احدهم
فاشتري علبتين سجائر امريكاني •• اعطاهما لنا •• وتحمس آخر ••

تأشقرى لنا زجاجات مياه غازية منغبشة من البرودة .. والرطوبة .. وفجأة
دار حديث بالعبرية بين سكرتير الحزب المرافق لنا وسكرتير الكيبوتز ..
ثم ترجم لنا المرافق الحديث فقال : لم أكن أعرف هذا حقاً .. ولكن أبني
سكرتير الكيبوتز أصيب في الحرب الاخيرة وقطعت رجلاه .. ومع ذلك
يرحب بكم

مناورة سخيفة مكشوفة ردتنا بقسوة للحقيقة .. أننا بين أيدي أعداد
.. أننا أسرى وصحونا من الحلم لنستمع في ملل الى ما يقوله سكرتير
الحزب .. نحن نريد أن نعيش في سلام .. كل المواطنين هنا لا يريدون
الحرب نريد أن نعيش أطفالنا خارج الملاجئ والخنادق .. عشنا تحت الأرض
أكثر مما عشنا فوقها .. نريد أن نستمتع بالشمس .. كنت استمع اليه
وأنا أنظر حولي متلهيا .. الفتيات والشبان حولنا كثيرون .. معظمهم
غربيون .. الملابس كلها شورطات وبلوزات .. فتاة يتعلق بها بصرى وأحاول
أن أتأماها أكثر ما يمكن .. متوسطة الطول تلبس شورت أبيض وبلورة
ركامة بيضاء .. شعرها الأصفر منسدل بأهمال حول رقبة طويلة بيضاء
تحمل وجهها له أجمل ابتسامة رأيتها في حياتي .. الشمس على البلاج ..
بيك أب مع بعض الاسطوانات موسيقي رائعة قائم لنا من بعد .. ونا
في طريقنا الى الميكروباس مبانى جديدة منفذة جيداً .. الخرسانة غير محتاجة
لبياض فهي منفذة بحيث لا تغطي بالبياض لتتحمل رطوبة المنطقة .. الشرية
على الكافتريا ترحب بنا بابتسامة لزجة .. انها زوجة وزير .. الوزير
نفسه من سكان الكيبوتز .. نركب الميكروباس .. أنظر لاخر مرة الى
لابسة الشورت الابيض .. هذا الشباب اذا يتحول الى وحوش
هامش

(اسرائيل في حقيقتها .. مقدمه للاستعمار الامبريالى العالمى فى الشرق
الاوسط .. انشأتها انجلترا لتخاف على ممتلكات التاج البريطانى
فى المنطقة .. ان قيام دولة قوية على ضفاف قناة السويس قادر على حماية
المصالح الانجليزية فى الشرق الاوسط ، وايزمان - وبعد الحرب العالمية
الثانية .. ومع انتقال الزعامة الى أمريكا .. انتقلت حمايتها الى أمريكا ..
وانتقل الولاء الصهيونى إليها أيضا .. وتحولت الى فصيلة مقدمه
للجيش الاهريكى فى المنطقة لتنفيذ المخططات الامريكية العالية) ..

نحن فى طريقنا الان الى الناصرة .. فقدنا اندهاشنا .. نحاول أن
نحتفظ فى مخيلتنا بما نراه فيحتمل الا نرى هنيئاً الا بعد مدة طويلة ..

اليوم يقارب على الانتهاء وسنعود ثانيا الى سجننا . . الميكروباس يصعد
المرتفعات المطلة على الناصرة الجديدة . فيلات صغيرة جميلة منتشرة على
المنحدر . . نزور عائلة يهودية تسكن احدى الفيلات . . المنزل بسيط جدا . .
ولكنه جميل . . الاحاديث ودية . . ترحيب . . حديث مع فتاة اسرائيلية
ابنة صاحب البيت . . عمرها حوالي السادسة عشرة . . .

تقول - لماذا لا نعيش في سلام . . منطقتنا سديصيح ان تكون أغنى
مناطق العالم

لديكم البترول والمواد الخام والعمالة . . ولدينا الفنيون والعلماء . .
ونستطع ان نأخذ رهوس الاموال الامريكية للتعمير . .

أبتسم . . هذا ما يعلمونها . . !! . . وجهه النظر الاسرائيلية بدون
أى زواق أو أصباغ تخفى حقيقتها . . .

تتصور أننى موافق على ما تقوله . . توجه لى كلامها . . .

- ما رأيك . . لماذا نحارب . . ؟ . . أكلها برفق شديد . .

وهل تتصورين أننا لا يوجد بيننا علماء وفنيون مثلكم . . أنا مهندس
والزميل مهندس والآخر طبيب . . ولنا زخيرة عريضة من العلماء . . ثم هل
تتصورين أن رهوس الاموال الامريكية ستعمر لنا بلادنا لننافسها . .
انها تعطىكم لانكم اسرائيل يا أنفسه . . ولانها تتصوركم . . ١١ . . وقطع
كلامى المرافق قائلا . . .

- انها تقصد ابناء عمرتنا من الاغنياء في أمريكا . . فرصة
سعيدة ونحن شاكرون ومضطرون للرحيل فلدينا ما نشاهده . . .

الميكروباس ينتقل بنا الى الناصرة القديمة . . نقف امام منزل عربى
كبير . . ذى مشربيات ومقرنصات وحليات عربية . . تقابلنا على الباب
سيدة قادمة لتوها من عند مصفف الشعر . . عرفنا بها المرافق . . زوجة رب
العائلة . . تذكرنا بسيدات البرجوازية الصغيرة المصريات . . متحشمة
فى ملابسها العصرية . . المنزل به مضيئة واسعة على عادة المنازل المشرقية
. . . يحتشد فى الصالة عدد كبير من عرب الناصرة . . ترحيب شديد

وأحضان مصرية وقبيلات على الطريقة الشرقية وقف المرافق في وسط الحجرة
وبطريقة مسرحية أشار لنا ولهم وقال ضيوف من القاهرة . . . مواطنونا
العرب في إسرائيل . . . أنتم أقارب ولنترككم لتتعارفوا . . . انتشرنا في أرجاء
القاعة الواسعة . . . وأخذت مكاني بجواره . . . عرفني بنفسه مدرس فلسفة
في المدارس العربية . . . كان يتكلم بانفعال فيهتز وجهه السمين . . . وتبرق
عيناه الزرقاوان من تأثير دموع حبيسة . . . ويشير بيديه وأصابعه . . . ويتحرك
كثيرا على المقعد العربي الطراز . . . وكنت أنظر إليه باهتمام وتركيز لعلى
استوعب كل حرف ينطقه وفي نفس الوقت أنظر بطرف عيني الى نهاية الحجرة
الواسعة لارى هل هناك من يراقبنا . . . فلم أكن أتصور أن سكرتير الحزب
الحاكم سيفي بوعده ويتركنا لتتعارف بدون رقابة . . .

قدموا لنا السجائر الامريكية . . . والحلويات الشامية . . . والشيكولاته
. . . والقهوة . . . والشربات كل شوقهم للعرب خارج إسرائيل تركز في هذه
الزيارة شعور الانسان الذى وجد اهله بعد غربة طويلة . . . الاستقبال
للحماسى يذيب الثلوج سريعا . . . ذو العينين الزرقاوين يسألنى . . .

— ما الحسل . . . ؟

— أعتقد أنه لا يوجد الا حرب العصابات والمقاومة السرية . . .

— المقاومة بهذه الصورة لا يمكن . . . ماذا يعنى نسف فنتاس . . .
أو وضع لغم تحت جرار زراعى يعمل . . . أو يدك بأن المقاومة قد تكون
فعالة وحاسمة . . . ولكنه لا بد من تصعيدها وحتى يتم ذلك . . . ما العمل ؟
كان امامى أحد الطريقتين . . . أن أسمعه . . . أو يسمعنى . . . وفضلت
أن أسمعه فهو الصوت المحبوس أبدا داخل السجن الاسرائيلى . . .

لذلك قلت — أنا في حالة بليلة بحيث لا أستطيع أن أقدم لك حلا . . .
ولكنى ساكون — مستمعا جيدا لك . . .

— المعركة يا عزيزى في مصر . . . لا شك أن مصر أكبر الدول وهى أملنا
بقيادتها الثورية المتقدمة . . . ولكن تجربتنا مع هؤلاء ثلاث مرات
أثبتت أننا لا بد وأن نصل الى مستواهم الحضارى والتكنيكي
. . . وبعد . . . بمعنى أنه لا بد وأن تقفلوا على أنفسكم الباب مدة
حتى نتقدموا حضاريا وتكنيكييا . . . حتى تصلوا الى مستواهم
. . . وبعد ذلك الحرب . . .

- وأنتم ٠٠٠ ؟

- نحن الاحتياطي الطبيعي لكم ٠٠ وفي كل مرة كنا مستعدين للقتال بجواركم مع ظهور أول خيط للامل ٠٠ ولكن ٠٠ أنا معك ٠٠ حرب المقاومة لا بد وأن تأخذ صورة مخالفة للعب الاطفال هذه ٠٠٠
- ليست المقاومة املا يمكنكم أن تسعوا اليه ٠٠٠ ؟

- شعبنا شعب مفكك ٠٠ وزعماء الدول العربية ساعدوا على تفكيكه أكثر ٠٠ صدقتني ٠٠ ان عيبنا نحن العرب أننا لم نتخذ الشكل العصري للدولة بعد ٠٠ انهزمنا يا أخ لانهم هنا يخططون ويعملون بشكل علمي ٠٠ أما نحن فنعمل بشكل ميتافيزيقي ٠٠ على مصر وارجر ان تقول كلمتنا وتبلغها يا أخي ٠٠ ان نتقدم وتصبح الدولة العصرية القادرة على مواجهة اسرائيل ٠٠ لا بديل للحرب ٠٠ لا بديل للحرب ٠٠ ولا بديل للتقدم لكسب الحرب ٠٠٠

كدت ابكي فلقد كانت كلماته اول رد لاعتبارنا أسمعه منذ ٥ يونيو
اللعين ٠٠٠ وازددت حبا لهذه العيون الزرقاء الذكية ٠٠

- ما اخبار العالم في الخارج ٠٠٠٠ ؟

- مقال هيكل سمعناه في صوت العرب ٠٠ يتكلم عن أسباب الذكسة .
وهنا قدموا لنا حلوى أخرى غير التي استقبلونا بها ٠٠ قبض صديقي على كمية كبيرة ووضعها في جيبي قائلا :

- اعط لزملائك ٠٠ والله كنا بفريد أن نرسل لكم الطعام يوميا ولكن ٠٠ حكم القوى ٠٠

- هل ساعدت أمريكا اسرائيل فعلا بالطيران ٠٠٠ ؟

- لا ٠٠ ولكن البحرية الامريكية كانت مستعدة لدخول المعركة في حالة دخول أول جندي مصري أرض اسرائيل ٠٠ ولا يمنع أيضا أنهم ساعدوهم بواسطة الباخرة الاليكترونيه ليبرتي في التوجيه والتصحيح للطائرات لوك مطاراتكم ٠٠ يا أخي شيء غريب ٠٠ هنا عرفنا مقدا ان مجلس الوزراء سيبدأ الحرب يوم ٥ يونيو ٠٠ وأبلغنا سفارة دولة شرقية ٠٠ وبالتالي أبلغت روسيا وروسيا أبلغتكم ٠٠ بمعنى أنه لم تكن هناك مفاجأة ٠٠ ومع ذلك حدث ما حدث ٠٠ كيف ٠٠٠

- لا أعرف ٠٠٠

- سمعنا أنه قد حدث خيانه بين قيادة سلاح الطيران ٠٠ وأن المخابرات المركزية الامريكية دفعت مبالغ هائلة رشوة ٠٠ وسمعنا ان الطيارين

كادوا أن ينجوا في مطار غرب القاهرة .. يريدون أن يصعدوا .. والأوامر
لا تصلهم .

- قد يكون هذا حدث .. وقد لا يكون ...

- نعم .. أنا مقدر بصدق عن المعلومات .. المهم الحمد لله على السلامة .
والله تبليغ سلامي للاخوه في مصر .. وتقول لهم ان أملنا مازال معلقا بكم
... ورغم كل العون الامريكى .. هنا حذيفة ذهب هوصلة بنويويورك ..
ومع ذلك أملنا كبير في النصر ...

- وانتم هنا ما هو موقفكم .. كيف تعيشون ... ؟

- العرب هنا يمكن تقسيمهم لثلاثة اقسام .. قسم (وكاد يشير
الى بعض الجالسين) استسلم ورضى بالواقع ويقول هذه بلدنا .. والعرب
لو دخلوها سيذبحوننا كما لو كنا يهودا وهؤلاء في الاغلب اغنياء الغرب ..
والقسم الاخر نسميهم ناصريين .. وطنيين يؤمنون بالبعد القومي وأملهم
مصر وعبد الناصر بالذات .. واغلبهم من الطبقات الوسطى والموظفين
ومستعدين لتقديم اى عمل في الوقت المناسب .. وبينهم تيارات ثقافية
وقومية مرتبطة بالتيارات الموجودة بالقاهرة والعالم العربى .. والنوع الثالث
هم الشيوعيون .. وهم منطرفون جدا .. اغلبهم من المثقفين الفقراء وهم
لم يتركوا النضال ابدا .. بالكلام .. بالحرب .. بالشعر .. بالمنشورات
ومرتبطون الى حد ما بالاحزاب الشيوعيه الاسرائيلية .. وموقفهم واحد
مسلمين مسيحيين ويهود .. لهم جريحتهم « الاتحاد » بالطبع سرية ..
ودواوين شعر سميح القاسم وتوفيق زياد .. ومحمود درويش .. وان
كان لا يسمى نفسه شيوعيا .. وغيرهم كثيرون .. بعد النكسة ازداد
نشاطهم لدرجة انه صدر قرار يحظر تجولهم وتحديد اقامتهم في منازلهم ..

- بالنسبه هل توجد قيود على العرب ... ؟

- يوجد قيود طبعا .. على التجول .. والحركة والنشر .. والتجمعات
... ولا يسمح باى تحرك من بلد الى آخر الا بتصريح من القائد العسكرى
 للمنطقة .. ولكنهم عادة لا يمنعون ذلك الا في زمن الحرب .. وعموما هم اذكى
من ان يشعرونا بالقيود .. الكارثة الحقيقية هي العمل .. فهنا اليهودى
له كل الفرص .. وما يتبقى للعرب .. وعادة ما تكون الاعمال الشاقة ..

- وهل تتولون مناصب قيادية في الحكم ...

- توجد بعض المناصب للعرب .. منصب القاضى .. وبعض المدرسين
.. وفي بعض الاوقات ممثلون في الكنيست .. صمتنا قليلا ثم سأل ..

– هل زرتهم أماكن كثيرة. . . . ؟

– زرنا بعض الأماكن . . .

– ما رأيك . . . ؟

– مش بطسلى . . . ١١

– نسوانهم حلوين . . .

ضحكت

– نعم . . .

نسوانهم هن اللاتي أخذن لهم فلسطين منا . . كن يضحكن على الشبا . .
و.أخذن نفوسهم . . وأرضهم . . عن طريق الخمارات والكباب . .

كان يدور هذا الحديث . . وحولى أحاديث أخرى كثيرة . . كنا نلتقط
منها بعض الكلمات عن السد العالى . . ومديرية التحرير . . والرى . .
والتقدم المصرى بعد الثورة وارتفعت الاصوات . . وأرتفعت
الضحكات . . حتى دخل المرافق الاسرائيلى . . . قال لى زميلى – هل تعرف
انه سكرتير الحزب الحاكم . . . ؟

– نعم . . .

أراد أن يسيطر على الموقف ويوجهه . . فلقد كانت أول زيارة يقوم
بها الاسرى المصريون . . للمواطنين العرب . . وكانوا يجربون . . حتى
يشعرونا بمدى الحرية والديمقراطية الاسرائيلية . . ولكن الموقف خرج من
بين يديه . . .

قال – ما رأيكم ندير مناقشة مفتوحة . . ونستفيد جميعا بدلا من
الجلسات الثنائية . . ردوا عليه : أتركنا فى حالنا . . نحن سعداء بذلك . .
ولكن التقط الخيط منه بعض المتعاطفين أو الخائفين . . وابتدأوا فى
مناقشة مفتوحة . . . على حد تعبيره . . .

قال أحدهم – كلمونا عن الزراعة عندكم وأهم المحاصيل . . .

رد زميل وهو يبتسم لسخافة السؤال مع الموقف . . .

– نحن نزرع القطن . . . والقصب . . .

غمزنى زميلى قائلا . . .

– أتركهم فى حالهم . . هل لديك أسئلة أخرى . . .

– ما تأثير « فتح » على السكان العرب هنا . . .

« فتح » هي أساس المشكلة .. بشكل رومانسي جدا حاولت أن تقرد المقاومة أو تحيئها ولكن ما المكاسب التي عادت علينا من نسف الجرار الزراعي ... أو غنطاس المياه ... لقد دمروا في مقابل ..

وهنا نهض المرافق ... قائلا ... كانت فرصة عظيمة وزيارة ممتعة نرجو أن تكونوا قد تعرفتم جيدا على أوجه الحياة المختلفة في بلدنا .. وكنا نريد أن نطيل الزيارة ولكن لنا برنامج يجب أن نستوفيه خصوصا وأن الزملاء يريدون زيارة كنسية البشارة ...

تركنا العائلات العربية .. ونحن مازلنا نشعر بحرارة اللقاء .. والمحبة الحقيقية الواضحة في أعينهم .. وكانت تدور في رأسي أسئلة كثيرة تلح على .. هل هذا اللقاء مرسوم .. هل ما قيل لي هو الحقيقة .. هل أعد من قبل أم تورط المرافق فيه .. جلست في الميكروباس بجوار الشسباك أنظر شاردا الى مجاهيغ الاولاد والاطفال الحفاة يلعبون حولنا وينظرون لنا بأندهاش واستطلاع واقترب مني أحدهم .. لم أشعر به في البداية حتى أصبح ملاصقا لي .. ونطق بكلمات قليلة كانت كافية لحسم الموقف أمامي ... لقد عبر عن رأي عرب الناصرة .. رغم كل الحواجز والقيود .. قال « كسفتونا » واستدار عائدا ...

زرنا كنيسة البشارة .. كنيسة قديمة أقيمت حول بئر يسمى بئر العذراء ... ويقال أن العذراء بشرت بالمسيح عنده .. الجو الرهيب الخانق للاماكن المقدسة القديمة الشموع المتندلة للنفخ .. السيدات البسيطات الطبيبات يدعون لنا .. شربنا من ماء البئر .. ومررنا بداخل الكنسية .. ثم ذهبنا الى جامع الناصرة .. ساهمت في بنائه الحكومة الاسرائيلية .. جامع فاخر .. مغطى بالسجاد ومعلق في سقفه النجف .. وبه مكتبة اسلامية كبيرة .. على حد قولهم ثم ركبنا الميكروباس ثانيا .. في رحلة العودة في اتجاه عثليت .. في الطريق الصاعد الى أعلى جبل الكرمل حيث كيبسوتز « بيت عورين » كانت توجد العربات الصغيرة الواقفة بجوار الرصيف .. ومجموعات من الشباب والشابات الصغيرات يحبون بعضهم بعضا .. البعض غارق في القبلات وفي مكان آخر كان أحدهم يرقد فوق زميلته يزاولان الجنس .. ابتسم المرافق وقال هذه مسألة شخصية .. وان كان اليهود الشرقيون أكثر تحفظا في ذلك .. عموما هذه من مشاكلنا .. أقصد الفارق الحضاري بين اليهود الغربيين .. واليهود

الشرقيين ... ولكن عموما الشرقيون يحاولون الان أن يسايروا التقدم الحضارى الغربى ...

وصلنا الى كيبوتز « بيت عرين » أنشئ عام ١٩٣٩ فى أعلى جبل الكرمل .. الليل تقدم .. فسمات الهواء الباردة فى يوليو .. أضواء صغيرة منتشرة فى الحدائق .. جلسات عائلية حول مناضد صغيرة .. موسيقى خفيفة منبعثة من ميكرفونات معلقة بين الأشجار ..

دخلنا الى مبنى فخم مكون من عدة طوابق يستعمل كموتيل للراحة والسياحة ... المطعم صالة واسعة تشبه صالة الطعام بالهيلاتون .. الأضواء المختلفة .. المناضد النظيفة .. المضيفات يتحركن بهدوء بين المناضد لابسات الميكروجيب .. سيقانهن وأرجلهن مثيره للغاية لأول مرة أشعر بأدميتى منذ ٥ يونيو بعد ما جلست على الكرسى الوثير أمام منضدة العشاء ...

— أريد أن أذهب لدورة المياه ... —

دورة نظيفه جدا .. حتى لو لم ترد فلتدخلها فهى بالمقارنة بدورات عتليت .. بل بعنابر نوم عتليت هى الجنة .. أنظر لنفسى فى المرآة لأول مرة منذ شهر طويله ... البنطلون واسع والقميص ضيق جدا يكاد تقطع أزراره .. شعرى طويل .. ضعيف جدا .. خاسس .. ما هذه النظرات البائسة .. هل هذا الوقت أنا .. مستحيل .. الراحة تكاد تقتلنى .. اليائسة .. هل هذا الواقف أنا .. مستحيل .. الراحة تكاد تقتلنى ..

المضيئة تقدم لى طبق اللحم .. تميل بجوارى .. أشعر برائحة البرفان المختلط بعرقها .. أكاد أجن .. صدرها يظهر من خلال توبها وهى منحنية .. ساقها يلمس ساقى .. أنصب .. أخجل من نفسى .. أنحنى على طبقى أقطع اللحم أمضغه على مهل معدتى تؤلمنى .. فى رأسى صداع شديدا .. قلبى يدق دقات متتالية أريد أن أفرغ ما بمعدتى ... لا أشعر بالحديث الذى يدور حولى .. أبحث بعينى عن المضيئة الفارعة ... الزملاء يحاول كل منهم أن يخفى مشاعر .. أحدهم يميل على أولاد الكلب حلوين .. ما رأيك فيهن ؟ أصمت .. يرتبك .. تقع أدوات المائدة منه على الارض ...

نخرج الى الهواء الطلق الخارجى .. اتنفس بعمق .. الهواء البارد
يدير رأسى .. اشعر بتعب وخدر شديد فى جسدى .. نركب الميكروباس ..

المرافق يحاول أن يختتم الرحلة .. يفتح الراديو .. الموسيقى
الهادئة تسبب هواء البحر يتخلل الشبابتك .. اغوص فى مقعدى ..
مسترخيا .. اغمض عيني .. ما الذى أتى بنا الى هنا .. ملعون
أبو الحرب .. الموسيقى تتوقف .. المذيع يتكلم هنا صوت أمريكا ..

- اليكم موجزا لاهم الاخبار العربية .. المرافق يحاول أن يخلق
الراديو .. يخجل .. عموما انه صوت أمريكا .. لا فارق كبير ..

وكقطة نشاف امتصنا الاخبار .. فى نهاية النشرة أو قرب
نهايتها .. المذيع يذيع خبرا بأن الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه
بان الحرب فى ٦٧ ما هى الا جولة يعقبها جولات .. وأن الحرب لم تنته
بهبزيمه يونيو .. أغلق المرافق سكرتير حزب المساوى الحاكم الراديو بتوتر
شديد .. والتفت لنا يرد على عبد الناصر ..

- نحن مستعدون لأكثر من جولة .. وأحب أن أخبركم بأننا ومنذ
حرب يونيو نتدرب استعدادا للحرب المقبلة .. نحن نملك أسلحة سرية
مدمرة لم نسعملها فى الحرب السابقة .. لاننا انتصرنا .. بالأسلحة
التقليدية .. ولم يستدع الموقف تجربتها ولكننا سنسعملها وعلى وعلى
أعدائنا .. كلمة قالها شمشون اليهودى وهو يهد المعبد نحن لدينا أيضا
ابحاث متقدمة فى معاملنا .. يحضر من أجلها علماء أمريكا ليستفيدوا منا ..

وهنا كان الميكروباس قد دخل الى المعسكر .. وكانت النوايا قد
وضحت تماما واطارت الكلمات الاخيرة كل الخدر الذى كنا نشعر به ..
ولذلك فلقد كانت خطبة الوداع سخيفة جدا وهو يتلوها غير نحاسب لما حدث
منذ دقائق حسابا .. كنا نستمع لعدونا وهو يقول :

- والان انتهت الرحلة .. وكل شىء لابد وله نهاية .. حتى وجودكم
بيننا له نهاية وحتى عداؤكم لنا له نهاية .. ونأمل أن تزورونا ثانيا
وقريبا .. اخوانا سياحا حقيقيين .. كلمات مرسومة سخيفة رغم كل
الطلاءات العديدة التى كشفتها أضواء الحقيقة والتى أجبرته على كشف
أوراقه فى لحظة غير مناسبة ..

استقبلنا الزملاء باستطلاع شديد وتشوق لمعرفة ما حدث .. وقضينا ما تبقى من الليل نحكى قصة خطواتنا على الارض المحبوسة داخل اسرائيل .

تتابعت بعد ذلك الزيارات لباقي الاسرى .. وتنوعت لعكا وقل ابيب ويافا .. صور متكررة لما حدث لنا ولكن يتحفظ اكثر فيما يختص بتقابل المصريين مع الفلسطينيين في اسرائيل .. وصاحب ذلك تغييرات كثيرة لحياتنا في المعسكر لنبدأ مرحلة أخسرى من اواخر يوليو وحتى اوائل أكتوبر .. فالاستجوابات اختلف طابعها .. وتحولت الى مقابلات سياسية .. وصاحبها في نفس الوقت محاضرات جماعية يلقيها بعض المتخصصين وعرض أفلام سينمائية .. وحدثت بعض التغييرات في نظام معيشتنا .. لقد احضروا لنا مراتب وكميات من القش لبحسوها . وتحسن الى حد ما الاكل .. فلقد سمحوا لنا بتناول بعض الفواكه مع الغذاء .. وكميات من المربى مع الجبن في العشاء .. وانتظم تمويننا بصابون للوجه .. وأمواس للحلاقة .. وصابون للحلاقة .. بل احضروا لنا بعض أدوات الترفيه طاوولات وشطرنجات وكفاشين .. وخفت قيود الحراسة .. بل ولقد جاءنا من مصر خطايات من الاهل ووصلتنا طرود هدايا من الحكومة المصرية .. وطرود خاصة من اهالينا .. واضيف للمقرر اليومي من الاذاعة أغنية « على بلد المحبوب ودينى .. » وتعددت مرات اذاعة الاغانى .. ودخل المعسكر مجلات اخرى غير الجبروزليم بوست .. واليوم .. فلقد دخلت مجلة الكواكب .. وهى صورة من الكواكب المصرية والشبكة نفس المقالات ونفس الريبورتاجات ونفس الصور المسروقة .. كذلك هربت سرا جريدة « الاتحاد » جريدة الحزب الشيوعى .. وهى تندد بالاحتلال واغتصاب الارض. وتحذر من العصاة العسكرية الحاكمة وتحكى قصصا للضغط على العرب في الاراضى المحتلة وتذكرهم بمجازر دير ياسين .. وتحكى قصة امام المسجد الاقصى الذى بكى فى صلاة العيد وقال « عيد باى حال جئت يا عيد » .. وتجاوب الجماهير معه بلهم الصبر .. الصبر .. ثم رعب المذبح الاسرائيلى واستدعاؤه الجيش .. وتعلق الجريدة على الرعب الاسرائيلى من مجموعة من العزل فتقول هل ستحرمون الناس حتى من حق البكاء .. ومنها ايضا عرفنا ان النائبين الوحيديين اللذين عارضوا ونحدا بحرب يونيو فى الكنيسة الاسرائيلى كانوا من اعضاء الحزب الشيوعى ..

هذه بعض التغييرات التى حدثت بالاضافة الى مد فترة السماح بالماء .. واصلاح دورات المياه الجديدة .. وحدثت فى حياتنا تغييرات

أخرى هامة .. فلقد ابتدأت الملكات تتفتح لدى الضباط .. وظهرت أنواع عديدة من الفنون بأقل امكانات ...

هذا يرسم .. لوحا جيدة خريج كلية الفنون .. فملا جدران الحجرات بالنسوة العاريات .. وهذا يصنع عرائس ويفتح مسرحا للعرائس .. وآخرون يؤلفون الشعر وزملاء لهم يلحنونه ويغنونه وظهرت أكثر من موهبة غنائية .. وانتشرت حلقات الغناء في جميع الحجرات تستمع الي الصبان ومجدى وعمر .. وآخرين .. وتكونت فرق موسيقية بالات بدائية .. واستمنا الي أغاني محورة تحمل معانى جنسية او فكاهية ...

وبجوار هذا انتشرت الحلقات الدينية .. احضروا القرآن والانجيل .. وتكونت حلقات القراءة .. وحلقات التفسير .. وحلقات الذكر .. وعم المسكر نوع من أنواع التصوف .

وبجوار حلقات التصوف هذه .. كانت حلقات البوكر .. والمقامرة على السجائر ... وانتشرت الاسواق الخلفية لتبادل البضائع .. الزنوبة بثلاث علب سجائر كبيرة وعلبة المربي بعلبتين والغيار الداخلى بخمس علب .. وكانت الاسعار ترتفع وتنخفض حسب توفر السجائر من عدمه .

طلبت للاستجواب .. كان المستجوب شابا صغيرا يتكلم الانجليزية .. عرفنى بنفسه ... طالب بالدراسات العليا بالجامعة العبرية ويعهد دكتوراه في العلوم السياسية والاجتماعية .

- ما رأيك في نظام الحكم في مصر ... ؟

- ماذا تقصد ... ؟

- الديمقراطية ...

- عظيمة ..

- هل لديكم ديمقراطية ... ؟

- نعم ...

- وهل هذه ديمقراطية .. هل لديكم احزاب ... ؟

- وهل الديمقراطية معناها أحزاب .. ؟ هذا شكل قديم نظري ..
في الحقيقة الديمقراطية ترتبط أساسا بمن يملك السلطة الاقتصادية .. في
أمريكا مثلا هناك حزبان .. ولكنهما يخدمان نفس الايديولوجية .. ونفس
الهدف .. وهو تسلط أصحاب رموس الاموال الامريكية على الحكم ..
ما الفرق بين الحزبين اللذين في أمريكا .. كلاهما سيطر عليه بواسطة
الأقوى اقتصاديا .. بواسطة أصحاب الملايين ..

- فلنترك أمريكا جانبا .. انجلترا ..

- أيضا الحزبان الرئيسيان المحافظين والعمال .. لا فرق بنما .. كلاهما
يخدم نفس الغرض .. بل العمال أكثر رجعية من المحافظين .. جميع أعمال
القمع التي عانت منها المستعمرات .. جميع أنواع الاستغلال والمظاهرات
حدثت أثناء حكم العمال .. الأكثر دلالة على ذلك حكومات الظل التي
تكونها الاحزاب خارج الحكم .. أين الديمقراطية في هذا .. الحكم في انجلترا
ورغم الهاید بارك .. ورغم البرلمان الانجليزي .. في الحقيقة يتحكم فيه
مجموعة من محترفي السياسة .. المسيطر عليهم بواسطة أصحاب رموس
الاموال الانجليزية ..

- ما قولك في أن المواطن الانجليزي قادر على سب ملكة إنجلترا .. ؟

- كل هذا كلام في الهواء .. ما تأثير سب الملكة سوى تخفيف
التوتر .. هل يغير ذلك الطبيعة الاستعمارية لانجلترا .. بالعكس
لم تستطع ديمقراطية الهاید بارك أن تؤثر الا في اباحة الشفوذ الجنسي ..

- لدينا هنا في اسرائيل ديمقراطية .. (قالها بتحد) ..

- واليهود الشرقيون .. والعرب الفلسطينيين .. وأهالي المدن
المحتلة .. هل هذا رأيهم أيضا .. ؟ هل يزاولون حريتهم الديمقراطية
مثلك أنت القادم من الغرب ..

- بالتأكيد لهم حرية ديمقراطية .. الا بعض القيود الخاصة بأمن
الدولة ..

- هل تريد مني أن أتكلم بصراحة .. ام حديث بين أسير وآسره .. ؟

- لا .. وبصراحة فهنا من الديمقراطية ما يسمح لك أن تقول
ما تريد ..

- بعض القيود الخاصة بأمن الدولة هذه تزداد حتى تصل الى سجن
وتحديد إقامة الاخرين كما حدث يوم 5 يونيو ..

- لا .. هذا غير صحيح .. العرب هنا لديهم الحرية الكاملة ..
عندنا هنا جميع أنواع الاحزاب .. وكل منها له مجلته وجريدته وينطبع كل
الكلام الحر ...

- يا سيدى الفارق ان .. بامريكا حزبين ينفذان سياسة المليونيرات
الامريكان .. وهنا عشرون حزبا ينفذون سياسة التوسع لحساب
المليونيرات الامريكان ايضا ...
- من قال هذا ... ؟

- هذا هو ما كتبتم فى الكنيست « من الفرات الى النيل » ..

- لا هذا غير موجود ..

- وحروبكم .. التوسعية ايضا غير موجودة ؟؟

- نحن لا نريد الارض المحتلة .. نحن نريد السلام ...

- وهل يفرض السلام بالقوة ... ؟

- نحن ندافع عن انفسنا ...

- بالفابلم والاسلحة الهجومية والتكتيك الهجومى .. والاستراتيجية
الهجومية .. هل تفكر ان استراتيجيتكم مبنية على الهجوم ونقل المعركة
الى ارض العدو ... ألم تبحأوا الحرب ثلاث مرات ثم تقولون نحن ندافع
عن انفسنا ... !

- خرجنا عن موضوعنا .. هل عنكم ديمقراطية ... ؟

- الديمقراطية الاشتراكية .. تخالف الديمقراطية الغربية .. فى الدول
الاشتراكية هى تحالف .. فى الدول الغربية هى تصارع .. والتصارع يبدد
القوى فى تفاهات والتحالف يدعم القوى الحقيقية المنتجة فى الدولة وهم العمال
والفلاحون ضد القوى الاستغلالية والطبقات غير المنتجة ...
فى بلدنا الديمقراطية هى تحالف بين القوى المنتجة من عمال وفلاحين
ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين .. وعن طريق هذا التحالف تتحقق آمال
واهداف الطبقات الكادحة فى حياة احسن ..

هذا عظيم جدا .. ولكن نظريا .. هل تتصور يا عزيزى ان الفلاحين
والعمال المتخلفين حضاريا .. الذين هم فى الاغلب يجهلون القراءة والكتابة ..
وهم الذين يشكلون 50% من أعضاء التنظيمات السياسية قادرين على تحقيق
هذه الحياة الاحسن .. هل يفهمون فى الاقتصاد والتخطيط والادارة
والقانون ...

الفلاح الجاهل المتخلف بالطبع لا يفهم في القانون والادارة والاقتصاد ولكنه يفهم مشاكله جيدا ويفهم ماذا يريد .. وهو في التنظيم يحقق ما يريد .. حقا لم نصل بعد الى العامل والفلاح المؤثر ولكن هل تتصور ان هناك عصا سحرية تضربها فتحول العمال والفلاحين الى اساتذة في القانون والادارة بالطبع لا توجد لدينا هذه العصا .. ولكن لدينا ما هو أكثر جدوى وهو الزمن والممارسة .. فخلال ممارسة العامل والفلاح للعمل السياسي في وحدته الصغرى يتعلم ويثقف وينضج ويصبح أكثر صلابة عند انتقاله لوحدته الأكبر .. فيشارك في سياسة اقليمية .. حتى يصل الى أعلى مستوى يصبح فيه قادرا على التخطيط لتسيير مستقبل وطنه .. ان الممارسة والزمن كافيان لان يجعلنا فلاحينا وعمالنا زعماء سياسيين قادرين على تسيير دفة بلدنا ..

أيضا هذا الكلام نظري ففلاحو وعمال التنظيمات الشعبية منفصلون عن الشعب والمجتمع قاتعون بما وصلوا اليه من رفاهية ...

لن اجادل في هذا أيضا .. ولكن هذه الظاهرة ستزول عندما يكتشفهم ناخبوهم ومع الزمن سيحدث تطور وستصحح هذه الاخطاء وقد يكون ما حدث امس كافيا لا حدات التطور .. كما حدث بعد حربنا معكم سنة ٤٨ ، سنة ٥٦ ...

انت عنيد .. وتردد كلاما ممل على عليك ...
لا

ماذا اذن لا تقنع .. لقد غسلوا لك مخك جيدا ..

هذه خرافة .. والا فانا بين يديك اغسل لي مخي ... ١١١
وضحكت .. فضحك وانتقل الى موضوع آخر بعد ان نظر في الورقات التي امامه ..

اشتراكيتم .. هل عندكم اشتراكية .. ؟؟ .. بالمناسبة نحن لدينا الاشتراكية الحقيقية في الكمبيوتر .. هل زرت الكمبيوترات ...

نعم زرت بعضها .. في الحقيقة الكمبيوتر مستعمرة تعاونية عسكرية فرضها الواقع العسكري الذي تعيشونه .. وهي مبنية على فلسفة دين العمل لجوردن لا تتصل بالماركسية من قريب أو بعيد .. الا فيما تنتجه الحياة

الجماعية من فوائد .. ولقد قال بن جروين احد المؤسسين لهذا النظام عندكم
.. عندما يصبح عمال اسرائيل وحراسها من صفوفنا تصبح الارض
لنا .. ولهذا أسستم مستعمراتكم العسكرية الزراعية .. من اجل ربط
اليهودى القاطن بالارض وتحويل المزارع او عامل وانشأتهم نظاما دفاعيا
يسمح بالعمل والدفاع ...

هذا صحيح في البداية .. ولكن لا ننسى ان الذين ساعدونا في البداية
كانت الدول الاشتراكية نحن حاربنا سنة ٤٨ ببنادق تشيكي ١١ ٠٠٠

الدول الاشتراكية ساعدتكم ان سور خاطيء جعلها تعتقد انكم ستبحرون
نقطة الالتاق للاشتراكية في الشرق نظرا لتجاورك مع حكومات اقطاعيه
رجمية .. ولكن مع الوقت ظهر أفتماؤكم الحقيقى اولا لانجلترا وفرنسا ..
ثم والان لامريكا .. ما رأيك .. ١١

- اكمل ...

- وعلى هذا الاساس تقف اليوم هذا الموقف الشريف بجوار شعوب
المنطقه المجاورة لكم ... كى تحميها .. ١١

- تحميها من ؟؟ ...

- ونكم ...

- لا افهم ...

- من اهدانكم القومية لحساب امريكا ...

- يجب أن تجيب على سؤالى .. لماذا ساعدتنا الدول الاشتراكية
اساسا ؟؟

- عدا ما ذكرته فلا اعرف ... سائبال لاعرف ..

- ستسال من ... ؟؟ ..

ضحكت وقلت له : السؤال لمعلوماتى الخاصة ولن تعرف الاجابة
بالطبع ... ساسال عندما تعود .. عموما .. اشتراكية الكيبوتز اليوم
هى نوع من الاستغلال الرأسمالى الجماعى . فباسم الامن القومى لاسرائيل
يعمل آلاف الشبان فى اسرائيل لصالح اصحاب الملايين الامريكان ولصالح
المجموعة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة .. اما عندنا .. فاشتراكيتنا حقاقى دور

التجريب ولكنها أكثر صقاً . . . فالدولة كلها تتبع النظام الاشتراكي في التخطيط والتسيير . . . ووسائل الانتاج ملكية شعبية . . . وان كانت هناك بعض السلبيات فانتم لكم دور كبير فيها . . . فانتفاننا من حرب الى اخرى واستعداداتنا الدائمة للقتال تحت وقع التهديد المستمر . . . يستقطب جزءا كبيرا من ميزانيتنا ومن جهدنا لو اننا وجهناهما تجاه التنمية لتقدمنا كثيرا في طريق المجتمع الاشتراكي .

- لماذا لا نوفر ما ندفعه نحن وما تدفعونه للقتال ونعيش في سلام
نبني بلدينا . . .

- هذا أقصى ما نتمناه . . . ولكن هل ستتركوننا نعيش حقا في سلام
اشك كثيرا . . . لان دوركم الذي حددته لكم أمريكا في المنطقة لا يسمح
بذلك وانتم مننفو . . . السياسة الامريكيه هنا ومرتبطين بها ارتباطا كاملا
- لماذا لا نترك أمريكا . . . وتتركون روسيا . . . ونقتصافى ونعيش
في سلام . . .

- يمكننا ان نترك روسيا . . . لانه لا تربطنا بها اى ارتباطات مثل
ارتباطكم بالسياسة الامريكية هل تستطيعون حقا ان تتخلصوا من
ارتباطكم . . . لا اعتقد يا عزيزى ان تفقدوا كنز الذهب الذى يتدفق عليكم
فيتحول لمصانع ومستشفيات ومفاعلات ذرية ومشاريح رى . . . وسلاح
وتتوسعون به . . . من اجل ماذا ؟؟ . . . من اجل السلام . . . ؟؟ وفرضا
ان هذا ما تريدهونه . . . فلتتركوا لنا اراضينا التى استوليتم عليها بعد
5 يونيو ثم نتفاهم . . .

- يا حبيبي والله . . . والله نحن لا نريد ارضكم نحن نريد ان نجلس
معا حول منضدة واحدة . . .

ولنقف قليلا لمناقشة هذا الحوار . . . لقد كنا من الجيل الذى تفتح
على الثورة . . . وعاصر انتصاراتها ضد الملك والاستعمار والاحلاف العسكرية
. . . وكان يفخر بتأثير ثورته على شعوب العالم في افريقيا واسيا وأمريكا
الجنوبية . . .

وهو الجيل الذى لم يمارس السياسة فلقد كان عبد الناصر في نظر
جيلنا اول مصرى يحكم مصر ويقودها بحراية وحكمة وسط الزواجع . . .

يكان الميثاق والنظام المصري في نظرنا هو أرقى الصيغ التي تلائمنا وكان واجبنا هو أن نحفظ هذه الصيغ ونرددها دون أى تفكير كما نحفظ شعائر ديننا ولا نسمح لاي مخلوق كان بمناقشتها .. وعن اقتناع وعن ايمان .. ولذلك فعندما قيل لى انه لا توجد في بلادنا ديمقراطية او اشتراكية لم اكن استطيع الا الدفاع عنها حتى ولو كنت أسيرا في يد أعداء قد يؤدي اصرارى هذا الى ايذاءى .. وحتى بعد هزيمة عسكرية قاسية كشفت مدى ضعف الحكم وهزتنا من الداخل هزات عنيفة وحتى بعد أن قررت أن أراجع كل معتقداتى وأفكارى التي كونتها خلال الخمس عشرة سنة السابقة على الهزيمة .

بعد أيام استدعيت لمناقشة مع استاذ العلوم السياسية والشرق الاوسط بالجامعة العبرية ...

نفس البداية .. نفس النهاية .. ولكنه حضر لى يسألنى سؤالا لم يستطع تلميذه أن يسألنى آياه .. وهو « هل فكرت .. لماذا تساعدكم روسيا ؟؟ » .. وأجبت عليه بسؤال آخر بعيدا تماما عن موضوعنا .. هل أنت مؤمن ؟ .. اعنى .. هل تؤمن بوجود الله ؟ ...

— صمت قليلا .. ثم تردد .. ثم قال .. « لا » .. لماذا ؟ ..
ثم أردف هذه خرافات ...

— هل يوجد مؤمنون كثيرون هنا ... ؟؟؟ ...

— البعض مؤمن .. ولكنه ليس متدينا .. والبعض مؤمن ومتدين ..
— لماذا هم غير متدينين .. ؟؟ ..

— تعاليم ديننا صعبة .. بمعنى أن في يوم السبت ممنوع على المتدين أن ينقل كرسيه من هنا للشارع .. لانه يعتبر عملا ..

— معنى ذلك أن عددا كبيرا منكم غير مرتبط باليهودية ..
— نعم ...

— لماذا أنتم هنا ... ؟؟؟ ...

— نحن تربطنا الروح اليهودية !!

— ميتافيزيقيا أيضا ... ١١١ ...

— لماذا إذن نحن هنا .. ؟؟ (سألنى لينهى المناقشة ويصل الى ما أريد)

— أنتم هنا من أجل واقع اقتصادى أنتم هنا رأس حربة للراسمالية

العالمية قريبا من أسواق الشرق الاوسط وأماكن انتاج المواد
الخام .. انتم هنا قاعدة عسكرية متقدمة تسد الفراغ بين حلفي الناتو
واسناتو .. لسد فراغ أيزنهاور اذكرونه .. لاحكام اثار من الدول
الاشتراكية .. هل فهمت لماذا تساعدنا روسيا ... ؟؟

- لا ...

- هل أخطأت فيما قلته سابقا ...

- قريبا من الصواب ...

فلنبدأ المقامة من اولها .. الاتحاد السوفيتي ايدولوجيته الاساسية
تتنبأ بأن العالم سيصبح اشتراكيا يوما ما كمرحلة لانتقاسار
العمدة عبر العالم ... وذلك نتيجة لصراع الطبقة العاملة ضد الرأسماليين .
- هذا صحيح ...

- يمنع انتصار الثورة الاشتراكية في العالم بعض الحقن المتدرة التي
اعطتها الرأسمالية لطبقاتها العاملة على هيئة بعض الامتيازات .. من أين
احضرت هذه الامتيازات .. من استغلال الشعوب المستعمرة .. معنى
هذا انه لو انتهى الاستعمار فلن تستطيع الرأسمالية الوفاء بالتزاماتها تجاه
عمالها معنى هذا انه ستزداد حدة التناقض الذي سينتهي بثورة للطبقة
العاملة ضدها ..

- هذا غير صحيح لان العمال لا يتقاضون مرتباتهم من المستعمرات ..

- ولكن الرأسماليين يجمعون أموالهم من المستعمرات والتي وفي غيابها
سيتحولون الى استنزاف ما تبقى من دماء عمالهم مما سيزيد التناقض
قيثوروا .. وبذلك سيفجر العالم بثورات اشتراكية متتالية تؤذن بقدوم
العالم الشيوعي .. معنى ذلك ان نهاية الاستعمار هو نهاية الرأسمالية .
ومحاربة الاستعمار هو خطوة في سبيل الاشتراكية من وجهة نظرهم اننا
قد التقينا .. نحن وهم لا نريد استعمارا لبلادنا .. ولا نريد استعمارا
في منطقتنا .. ولذلك فهم يساعدوننا .. يعطوننا السلاح لندافع به عن
انفسنا ضدكم ...

وهنا وقف وقد اصفر وجهه .. ومد الى يده مصافحا وقال .. اختلف
معك في الرأي ولكنني لا استطيع الا ان احترمك .. شكرا ..

استدعاني أحدهم للاستجواب .. وبعد الاسئلة اللازمة لتلطيف جو الحديث وبعد أن أعطاني سيجارة أمريكية فاخرة وزجاجة عصير برتقال مثلجه .. قال لي ..

- بالطبع تريد أن تعرف ماذا دار في مصر بعد الحرب ..

.. .. .

- الرئيس عبد الناصر قنح وخلفه زكريا محيي الدين ..

.. .. .

- حدثت بعد ذلك مسرحية .. بكى الرئيس في التلفزيون وبعد ذلك بعشر دقائق كانت الكاميرات تنقل المتظاهرين وهم ذاعبون له .. والراديو يذيع بيانات التأييد والتفراغات مباشرة .. ألت دعى أن انتقال معدات التلفزيون لنقل الاحداث يحتاج الى مدة .. هل كانوا يعلمون بأن الشعب سيخرج ..

.. .. .

- زكريا رفض المنصب وقال أنه لا يقبل غير عبد الناصر رئيسا هو والشعب المصري

.. .. .

- في مصر خافوا من انقلاب فأطلقوا صفارات الانذار وصوروا أن هناك غارة وأطلقت المدفعية طلقاتها على أهداف مزورة ..

.. .. .

- يوم ٩ ، ١٠ يونيو

.. .. .

- البلد الان في فرضى شديدة .. زادت الایسعار .. ولا يوجد ما يكفى من الاحتياجات الاساسية للمعيشة .. الناس في ذعر وفوضى

كانت هذه المناقشات صورة لما حدث للاخرين أيضا .. ولت ان تتخيل البدايات والنهايات المختلفة التي حدثت مع باقى الاسرى .. والتي كان لها ردود افعال ومناقشات لأول لها ولا آخر .. فمثلا تعليقا عما سمعناه عن أحداث ٩ ، ١٠ يونيو ..

- البلد في فوضى ..

- يا أخى انت عند عدو ..

- يجب أن تكون هناك فوضى فعلا .. أننا لا نستبعد هذا الكلام
- ولكن هل المظاهرات حقيقة ...
- لماذا لا تكون حقيقة ...
- هل فعلا التليفزيون كان يعرفنا فنقل المظاهرات بهذه السرعة ..
- والتلفرافات هل تصل بهذه السرعة ...
- فعلا هي مسرحية ...
- وهل بلدنا يمكنها الآن ان تستمر بدون عبد الناصر ...
- وهل الذى خلقه لم يخلق غيره ...
- خلق غيره بالطبع لكن هل بلدنا تحتل التخريب فى هذا الوقت الحرج
- يتركنا فى حالنا .. مائة آخرون يستطيعون ...
- صدقتى .. هذه مصيبة حقيقية ...
- لا مصيبة .. كان من الممكن أن نعيش أحسن بدونه ...
- والله أنا غير مصدق لما حدث .. كلام يهود ودعاية ...
- ولماذا يكذبون ...
- لان من صالحهم أن تتصور بلدك فى فوضى فتستسلم لهم ...
- يجب أن تكون فوضى ...
- كانوا وصلوا القاهرة ...
- غير معقول لان الشعب ...
- شعب ايه ياعم ...
- الشعب الذى حارب فى يوم سعيد ...
- بور سعيد يا ساذج .. اسكتوا .. اتركونا فى مشاكلنا ...
- وهكذا كانت دائما ما تثار مناقشات حول امكانيات الحل السلمى ..
- التناطح مع امريكا التفاوض مع اسرائيل .. حق شعب فلسطين فى العودة
- .. تحالف العرب والدول الشرقية هل الحرب هى احسن الحلول ...

تبع ذلك تصنيف للضباط يمكننى أن اتصوره كالاتى .. قسم يناقش
بمنطق ويحاول أن يفهم وان يوضح .. وقسم لا يريد أن يناقش فيوافق
على كل ما يقال له .. وقسم لا يريد أن يستمع حتى لما يقال .. وابتدات
التيارات اليمينية واليسارية والاعتدلة تظهر بوضوح خلال المناقشات ..

ثم تتصارع وتعلو الاصوات وتنخفض .. ويختلى كل اثنين في جانب للندارس وتتسع الدوائر .. وتتكمش ويزيد المناقشات تاججا ضابط قادم من الاستجواب .. فقد كانوا يدرسون الاتجاهات والمناقشات والنقاط التي يحدث عليها الصراع ثم يحضرون لها .. ويدفعونها في الاتجاه الذي يريدونه عن طريق من طرفهم .. وقد تسالنى كيف كانوا يعرفون المناقشات التي تدور في معسكر مفلق ..

كانت لهم أكثر من طريقة لذلك . الاولى سؤال مباشر لاحد الضباط الذين استطاعوا اجتذابهم .. ماذا تقولون ؟ .. والثانية .. طرح نقطة للبحث على جميع المستجوبين ثم يحضرون أفرادا من شرائح مختلفة في المعسكر ويناقشونهم في هذه النقطة .. والثالثة كانت بالنقاط سؤال من أحد الضباط لهم أثناء استجوابه أو مناقشاته ..

كذلك أصبح للاستجواب في هذه الفترة دور جديد .. وهو ترويج الاشاعات قد تنصور أن الامر بسيط .. ما هي الاشاعات التي يمكن ترويجها .. ؟؟ .. ولكن في الحقيقة كانت الاشاعة سلاحا حاسما في تعذيبنا .. استعملته المخابرات الاسرائيلية بمهارة شديدة .. وكانت أبرز اشاعة لها تأثير في هذه المرحلة هي اشاعة العودة ..

- متى سنفود ؟؟

- قريبا اقرب مما تتصورون ؟؟

- ...

- في حدود شهر ..

ويعود حامل الاشاعة لينشرها سرا .. ثم تتزايد همسا .. وتتناقلها الاذان .. ويؤكدما اخرون حضروا من الاستجواب .. وبمر شهر .. ولا نعود ..

لماذا ؟؟

- الحكومة المصرية لا تريدكم ..

- معقول لا يريدوننا .. نحن اولادهم ..

- لا يريدونكم لانهم يخافون منكم أن تقولوا الحقيقة ..

- وهل الحقيقة أصبحت خافية ..

- النظام قلق ولا يحتمل البلبله ..

– وهل لدينا القوة لخلق بلبلة ...
– هذا رأي حكومتكم ...
– وينقلب التفاؤل الى ضده .. ونصاب بحالة سوادوية وقلق وقرق ..
– بعدما كنا قد أعدنا انفسنا للعودة .. وتمز الأيام ونعتاد على سجننا ..
– ليطلبنا أحد المستجوبين ...

– المباحثات تقدمت وستعودون لبلادكم ...

– ...

– خلال الأسابيع القادمة ..

– وترتفع حالتنا المعنوية الى أقصى درجة .. ونصاب بموجة تفاؤل
– نعم المعسكر اختلفت ثانيا ..

– اختلفنا ثانيا ..

– لماذا ..

– من أجل ثلاثة جواسيس .. تصوروا لا يريدون مبادلة ٥٥٠ أسير
– بثلاثة جواسيس ..
– لهذه الدرجة ؟؟

– وتدور الاحاديث .. ما هذا الاستهتار .. لا أصدق ...

– بل صدق الفرد عندها لا يساوي شيئا ...

– لو كان ابن أحدهم معنا لرجعنا من مدة طويلة ...

– اللواء ياقوت دفعة الرئيس لا يعقل أن يتركه هنا ..

– هذا ما حدث ...

– وهكذا ترتفع حالتنا المعنوية وتنخفض في فترات متتالية متقاربة
– أو متباعدة حسب المخطط الاسرائيلي الموضوع لتدمير جهازنا العصبى لانتمام
– خطتهم ..

– الحراس الاسرائيليون يضحكون .. المستجوبون يبتسمون بسعادة
– شديدة .. الاذاعة المحلية تفتح قبل ميعادها بمدة .. المذيع يذيع
– تعليقات ساذجة .. قالت السيدة أم كلثوم أنها لن تغنى الا في تل أبيب قبل
– حرب يونيو .. والاذاعة الاسرائيلية يسرها أن تتيح للسيدة أم كلثوم

الفرصة للوفاء بوعدها للفناء في نل أبيب خصوصا وان هنالك اكثر من مليون من العرب في انتظارها واكثر من ٥٥٠٠ مصري اسير بعثليب يذمنون سماعها تغنى لهم ...

نشرة الأخبار : اذاعت اذاعة القاهرة بان المشير عبد الحكيم عامر قد انتحر خبر من بيروت بان الرئيس المصري جمال عبد الناصر قد استقال .. وفي هذه المره كان رد الفعل مخالفا تماما لكل التوقعات .. فلقد تصاعدت الهتافات من عنابر الجنود ...

- تسقط الاذاعات الكاذبة ...

- عاش الرئيس .. عاش المشير ..

ثم تلتها هتافات من عنابر الضباط ...

- تسقط الاذاعة الكاذبة ...

- لا رئيس غير جمال ...

الضباط يبكون .. الوجوه مصفرة .. كل منا يبكي .. بلدنا تسقط

فعلا

- واياه يذنى اما يموت .. عشرون الفا ماتوا في سيناء ..

- بلاش كلام فارغ ...

تد كان رجلا طيبا ...

- الى اين يا بلدى .. مات المشير .. واستقال الرئيس ...

- وهل تركه الرئيس ينتحر .. انها عشرة عمره ..

- رجل شريف .. رفض تقبل الهزيمة ...

- الصدمة كانت اكبر منه ...

الجنود في حالة هياج شديد .. يقذفون الابراج بالحجارة .. عتاف

واحد ل ٥٥٠٠ اسير - ناصر .. ناصر .. ناصر ..

اليهود يلجسون الخوذ .. في حالة ارتباك شديد .. بعض كبار ضباطهم

ينزلون المعسكر فجأة ويهددون بحرماننا من سماع نشرات الاخبار ..

وفي اليوم التالي انتظرنا النشرة ...

اخبار بيروت المشير لم ينتحر .. وانما انتحر ...

الهتافات تعلو قبل انتهاء الجملة .. عاش المشير .. عامر .. عامر ..

يحيا عامر .. هس .. هس ...

اخبار بيروت تكذب خبر استقالة الرئيس عبد الناصر ...

- ناصر .. ناصر .. ناصر .. ناصر ..
- يعني ايه انتحر ...
- يعني ضغطوا عليه لينتحر ...
- يعني مات ...
- تسقط الاذاعات الكاذبة ... تسقط الاذاعات الكاذبة ...
- لا رئيس الا ناصر .. ناصر .. ناصر .. ناصر ..
- اليهود في غيط شديد ..
- عائدون لك يا فلسطين ..
- ذهول بين الضباط ... بعضهم يبكي ...
- لماذا تبكي ..
- ألم تستمع لهذه المصيبة ...
- المشير كان يجب أن يفعل هذا ..
- ولماذا تركوه ينتحر ...
- كي لا تظهر الفضائح ...
- يعني مات حقيقي !!
- ولماذا لا ...
- اليهود يطلعون اللواء ياقوت على رسائل وكالات الانباء المختلفة ..
- وهي تقول انه فعلا مات .. الاذاعة الاسرائيلية تدافع عن المشير الان اصبح بطالا ..
- وما الذي قالوه عنه من قبل ...
- هذه اذاعة موجهة لنا فقط ...
- لا .. فهي اذاعة عالمية لا تكذب ...
- يقال ان هناك مؤامرة وتبضوا على ضباط كثيرين ..
- مثل من ... ؟
- صلاح نصر .. وجلال هريدي .. وعثمان نصار ..
- وشمس بدران ..
- لا يعقل هذا ...
- اللواء ياقوت رأى أوراق وكالات الانباء ...
- الان .. هل هذا وقت مؤامرات .. ؟؟
- ممكن ...
- ياتاس البلد في أزمة ...

– من أجل تغطية ما فعلوه في سينما ٥٠٥٠

– هذا كذب

– الرجل قرأ رسائل وكالات الانباء ٥٥٥٥

ولتخفيف الضغط ٥٥ تصبغت اصناف الطعام ٥٥ وزادوا لنا القش في
المراتب ٥٥ واحضروا لنا دفعة من خطابات مصر وطرودها ٥٥ واحضروا
لنا أيضا طرودا من الحكومة المصرية وخفت الازمة تدريجيا ٥٥ حتى تنسينا
ما يحدث في القاهرة ٥٥٥٥

وفي يوم قالوا أنهم قد أحضروا لنا سينما ٥٥ أخذ كل منا بطانيته
او جردل التبول الليلي ٥٥ وجلسنا صفوفنا على الأرض أمام شاشة
السينما ٥٥ ننتظر ٥٥٥٥

عرضوا علينا أول فيلم ٥٥ عن الكيبوتزيم ٥٥ العمل بداخله ٥٥٥٥
الغذاء ٥٥ الراحة ثم مناقشات الاجتماعات ٥٥ وفي آخر هذه المناقشات
وقفت سيدة تقول ٥٥ أريد أن يكون لى منزلى – أطفالى – زوجى ٥٥ أريد
ان أعيش حياة خاصة أرى اولادى وارعاهم وارعى زوجى ٥٥ نعيش فى فقر
فى يوم ونفتنى فى يوم ٥٥ نأكل ما نريد نلبس ما نريد – حقا الحياة فى
الخارج أكثر صعوبة ولكنى أريد أن اعانيها ٥٥٥٥

ثم فيلم آخر ٥٥ عن حياة البدو فى صحراء النقب وقسوتها وكيف يقدم
الاطباء الاسرائيليون كل رعاية لهم ٥٥ بل يخاطرون بحياتهم فى الصحراء من
أجلهم ٥٥ ثم أنواع الرعاية الاجتماعية المختلفة قوافل الصحة وقوافل
التعليم ٥٥ وقوافل الاعاشه المستمرة فى النقب ٥٥ وتصل قمة الدعاية عندما
يلحق مواطن بدوى بالجامعة العبرية ويصبح طبيبا يقوم برعاية أهله ٥٥
وفى النهاية هكذا تصبح اسرائيل رسول الحضارة بين هؤلاء العرب
المتخلفين ٥٥ ولكن ما فنبهم ٥٥ هذا الفيلم ناطق باللغة العربية ٥٥ أى انه
موجه أساسا لعرب فلسطين ٥٥٥٥

فيلم آخر عن المشروعات الاساسية لتعمير النقب ٥٥ مصانع البوتاس
على البحر الميت مشروعات رى النقب وتحويل نهر الاردن ٥٥ تم فيلم عن
اعداد المظليين الاسرائيليين وتدريبهم ٥٥ وهو فيلم شبيه بالفيلم المصرى
عن اعداد المظليين المصريين ٥٥ ومجموعة من أفلام الدعاية الواضحة التى
اضجرتنا ٥٥ فى نهاية السهرة قمنا نسب لهم ولهذه السينما السخيفة التى
صدعوا بها رعوسنا ٥٥ وبطبيعة الحال وصلتهم تعليقاتنا ٥٥ ولكنهم

بالتأكيد كانوا يعرفون أن هذا سيكون رد الفعل بدليل أنهم أفرغوا جميع
أفلام الدعائية المباشرة في سهرة واحدة . . ثم أصبحوا يعرضون علينا أفلاما
طويله بعد ذلك فيلم كل أسبوع . . .

في منتصف الأسبوع التالي طلبونا لحضور محاضرة أو ندوة . . وكان
موضوعها اللغة العبرية وعلاقتها باللغة العربية . . محاضرة طويلة عن قرابة
اللغتين فهما من أصل واحد . . في اللغة العبرية تقول آحاد . . اثنين . .
ثالث . . رابع . . خمسه . . في اللغة العربية تقول رجل . . في العبرية
يقولون رجال . . وهكذا أمثله كثيرة لا أتذكرها جيدا ولكنني كنت موافقا
عليها . . فبالفعل اللغتان نشأتا في منطقة واحدة ولا بد أنهما قد تأثرتا
ببعضهما . . كما حدث بين الفرنسية والاطالية والاسبانية . . ولكن المحاضر
يتبع ذلك بأننا أبناء عمومة . . وأنه ولا بد أن يحل السلام والتفاهم بين
أبناء العمومة وعموما كفانا المحاضر مئونة تحليل ما يريد ان يصل اليه
فلقد اوجزها هو بنفسه في نهاية المحاضرة عندما قال . . وسواء رخصتم أم لا . .
وسواء كان هذا اليوم (قريبا أو بعيدا) الذي سنتفاهم فيه وتبادل المصالح
التجارية والصناعية . . فإنه من الضروري عمل جسر بين اللغتين بدايته
عمل قاموس اللغة العربية العبرية . . ونحن ندرس اللغة العربية في مدارسنا
كلغة أولى اجبارية لكل طلاب المدارس في اسرائيل . . وسنعتقد دراسات
للعرب في اللغة العبرية . . في الضفة الغربية وفي الجولان . . وفي قطاع غزة
وسيناء . . .

وتطورت حياتنا . . فلناخذ يوما من هذه الايام . . عقلت الساعة ٧
صباحا الحجرة رقم (١٠) .

- يا حضرات برتيتة البوكر جاهزة . .
- يا أخى قول يا صباح . . بوكر . . بوكر . . بوكر . . انتم ايه . . !
- احنا وانا ايه . . واحد . . اثنين . . ثلاثة . . والرابع رفع رأسه
من تحت البطانية . . الا. أونه . . الا دوه . .
- فـسـرق . .
- صباح الخير يا حضرات . . . النطار . . . النطار . .
- والنبي خذلى . . . معك . . .
- لا قوم انت . . .
- لما أخلص الدور ده . . .

- من يلعب بريدج ...
- انطاوت من حقنا اليوم .. أمس كانت في الحجرة رقم (٩) ..
- أحضرها يا مجدى ...
- فعمل دورى ...
- أنا أخذت الدورى مرتين والرائد توفيق مرة .. ومحمود مرة ..
- ندمل المقرعة لتحديد اللاعبين ...
- اذت يا جدع انت منى دبلى تستدرك وتطفى النور ...
- أنا من يا أخى أسهر زى ما أنا عايز ...
- تصوروا في الحجرة رقم (٨) كانوا حياطين جردلين واحد للميه
والساوى للفتبول واحد منهم قام في الضامنة تزارى في جردل الميه
وشرب من جردل البول ...
- يا شينغ محمد النهارده حسعد نقرا شوية في الاوده ١٢ ...
- العيب معاكم ...
- لا عملوا برتيته تانية ...
- أنا عندى صولد محترم سجاير العال مشى سياون ولا ناديف ...
- شارك الدكتور ...
- نعيما يا عم ... هل توجد مياه في الحمامات ..
- ميه جميلة .. حلقت في الاوده ٦ واستحميت ...
- ثمن عليه الربى دلوقت ثلاث علب سجاير بلمونت صغيرة ..
- وبكره ترخص كمان لما الناس تخلص سجاير ...
- أنا محتفظ بالسجاير لغاية مترخص خالص وحشترى بها غيارات ..
- يا أخى خلى عندك دم .. زملائك بيشمشموا على سيجارة
وانت لا تدخن ومخزنها عندك ..
- ايه حقى أنا لا اخذن أكل مربى .. أشرب عصير .. أشفري
غيارات ..
- وزميلك يبغى بدون غيارات ..
- والله مزاجه هفه على كده .. يايدهن .. يايلبس .. حد ضربه
على ايده ..
- تالاعبنى عشره طاولة بعلبة بلمونت كبيرة ...
- لا صغيرة ...
- تعالى حكنى لك حكاية ...

- عارفها القائد سسابك .. ومشى وتهدت في الجبل .. وكنت حتموت من العطش ..
- لا ... ده فوزى بيقول ان الاتفاقية وقعت ...
- ياعم والله ما عايزينكم احنا حنفضل هنا طول العمر ...
- لادى حقيقى .. فوزى رشا الحارس بعلبة سجاير بلمونت كبيرة ..
- .. وسمعه صوت العرب الفشرة .. بس متقولش لحد ..
- تفتكر حقيقى حنمشى امتى ... ؟؟ ...
- بتوع ٥٦ قعدوا شهر ونصفا واحنا كده على شهر سبتمبر ...
- لا سبتمبر كتير قوى .. نقعد ٤ شهور ..
- امبارح حضرنا الارواح في السلة وكتبت اننا حنساغر في سبتمبر ..
- بلاش كلام فارغ ...
- والله السلة حقيقى انا اعرف واحد ...
- اسكت وحياتة ابوك انا مش فاضى لك ...
- ضجة - ياه .. برافو .. برافو .. تصور ضرب صولد على فلوش ما فكيه ..
- كسب قدم ايه ...
- اربع علب سجاير ...
- المستجوب لمح لى من بعيد ان كنت عايز اسافر برة .. ممكن ..
- ازاي ... !!
- قال لى لو تسافر برة تحب تروح فين ... !!
- طيب م تسافر .. هي عيبها الوحيد انهم حيششغلوك هناك جاسوس ..
- لا جاسوس ولا حاجة .. مش احسن من الرمية دى .. انا اقدر اسافر اى بلد ومن هناك اروح الكويت او ليبيا .. وابعت اجيبه مراتى وولادى ...
- فكرة عظيمة ...
- اذا طولنا عن شهر كمان حطاب منهم ...
- يا شيخ محمد عيب كده انت راجل عارف ربنا كويس ميصحش ..
- امال نسيبهم يموتونا هنا .. والله في الاخر حيزهقوا ويموتونا ..
- الواحد يسافر بلد كده ولا كده .. ولا يقعد لغايه م يموتوه ...
- فلان الفلانى .. مطلوب استجوابه ...
- ايوه ياعم .. نحتشرب لك سيجارة نضيفه وشاى .. وحاجة ساعة ..
- والنبي تقول لهم على الصابون .. لحسن خلكم وعايزين ..

- وكوتشينة ...
- الجوابات اتاخرت والطرود ...
- حاول تشمشم كده حنمشى امتى ...
- الجرايد بتاعتنا جيبتوها ...
- لا .. هاتها والنبي ...
- شوف يا سيدى الكلام ...
- ايه ده يقصدونا احنا ...
- الجريدة دى مدسوسة وحقييره جدا ...
- انا بقول نقاطها ...
- وليه نقاطها .. مش عايز تقراها بلاش انت لواحدك .. لكن
نحفظل حاطين خواجز على فكرنا لخد امتى ...
- الكلام ده كلام اعداء .. افهم .. ومطبوعة مخصوص علشان اهالى
المناطق المحتلة .. عايز تقرا .. اقرا الجيروزليم بوست .. يمكن
محترمة شويه ...
- اتفلسفوا علينا اكنها بالانجليزى .. لا حقرا جريدة « اليوم » واللى
عايز تعمله اعمله ...
- قالك ايه المستجوب ...
- قال انهم مش عايزينا فى مصر .. وان المشكلة ٣ جواسيس مصر
مش عايزه تسلمهم مقابل الاسرى ...
- والله م انا مصدق .. بقى ده كلام عاقل نصدقه ...
- بكره لما نروح مصر حتعرف ان ثلاثة جواسيس اهم منك ومن
الف مثلك ..
- وقال ايه كمان .. فيه طرود .. فيه جوابات ...
- بيتقول مندوب الصليب الاحمر .. رجع ومعه ٤ جوابات فقط وطردين ..
- واين هم ...
- اتسلمت للواءات ... كلها لهم ...
- شوف البلد .. حتى هنا كمان .. لواءات ايه احنا يعنى زبالة ..
- ده طبع .. مفيش فايده سعد زغلول قال كده .. والله والله بيسرقوا
فى مصر طرودنا ميتورعوش عن سرقة سجائر اسير ...
- بالمناسبة الطرود فى المرة اللى فاتت جابوا اللواء ياقوت فتسح
الصفدوق بنفسه ...

- فض الشمع الاحمر .. وسابها في الأوده بقاعة الاذاعة ومع ذلك وصلت ناقصة ..
- أنا شفت بعيني العساكر المصريين اللي بينخسفوا دخلوا الاوده وبصوا يمين وشمال وخطوا عليتين سجائر من الطرود في جيبهم ..
- الفبارده ذيه سينما .. قاللى .. وسألنى ايه الاذلام اللي بتحبوها ..
- شفت البنت أم صدر كبير ...
- لا .. لكن شفت شويه رجلين ونخاد .. يابوى .. مش معقواين .. ولا سلاسل الذهب .. الشعور .. الشعور .. متفكرنيش ..
- كل الناس تقف انتباه .. تحية للكانت رويال ...
- اتلعب صح .. قال بارول عليه .. البيه قال علبه سجائر والبيه اللانى رفعهم لخمس عاشر .. راح ضارب عشر نادب .. اغتكروا ببيلف .. دخلوا معاه .. وانه ..
- كان معاهم ايه ...
- قول رواه .. وثلاثة آرس ...
- الغدا يا حضرات النهارده بولوبيف ...
- دى لحمه خنزير .. والله اوعدوا يا حضرات تكلوها ..
- هاتوا لى أنا لحمه الخنزير .. اوعدوا يا حضرات تكلوها .. هاتوها لى أنا ..
- يا ناس والله دى لحمه بقرى ..
- الشيخ محمد أكل منها ...
- الشيخ محمد ياكل الدردي .. انت مش فاكره اما شرب بوله وقعد يصوت ويقول ويسكى .. ويسكى ...
- أنا رحت بنفسى المطبخ وسالت قالوا اللحمه بقرى مش خنزير .. واليهود على كل حال مديكلوش خنزير ...
- انت عارف ان فيه ترفيه جه من تونس ...
- مش معقول ايه .. ؟؟
- مربي .. وبسكويت .. وأمواس حلقة ...
- بيشمتوا فينا ..
- والله بورقيبته راجل .. هو اول واحد قال نلصها شويه ..
- يا اخى بدل ما تشتم اشكر .. انت ايه .. ؟؟
- انت امبارح .. وانت نايم كنت بتحلم بايه ... ؟؟

- ليه ٦٠٠ ٩٩

- كنت بتصوت وتقول ابني ٠٠ ابني ٠٠٠
- حملت انه بيسقط من البكونة ٠٠٠
- انا حوديك لواحد في المعسكر هنا يرقيك ٠٠ بتضحك والله حقيقي
٠٠٠ يقرأ لك شوية قرآن قبل النوم ٠٠٠
- لا ابدا انا رحت للدكتور وسألته ٠٠ ادانى « برت رانكيل » اخفتهم
قبل النوم ولا ورد ٠٠ ولا عفاريت ٠٠ يا راجل اتمدنوا بقى ٠٠
- ايه رايك انا مش عاجبني الطريقة اللي بنعيش بيها ٠٠ عايزين
نجدد ٠٠
- وايه تصورك للتجديد ٠٠٠
ايه رايك نعمل محاضرات تثقيفية بدل البوكر والخيبة اللي احنا
عايشين فيها ١٠٠٠
- موافق ٠٠ لكن ايه المواضيع الممكن الكلام فيها ٠٠٠
- الرسم - المسرح - السينما - علم النفس - التطور - القضية
العربية ٠٠
- شوقاً لنا كام واحد كده ونقعد انا شخصيا موافق ٠٠٠
- ايه رايك ٠٠٠
- انا شخصيا لى رأى في القضية العربية بلاش الكلام فيها لحسن
كل حاجة بتوصل ٠٠
- يا اخى في مواجهة الحرب النفسية دى لازم تعمل خرب مضادة ٠٠
- ربنا يفوت الايام دى على خير ٠٠ وعندما نصل بيتنا سينتهى
كل شىء ٠٠ عموما مليش دعوه باى حاجة ٠٠ لكن الرسم والمسرح
٠٠ الجنس موافق ٠٠٠ بالمناسبة شفت مجلة البلاى بوى ٠٠
- لا ٠٠ تلاقىها حلوه ٠٠
- تجنن ٠٠ يا اخى بيحببوا النسوان دى منين مش الغفر اللي في مصر
- احنا حتى مش لاقين لاقين الغفر دول ٠٠٠
- لا انا عندي ماتش تسييل ٠٠٠ نحس البيجاما والكام نغير والاوفرول
- عندك شنويه اومو ٠٠٠
- آه بعثوا لى من مصر رابيسو ٠٠ وتايد ٠٠٠

- بيوفر كثير في الغسيل . . .
- أنا بنقع الهدوم في الميه والرابسو يوم . . ثم اضع الصفيحة تحت الدش ساعة اثنين . . وانشر الهدوم على السلك لغاية م تنشف
- لا مينفعش لازم تدعكها . .
- ياعم عنها مندعكت المهم تكون ريحتها كويسة وخلص احنا حنتجوز
- النهارده سينما . . وقفل الابواب متأخر بعد السينما . . احجز لنا ببطانيتك . .
- ايه الفيلم . . بيقولوا كيلوباترا . . .
- ميت مره كيلوباترا ويجيبوا افلام اخرى . . اشاعات . .
- ونحضر الفيلم . . فيلم فرنسى جنسى جدا . . عن سيرك انثى تغرى رجلا لمزاولة الجنس ثم تهرب مع رجل اخر ويضطرون لقضاء ليلتهم في كشك بالجبل يشغلون الدفاية . . ويزاولون الحب مرات عديدة بتفاصيل كثيرة . . وينتهي الفيلم . .
- ايه رأيك . . اما حنة فيلم . .
- يابوى على النسوان . . والقبلات والحب . . .
- والموسيقى والرقص . . .
- الناس دى اكيد عايزه تجنبا . . الفيلم مستحيل يتعرض عندنا بالشكل ده واحنا مطلوقين . . يقوموا يعرضوه والواحد آخر ذل
- حتى الواحد مش لاقى مكان يدارى فيه حاجة تكسف . .
- ياواد ياشقى . . كل واحد يا ساده يحاسب على نفسه متى . .
- مساء الخير . . احاذ . . اشنين . . ثالث . . تصبحوا على خير . .
- عندنا اليوم الصبان سيقنى يا حضرات بدلا من محمود لان فى الاوده
- 8 برتيتة بوكر سيحضرها . . .
- معزمتش ليه ايمن بيطلب كويش . . .
- انت صاحبه معزمتوهش ليه . . .
- الصلاة يا حضرات . . نحي على الصلاة . . حى على الفلاح . .
- الله اكبر . . الله اكبر . .
- انت م بتصليش ليه . .
- نفسى والله . . لكن حاسس انى بضحك على ربنا . . .
- العدد اللي بيصلى كبر . . لم يبق الا انا وانت والرائد توفيق . .

- عشان مسيحي ٠٠
- عارف ٠٠ لكن بيصلى يوم الاحد ٠٠ القسيس بيحي لهم ويصلوا ٠٠
- مشتاق يا احباب مشتاق ٠٠ وتعت من الاشواق ٠٠ صمت شديدي
وشسرو
- يا ما زقزق الامرى على ورق الليمون ٠٠ نصفيق على اواحدة ٠٠
- حبيب قلبي واعدنى ٠٠٠
- فى الحجيره ٢٠ عملوا مسرح عرايس عايزين نعزمهم يوم يعملوه لنا ٠٠
- مين اللي اخذ بولة الطاولة ٠٠٠
- فاضل نور بين محمود ومجدي ٠٠٠
- معاك سيجارة فضيفة ٠٠٠
- انت قريت الجواب ده ميت مرة ٠٠٠
- يا جماعة الساعة بقت ثلاثة عايزين ننام ٠٠٠
- م ننام حد مسكك ٠٠
- للنور ٠٠٠
- كل واحد حر ٠٠ يعني لو كان اليهود اللي بيقولوا ننام والنور
مفتوح ننام ٠٠
- لازم كل واحد يحترم الاخرين ٠٠
- قوللى من فضلك مين يستحق الاحترام فيكم ٠٠٠
- كسر اللمبة ٠٠٠
- اكسرها وانا اكسر رقبتك ٠٠
- انت اخلاقك حقيرة ٠٠٠
- انت فاكر نفسك بنى آدم ٠٠ الدلورن منك بقرش ٠٠٠
- وانت اذا م سكتش حقوقك اضربك ٠٠٠
- يا جماعة صلوا على النبي ٠٠٠
- لا ٠٠ دى عيشة تزهدق انا جعزل من الاوده دى بكره ٠٠ مليش قعاد
معاكم ٠٠ كل يوم سهر للمساءة ثلاثة ٠٠ واربعة ٠٠ لا يا حضرات
٠٠ واذا الواحد اتكلم بيتشتم ٠٠ لا يا حضرات ٠٠ دى مش عيشة
٠٠ الواحد بيقاسى من المصريين اكثر من اليهود ٠٠٠ لا يا حضرات
٠٠ دى مش عيشة ٠٠ لهم حق يخلبونا ٠٠٠
- انكتم واسكت ٠٠
- حاضر حنكتم انتم ايه مش مصريين ٠٠ فراغنا ٠٠٠

ان الاسرائيليين لا يملون الدعاية .. وحربهم النفسية مستمرة ..
 قبل الحرب .. واثناء الحرب .. واثناء الاسر .. وبعد الاسر ستستمر
 أيضا دعائيتهم وحربهم وتأثيرهم وهم لهذا يبذلون جهدا كبيرا .. وتخطيطا
 علميا حقيقتيا للوصول الى اهدافهم .. وهي ترسيخ بعض المفاهيم في عقولنا
 عن ضعفنا وتفكنا .. وقوتهم وسيطرتهم وعظمتهم .. وبالتالي عدم قدرتنا
 على مناطحتهم والصمود امامهم وما تبقى ان نستسلم تماما لما يريدون ..
 فقبل الحرب لم تمل اذاغتهم ابدا عن الدعاية .. بل استغلوا ان حالتنا
 تستوجب البعد عن اهلينا دائما .. فاغرقوا اذاعتهم باغانى التشويق
 للاحياء البعداء .. وكان لهذا تأثير بالتأكيد بطيء ولكنه في النهاية
 مثمر .. واثناء الحرب استغلوا التدهور والتفكك الذى حدث للجيش المصرى
 احسن استغلال .. وقد كنت اعجب للنداءات التى كانوا يذيعونها واعجب
 لسعة خيالهم كما راينا قبلا ولكننى فهمت ما معنى ذلك عندما رأيتهم
 يجمعوننا من الصحراء كسمان وقع في اقرب شبكة منصوبة له على شاطئ
 البحر بعد رحلة طويلة مرهقة .. وفي بداية الاسر كانت دعائيتهم مركزة على
 اسقاطنا من الداخل .. على كسر انسانيتنا جماعيا .. على تكثيف
 الاحساس باننا نعيش في غابة .. وكيف تزيد التنازع والمضغائن بيننا ..
 بل وبالعكس كيف كنا نشعر بانسانيتنا اثناء الاستجواب .. ومع العدو
 ذقت وكيف توصلنا انى نتيجة خطيرة جدا وهى اننى كمصرى بين المصريين
 محتقر وذليل وكائنسان فرد امام مستجوب شخص يستحق الاحترام
 حتى من عدوه .. وكيف توصلنا ايضا الى نتيجة خطيرة ان سبب نلى
 هو مصريتى وهو انضمامى لجيش مصر .. وأسرى مصر .. وكيف توصلنا
 فى النهاية للتبرأ من مصريتنا .. وعضويتنا بجيشها وانضمامنا لجماعته
 .. ثم وبعد ذلك محاولتهم لبت فكرة انهم لا يحملون لنا أى ضغينة وهم
 المظلومون المدافعون عن انفسهم ضد طغيان حكامنا العرب الذين تدفعهم
 تطالعاتهم الشخصية .. ورغبتهم فى مجد شخصى للتضحية بنا .. وكانت
 وسائلهم لذلك متعددة .. حبس الاخبار عنا وتركنا عميانا فى بلد من المبصرين
 .. ثم السماح لنا بالاخبار المسيطر عليها بطرق مختلفة .. وكيف كانوا
 يقلبون أوجاعنا كلما هدانا ببيان أو فيلم أو محاضرة أو اشاعة أو استجواب
 أو كتاب أو أغنية أو قطعة موسيقى ..
 ثم كيف استغلوا الحرمان وربط السجارة النظيفة والقهوة والشاي
 والمرطبات بالاستجواب .. وتحويله الى قضاء وقت سعيد بدلا من المرب

منه .. كذلك استغلوا الجنس الاذرع العارية .. الارجل العارية ..
 الصدور العارية .. الجالسة في الطريق للاستجواب .. الذاهبة للمطعم
 والتكلمة في الميكرفون .. ثم كيف زادوا انفعالنا الجنسي عن طريق
 المجلة .. والفيلم .. والزيارة .. وهكذا استعمل اليهود كل شيء ..
 الخطابات .. الاكل .. النوم .. المرحاض .. الترفيه للوصول بنا الى
 هذا الشكل ..

كنا كفتران التجارب في معمل ابحاث في يضعهم الباحثون في الظروف
 والاماكن ويعالجونهم بالشكل المطلوب لابعائهم ليطوروا عليهم تجاربهم ثم
 يعيدوهم بعد اخذ النتائج ..

ولقد اجري علينا الاسرائيليون تجارب عديدة نفسية وجثمانية وعلمية
 واجتماعية .. ودونوا نتائجهم وطبقوها ثانية علينا .. من هذا المفهوم
 نستطيع ان نقول ان معظم تصرفاتنا [٥٤] وحياتنا في معسكر عتليت كانت
 انعكاسا للتجارب التي يجربها باحثو اسرائيل ..

تجمعنا في يوم امام السور الامامي للمعسكر في انتظار نشرة الاخبار
 وكان الاسرائيليون في حالة ارتباك شديد .. وفي الموعد لم تذع النشرة ..
 - لماذا [٥٥] ؟؟

- النور مقطوع عن المعسكر ..
 - لا بد وان شيئا ما قد حدث ..
 لا اعرف ..
 ثم انتشر الخبر بعد ذلك .. انتشر من معسكرات الجنود .. لقد غرقت
 مدمرة اسرائيلية دمرتها لهم البحرية المصرية ..

- كيف عرف الجنود [٥٦] ..
 - وهل يخفى عليهم شيء [٥٧] ..
 - حتى هنا [٥٨] ..
 - مش معقول .. لقد انتهت الحرب ..
 - وما الذي يمنع [٥٩] ..
 - حقا .. كيف عرف الجنود [٦٠] ..
 - لا اعرف الا انهم ارسلوا لنا ورقة بالخبر ..
 وفي اليوم التالي تجمعنا ثانية للاستماع لنشرة الاخبار ..
 حرائق في مستودعات البترول بالزيتية ..

- الحرائق تشاهد على بعد ٢٠ كيلو متر ٠٠
- الدخان الاسود يغطي مدينة السويس ٠٠
- مستحيل السيطرة على الحرائق ٠٠
- ضجة في العالم نتيجة لغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات ٠٠
- هيه ٠٠ هيه ٠٠ (صيحات فرح للمصريين) ٠٠٠
- الجنود الاسرائيليون يصوبون رشاشاتهم لنا ٠٠
- اسكت خرينا نسمع الباقي ٠٠٠
- ضرب مستودعات البترول في الزيتية رد عملي على اصابة المدمرة ايلات ٠
- الدينون يهاجرون من مدن القناة ٠٠٠ الاقتصاد المصري ينهار ٠٠
- ودارت المناقشات حول هذا الموضوع ٠٠٠
- ضربة معلم **نبتة**
- والله خبر جميل جدا ٠٠ لكن كيف عرف الجنود ٠٠٠
- هيه المدمرة يبقى فيها كام ٠٠٠
- حوالى ألف **نبتة**
- بلاش هباله ٠٠٠ ألف ايه لا يزيد عن ميتين ٠٠٠
- طظ في الزيتية ٠٠٠
- لكن هم مجانيين يسيبوا بترول في مستودعات على مرمى بنادق العدو مش مدفعيته ٠٠
- كله بئمنه ٠٠ يعنى ميضربوش ايلات لغايه م يفضوا المستودعات ٠
- الواحد اترد له ثقته بنفسه ٠٠
- عقبال سينا **نبتة**

كان هذا الخبر ايداناً بمرحلة جديدة في حياتنا ٠٠ فلاول مره نشعر ان العالم خارجنا تحدث فيه احداث مخالفة لما نسمعه عن ان الكباريات في القاهرة مفتوحة وان المواطنين يتنزهون على الكورنيش وان الاقتصاد المصري في انهيار وان هناك انقلابات وانتخابات وانهم لا يريدوننا كي لا نثير البلبلة ٠٠٠ الخ ٠٠٠

وصاحب هذا انفجارات متتالية في معسكرات الجنود ٠٠ واضراب عن الطعام وانتقلت الاضرابات الى معسكرات الضباط ٠٠ وقامت أكثر من معركة بين الجنود المسلحين بالطوب وقطع القماش المبلل بالسولار

والمحرقة .. وبين الاسرائيليين المسلحين بالرشاشات وهاجم الجنود
 برج حراسة واستولوا على رشاش .. واستدعى احتياطات جديدة للسيطرة
 على المعسكر ثم اعدوا دراسة نظام الحراسة بالمعسكر واحضروا اللواء
 الجولانى ليشاركنا في معسكرنا .. وسارت طوابيره ليلا ونهارا تستعرض
 خطوتها وتغنى اغانى بالعبرية على الحان موسيقى غربية وزادت وريبات
 الحراسة الراكبة عربات جيب المصطحبة للكلاب وشاهدنا محاولتين
 للهرب سانجيتين .. احدهما كان ضابطان صغيران وقعا عند اول
 منعطف خارج المعسكر عندما تحدث معهم احد الجنود الاسرائيليين فلم يستطيعا
 الاجابة الا بكلمة « شالوم » وهى الكلمة الوحيدة العبرية التى يعرفانها ..
 واضطر اليهود لاصطحاب اللواء ياقوت والرائد صفوت للسيطرة على
 الجنود فلقد منع الجنود المصريون الاسرائيليين من اخذ التمام .. ولقد عاد
 لنا الرائد صفوت بصورة لما يحدث في معسكرات الجنود .. فهناك نظام
 الحكم مختلف لقد استقر بشكل قبلى .. فافراد المحافظات المختلفة تجمعوا
 في وحدات صغيرة .. والمحافظة التى لها رجال اكثر تحكمت وفرضت
 سلطتها على الاخرين .. وهكذا وفي ظل الحكم القبلى اوقف الجندى ذو
 العصبية الكبيرة الصف ضباط في الصف بغض النظر عن رتبتها وساعدها
 على ذلك ان عددا كبيرا منهم كان من الجنود الاحتياط او المستدعين قبل الحرب
 مباشرة .. ثم برزت بعد ذلك اللقيادات الحقيقية التى استطاعت تنظيم
 الحياة في المعسكر وقيادة الاضرابات وقيادة المعارك المختلفة .. ووصفهم
 بانهم رجال في منتهى الصلابة والجدة ..

كنا نجلس صامتين .. نستمع الى اعلان حلول شهر رمضان من
 الميكروفون المعلق بالمعسكر .. ثم صوت المذيع وهو يهنئنا بهذه المناسبة
 الدينية ثم القرآن المذادع بعد ذلك وانفجر الرائد عادل في البكاء
 والتشنج .. متذكرا زوجته واولاده .. وحسرتهم وهم يحتفلون برمضان
 دون عائلهم .. وتمتم آخر .. اول مرة اغيب عنهم في مثل هذا الشهر ..
 واندفع احران لنجدة الرائد عادل المفشى عليه .. ثم انفجرا في البكاء مع
 الكلمات الحزينة التى يقولها خلال بكائه .. وتنبهنا على صوت احدثهم يقول
 « وحدوه .. يكره نرجع ونعوض اللي فات » .. جلست ساهما افكر ترى
 كيف ستحتفل بلدنا برمضان .. بعد هذه الهزيمة النكراء .. ترى .. هل
 ستضاء الانوار .. وهل ستباع الكنافة والمكسرات .. وهل ستستمر
 السهرات للفجر في الحسين .. !! - وهل سيقول بعضهم لبعض كل سنة

وَأنت طيب .. ؟؟ ترى كيف تعيشين يا بلدنا ، جفف البكاؤن دموعهم ..
وجلسنا نحكى فكرياتنا .. أيام طفولتنا .. وأيام صبانا .. وأيام
شبابنا .. المكسرات .. قمر الدين .. الفوانيس المونة .. الاغاني
القديمة .. جو ورائحة ليالى الف ليلة وليلة .. حضر الحراس وفتحوا
لنا الابواب مهنيين برمضان .. فالنظام الجديد للمعسكر أن تغلق الابواب في
الساعة الثامنة .. وتفتح في الثانية عشر لقد تقلصت ساعات الحبس الى
أربع ساعات يوميا .. وسمح بأذاعة الاغاني والقرآن ليلا .. وساد
المعسكر شكل جديد من أجل رمضان ..

في الصباح انتشر خبر قدوم اللواء الكاهن الاسرائيلي .. ليقابل مندوبي
الاسرى ويرتب معهم الترتيبات المعيشية خلال شهر الصيام ..

وبعد الظهر عرفنا أنهم قرروا أن يصنوا ويزيدوا كمية طعامنا ويعدلوا
مواعيده بما يناسب الشهر الجديد وأنهم قرروا أن يصرفوا لنا (لبن
زبادى) .. ومكسرات وفراخ على الافطار .. وقابلنا في البداية موضوع
صرف الفراخ باستغراب ثم ابتدأت بعد مدة مناقشة الموضوع تارة
باستهزاء .. واخرى بشهوة وامتدت المناقشة بين هل صحيح ان اليهود
سيطعموننا فراخا وزبادى ومكسرات أم لا ..

وإذا كان فما مقدار الفراخ يا ترى التى سياكلها كل منا .. وكم مرة
في هذا الشهر ..

وكان من قبل قد حضر لزيارتنا اللواء اسحق رابين رئيس اركان
الجيش الاسرائيلي مر علينا في حجراتنا وشاهد أماكن نومنا .. وعندما وجد
عندنا كتابا مؤلفا هندی عن (عبد الناصر مصر) سألنا ترى لو كان اسرانا
عندكم هل كنتم ستعطونهم كتبنا عن ليفى اشسكول أو بن جوريون ..
ويومها قلنا له سنجعلهم ينامون فوق أسرة بدلا من النوم على الارض ..
ووعد بأن يأمر باحضار أسرة لنا .. وأعطونا كمية من البرقوق كهدية
لزيارته ..

وفعلا أحضروا لنا أسرة قرب بداية رمضان ..

أصبح الجو أكثر برودة .. المطر الغزير يهطل .. أحضروا لكل منا ٤
بطانيات بدلا من البطاطين السابقة .. وأكثر نظافة وجدة .. وأحضروا لنا
بعض الملابس الصوفية القديمة .. بدل كاكى صوفية من النوع الذى نسميه
« باتل درس » .. وسمحوا لنا بطرود جديدة من مصر .. تحمل ملابس

صوفية وبيجامات صوفية وكستور .. وادخل للحمامات نظام المياه الساخنة والباردة .. ثم احضروا لنا بعض الحلوى وقالوا هدية من نجمة داوود (مثل الهلال والصليب الاحمر) وبعض اللب والسودانى والحمص وقالوا هدية من الشعب الاسرائيلى ..

ثم تلت زيارة اسحق رابين .. زيارة للقادة الاسرائيليين .. الجنرال اهرن مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية .. والجنرال مردخاي هود قائد الطيران ومدير الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية .. واعضاء من الكنيست الاسرائيلى ومن الحزب الحاكم .. وزادت حفلات السينما .. وتحسنت نوعيتها .. بعضها عن السيرك .. وأخرى عن حياة مغنى الاوبرا كروزو وكان فيلما جيدا وبعضها افلام هندية ولكن ما يستحق الاهتمام منها حقا فيلمان او ثلاثة اسرائيلية ناطقة باللغة العبرية .. وكان الجنود الاسرائيليون يترجمون لنا الحوار وان لم يكن فى حاجة للترجمة الفيلم الاول تدور أحداثه فى المانيا اثناء حكم النازى .. وخلال مطاردة الجستابو لليهود اختتمت عائلتان فى تحجرة سرية هربا من الاعتقالات وفى انتظار تهريبهما للخارج .. فى العائلتين شاب وشابة .. فى سن الحب .. فى سن التفتح .. كان لابد ان تنشأ بينهما علاقة عاطفية .. ولكن فى مثل هذه الظروف .. وتحت انظار الاءاء والامهات والعممات والجدود تتحول هذه العلاقة الى عذاب .. الانظار تخيطهما .. وتفهم سرهما .. ولا يستطيعون مساعدتهما الشابان يحاولان ان يختليا ببعضهما فى ركن ولكنهما يخجلان من اهلهم وهم لا يشعرون بانهم يفهمونها ويعطفسان عليهما .. الاعصاب تتوتر مع كل طارق .. الاعصاب تتوتر من الحبس .. والرعب من الموت .. عمة عانس تفعل .. يا للقسوة .. حق الحياة الطبيعية محرومان منه .. فى نهاية الفيلم ومع اصوات ابواق عربات الجستابو القادمة للقبض عليهم تندفع الفتاة الى حضان فتاها ويغيبان فى قبلة طويلة .. ثم يصلحان ملابسهما ويسيران مع باقى عائلتيهما الى قدرهم .. وهو فيلم جيد كقصة وتصويرا واخراجا وتمثيلا .. يستطيع فعلا وفى الظروف الطبيعية ان يسرق منك الحب والعطف على اليهود .. والصهيونية .. ثم يصل بك للنقطة الحاسمة وهو حقهم فى ان يكون لهم وطن يمرحون فيه ويحبون ويزاولون حياتهم من خلال حوار غير واضح وغير ظاهر فى الفيلم ولكن تأثيره علينا كان تعليقا ظريفا من احد الزملاء اذ قال : الله يخرب بيته هتلر ..

لانه لم يقض على اليهود ويريحنا منهم •• فيلم آخر •• أم يهودية •• ضمن عائلة كلاسيكية تعيش في فرنسا •• الاب يقرأ والام تشتغل التريكو والطفلة تعزف على البيانو والطفل يستذكر دروسه •• الاضاعة خافقة نظرا لقيود الاضاعة اثناء الحرب العالمية الثانية •• ثم صوت صفارات الانذار •• وتحدث غارة •• ويسقط المنزل وتموت تحت الانقاض الابنة •• ثم يدخل النازي المدينة ويقبضون على الاب •• وتهرب الام •• ويشاهد الطفل اعدام النازي لمجموعة من رجال المدينة ومنهم أبوه •• الابن يهرب عن النازي وهم يطاردون جميع أهل المدينة يأكل من صندوق الزبالة مثل القطط والكلاب الضالة •• الام تنضم الى ملجأ لتربية أطفال اليهود في جانب من الارض غير المحتلة أطفال كثيرون •• الام تبحث عن ابنها •• والابن مشرد ثم تتوالى أحداث الفيلم حتى دخول الامريكيين فرنسا •• ويتعلق أحد جنودهم بالطفل •• ويعلمه الانجليزية ويحاول تبنيه •• والام تجد سلوتها في حب الاطفال بدلا من ابنها •• والاطفال يبادلونها حبا بحب •• وزميلاتها في الملجأ يعطفن عليها ويحاولن البحث لها عن ابنها •• الجندي الامريكي يقرر أمرا بعد ما جاءت الاوامر بالتحرك سيرسل الطفل الى الملجأ •• وفي نفس الوقت تقرر الام أمرا ستبحث عن طفلها •• الام تتجه الى محطة السكة الحديدية بعد حفلة وداع صغيرة يقيمها لها الاطفال •• في المحطة تجد فوجا من الاطفال ذاهبا الى الملجأ •• تبكي من أجلهم تحن لهم تقرر الا تسافر وتهب حياتها للاطفال من أجل ابنها •• ترجع معهم تداعبهم وهم يغنون تضع يدها على رأس احدهم ينظر لها تنظر له •• انه ابنها ضمن هذا الفوج •• وبين القبلات والدموع يكتسب اليهود عطف العالم وتكتسب اسرائيل ملايين من الدولارات التي تحولها الى أسلحة تشردها أطفال العرب •••

هذه امثلة لافلام شاهدناها في هذه الفترة محاولة لكسب عطف اسرى حرب لا حول لهم ولا قوة على القضية اليهودية •• ومحاولة لترسيخ مفهوم أن اليهود مظلومون وأنه من العدالة قيام وطن لهم ناسين أن لنا أطفالا نبحث عنهم •• بين اللاجئين والمشردين في فلسطين وسوريا والارمن ومصر •••

وفي الليالي التي خلت من الافلام كانت هناك المحاضرات •• متحضرين عن الديمقراطية في اسرائيل ابندا المحاضر حديثه بأن اسرائيل هي البلد

الديمقراطية الأولى في العالم ، فتعدد الأحزاب وتنوعها من أقصى اليمين الديني
الرجعي التوسعي ، إلى أقصى اليسار الشيوعي الصيني أو السوفيتي ،
وما بين هذين الطرفين أحزاب تتفاوت درجة يمينيتها أو يساريتها ،
جعلها قمة الديمقراطية ، وهو الشيء غير المتوفر في دول العالم أجمع
حتى إنجلترا أو أمريكا ، الفرد في إسرائيل يستطيع أن يقول أي شيء
في أي مكان وبأي صورة ومسموح بذلك عدا العنف في فرض الرأي . . .

هامش (ان هذه الأحزاب فريدة في نوعها إذ هي قد نشأت قبل قيام
إسرائيل وفي ظل مجتمعات غريبة في أوروبا الشرقية وبولونيا وروسيا
القيصرية على وجه التحديد .

أغلب هذه الأحزاب بدأت أحزاباً طائفية متعصبة ولقد شجعتها حركة
الصهيونية العالمية أنها ليست أحزاباً على الطريقة الأوروبية رغم أنها
أوروبية النشأة في الغالب فهي تقوم بنشاطات متعددة في حقول مختلفة
من الاقتصاد إلى الخدمة الاجتماعية والضمان الصحي والثقافي والانبياء
والمصارف والمسارح والجرائد والنوادي وليس بمستغرب أن تشكل « دولة
داخل دولة » رغم تعددها وشدة صراعها العقائدي وحدة التنافس والتناحر
الإنها بمثابة تنوعات مختلفة على الموضوع الأساسي الواحد « الصهيونية
ومخططها العدواني في جمع شمل يهود العالم تحت ظل دولة إسرائيل ،
هذه الأحزاب تعكس المذاهب السائدة في القرن التاسع عشر ، العلمانية
والاشتراكية والليبرالية والقومية المتطرفة وتناقضها ليس عقائدياً
أو أيديولوجياً بقدر ما هو من قبيل السعي وراء المصالح الخاصة والمنافع
الاقتصادية أو الحصول على أكبر جزء من الميزانية .

بعضها تحول إلى تروستات اقتصادية هذه الأحزاب تقوم على مركزية
القيادة حيث تنحصر السلطات الحزبية بأيدي فئة قليلة من الزعماء أما باقي
الأعضاء فينضمون للحزب لكي يستطيعوا أن يجدوا عملاً أو خدمات
أو تسهيلات ، والتي بدون ذلك لن يجدوها .)

(نظرة في أحزاب إسرائيل « أسعد مرزوق »)

لم يعارض مغامرة 5 يونيو سوى عضوين شيوعيين في الكنيست وباقي
الأحزاب أيدت الاعتداء على العرب ، أساس الدعاية الإسرائيلية في
إسرائيل مركزة على اعتبار العرب مجموعة من المتوحشين الذين يريدون
الفتك بالاسرائيليين ولذلك يجب مقابلة القوة بالقوة والارهاب
بالارهاب . . .

المحاضر الآخرى عن نشأة اسرائيل ٠٠ ومن خلال المحاضر فهم
أن أكثر من ٨٠٪ من مواطنى اسرائيل ليسوا متدينين وأن نسبة ٣٠٪
من هؤلاء غير مؤمنين أساسا بل هم ملحدون أما الهدف من التجمع
الصهيونى فهو تحقيق تقابل للروح اليهودية ٠٠ وهو نهاية العجز
الايدىولوجى الذى تقوم على أساسه دولة اسرائيل ٠٠ الروح اليهودية فى
مفهومهم هى أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لا قوا من الاضطهاد والتشريد
والقسوة ما لم يلاقه غيرهم ٠٠ فهم من البداية مطرودون من مصر مستعبدون
فى العراق مضطهدون فى الجزيرة العربية فى صدر الاسلام ومع بداية الدعوة
من النبى محمد بالذات ٠٠ ثم وفى العصر الحديث واقعون تحت اضطهاد
القيصرية الروس والفاشية وأعداء السامية فى أوروبا وحاليا منبوفون من ١٠٠
مليون عربى يحوطنهم بالكراهية ولقد نجوا من اعداءهم العديدين ثلاث
مرات خلال عشرين عاما ٠٠ والسبب فى هذا (هو الروح اليهودية والتضامن
اليهودى النابع من التوراة ٠٠ التى ما هى الا تاريخ الآجداد ووصاياهم)
والروح اليهودية تصل الى أقصى حالتها فى المساعدات التى يقدمها لنا
اخواننا يهود العالم جزءا من حقنا فى أموالهم ٠٠ ويسكب المحاضر الاعمى
يستجدون حتى أسراهم ٠٠ اننا فى ايديهم يفعلون بنا ما يشاءون فلا يجدون
طريقة لاقتناعنا الا بواسطة محاضر اعمى يبكى لنا :

ولكن النقطة الهامة فى هذه المحاضرة هى كيف أستطاع اليهود
المتفرقون القادمون من جميع أنحاء العالم أن يكونوا وحدة متجانسة تشكل
شعب اسرائيل ٠٠

ويعترف المحاضر ٠٠ أنه لولا عدااء الدول العربية لهم لما أستطاعوا
ان يحققوا هذه الوحدة فاليهود العرب الشرقيون (مراكشى ٠٠ جزائرى ٠٠
عراقى ٠٠ مصرى ٠٠ يمنى) واليهود الغربيون واليهود الروس واليهود
الامريكان ٠٠ بتيباينهم واختلاف فكرهم ولغاتهم وأشكالهم وطرق حياتهم
لم يوحد بينهم الا عدااء العرب لهم ٠٠ وبالتالى الدفاع عن النفس ٠٠ وكانت
كلما ظهرت التناقضات قتلوها بأسم العدو الرابض على الحدود ٠٠ معنى
هذا أنه لولا خوف اليهود المشترك من العرب لا انفجرت اسرائيل من داخلها ٠٠
ولكن هل مجرد الخوف هو الذى اذاب الفوارق وحافظ على الكيان الاسرائيلى
يقول المحاضر أنهم قد كونوا معسكرات تستقبل اليهود الجدد المهاجرين
٠٠ تعلمهم اللغة العبرية وتدرس لهم الايدىولوجية الاسرائيلية ٠٠ ثم تحكى

لهم كيف يعانون في سبيل التقدم والمدنية لنا وتطلب منهم المحافظة على المكاسب واكمال النضال من أجل الدماء المهدرة على مر التاريخ . ومن خلال هذه التجربة تستطيع اسرائيل تجنيد ١٠٪ من سكانها (وهي نسبة عالية جدا اذا عرفنا أننا نجند ١٪ من سكاننا) . ومن خلال هذه التجربة تدفعهم للعمل في مستعمراتها الجماعية العسكرية على الحدود وفي الاماكن الصعبة ويستطرد المحاضر

ان اغانيكم ودعايتكم كانت تحمسننا أكثر منكم . فيكفي ان نستمع لمن يقول سنرميكم في البحر . . . اضرب . . . اقتل . . . اقتل . . . اذبح . . . بالنسبة لك كلام اما بالنسبة لي خوف ورعب وحرب وانتصار وموت وتعذيب ثم حماس . . . وهناك نقطة أخرى طرحها المحاضر وتستحق الاهتمام وهي كيف استطاع اليهود بناء اقتصادهم . . . ويركز المحاضر صراحة بان أغلبية يهود العالم تجار . . . وأن الانتاج يحتاج للزارع والصانع وهي مهام لا يتقنها اليهودي ولحل هذه العقبة اشترت الوكالة الصهيونية اراضي في فلسطين وحولتها الى مستعمرات زراعية يعمل بها اليهود في زراعة جماعية . . . ثم حولت جميع المعونات التي تتلقاها من دول العالم الى مصانع ومعامل ومشروعات اقتصادية وبذلك استطاعت تحويل ما تنتجته الى انتاج وفي هذا المعنى قال المحاضر . . . وبعد عشرين سنة من العمل والانشاء وبعد ما ابتدأنا نأخذ ناتج هذا العمل . . . تريدون ان نحرمونا منه . . .

حقا . . . يعد هذا الجهود هل نريد ان نحرمهم منه . . . وبالتالي هل سيستسلمون بسهولة . . . السؤال لا بد سيضغط على عقولنا بعد هذه المحاضرة . . .

والنظرة الاولى ونتيجة لظروفنا يمكن ان تجعلنا نقول . . . لا . . . حرام . . . لا بد من الصلح والاتفاق ولكن النظرة التالية ستجعلنا نفكر في هذه الدول التي تقدم لنا قمحا وعربات واجهزة تكييف هواء ولبن وجبن وادوات زينة وكلها مواد استهلاكية . . . تنتهي باستعمالها مقابل بترولنا وقطننا . . . وتقدم لاسرائيل المصانع والمعامل والخبرة وادوات الانتاج وكلها أدوات تنتج وترفع مستوى المعيشة حضاريا مقابل . . . لا شيء . . . هذا هو الفارق . . . لماذا تقدم لنا أمريكا القمح والجبين وتقدم لاسرائيل المفاعل الذري لتحويل المياه المالحة الى مياه صالحة للشرب ؟؟ هذا السؤال لا بد من تفهمه جيدا واستيعابه ونحن نجيب على سؤالنا الاول هل بعد هذا الجهود نريد ان نخرجهم من ارضهم . . . هكذا نصل الى منطلق آخر للقضية . . . المفروض ان تصبح بلدنا مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة . . . وأن تصبح

اسرائيل قاعدة صناعية متقدمة اى نطل نحن متخلفين لما لا نهاية .. وتزداد سرعة تقدمهم وفرصتها الى ما لا نهاية وفي ضوء الحياة والموت تصبح الاجابة على السؤال .. يجب اخراجهم .. او تحويلهم الى شكل مخالف لهذا الشكل القاتل لنا فثت

فلنجد لمحاضرنا : فثت

لنجده يلقي ببذوره لتنمو .. او يؤكد نمو بذور اخرى .. ومن أهمها ان اليهود أصبحوا شعبا له مقومات الشعب من لغة وأرض وحضارة ودين .. وأن الدولة اليهودية في اسرائيل ذات تاريخ حضارى عريق وحاضر حضارى متقدم وأن اقتصادهم أصبح اقتصادا يعتمد على مجهوداتهم الصناعية والزراعية وميزانهم التجارى تخدمه الزراعة والصناعة المصدرة وليست المعونات .. فالمعونات تحولت الى مراكز الانتاج .. وأنهم لكي يحققوا ذلك بذلوا مجهودا كبيرا .. ودما وعرقا واعصابا .. لا اول لها ولا آخر وأنه بحرمانهم من نتاج عرقهم ومجهودهم برييرة ولا أنسانية .. وبذلك تتحول حربنا الى تعصب وتدمير لدولة حضارية متقدمة تسنحق كل احترام وتقدير لمجهوداتها الجبارة في سبيل الحياة .. تسلسل منطقي معقول جدا ولكن هل يقنعك .. !!

المحاضرة التالية كانت عن الكمبيوتر .. وفي هذه المحاضرة يحاول بلورة وانماء البذور التي طرحتها الزيارات والاستجابات .. من جهة ومن الجهة الاخرى التشكيك في اشتراكيتنا العربية بمقارنتها باشتراكية الكمبيوتر .. والكمبيوتر هو مستعمرة زراعية صناعية لها حجم معين فقد تكون كبيرة او متوسطة او صغيرة بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة ولقد أنشئت لحماية اليهود من العرب المغيرين عليهم في بداية الهجرة الثانية هكذا يقول ولقد اشترت الوكالة الصهيونية بعض الاراضى .. واستولت على اراضى اخرى بعد أن تركها أصحابها العرب ورحلوا فأخذناها نحن وحولناها الى زراعة متقدمة .. والحياة في المستعمرة اختيارية ولكن يشترط في بعض الاحيان أن يقضى بعض المستوطنين الجدد مددا متفاوتة وفي هذا يقول بن جوريون « لابد وان يعانى المستوطن الجديد ما عانىه المواطن القديم في الانشاء » وهذا بالطبع ان لم يكن هذا المستوطن من الاغنياء او حاملى الشهادات والخبرة التكنيكية .. او منضما لحزب من الاحزاب الكبيرة او الهستدروت .. فالحياة هناك شيوعية كل الناس تعمل .. كل الناس تستفيد استفادة متساوية .. وان اختلفت الاستفادة من كمبيوتر اخر حسب درجة غنى هذا الكمبيوتر .. وعموما لا جديد في هذه المحاضرة عما عرفناه من قبل ..

في صباح أحد أيام الشهر انتشرت اشاعة بأن الفراخ في طريقها الى المطبخ واندفع الضباط الى الاسوار لنجد اكياس الفراخ الدنمركي وهي تنزل من العربة الى المطبخ . ثم اندفع اخرون الى الرائد فريد . . . المكلف بالاشراف على التعيين يستحثونه لمعرفة الاخبار من المطبخ . . . وقف الرائد فريد بكرثته الخارج من بنطلون البيجاما ووجهة التركي الاحمر وعينية المتعبتين لصحوه فجأة من النوم يطلب مقابلة الشاويش امزراحي حكمدار المطبخ وحوله الضباط يتغامزون . . .

- ايوه يا عم الفراخ جت . . .
- يومك . . . ده . . .
- أوعوا يحرقوها . . .
- أنا عايز نصيبي مسلوق . . .
- وحياتك خليهم يحمروها قوى . . .
- أنا عايز فرختي كامله زي م . . . هي . . .
- يا ترى حيعملوا على الشورية ايه . . .
- لو كان عندهم ملوخية ؟؟

وأخيرا سمح للرائد فريد بمقابلة الشاويش امزراحي . . . وبعد حوالي ربع ساعة رجح منكس الرأس . . . وتوالت التعليقات . . . لازم مش لنا الفراخ . . .

- يا ترى زعلان ليه . . . !!
- لازم أتخاف . . . !! وعندما دخل من بوابة المعسكر التف حوله الضباط ثم انتشرت اشاعة في المعسكر بأن الفرخة ستقسم على عشرة أفراد . . . ومع انتشار الاشاعة توافد الضباط الى حجرة الرائد فريد . . . غير مصدقين وللتأكد منه شخصيا . . . واجتمع كبار الضباط فوراً لمناقشة هذه المشكلة الهامة : -

قال أحدهم - يا حضرات هذه اهانة لا تغتفر هل نحن شحاتون . . . الفرخة على عشرة . . . أنا راى ان نرفض اكل الفراخ . . . وصدق له الحاضرون وهتفوا . . . فلتنسقط الفراخ الاسرائيلية . . . قام آخر خلال الهتاف . . . حاول أن يرفع صوته قائلاً . . .

اسمعوا من فضلكم . . . لو رفضنا الفراخ بماذا ستفطر . . . واحنا ناس صايغين . . . أنا من راى ان نطلب زيادة الكمية . . .

رد الآخرون . . . - مستحيل سيرفضون . . .
- نعمل مظاهرة . . . ونضرب عن الطعام . . .

- لسه قاتلين اثنين من كام يوم .. واحنا قاربنا نروح بلدنا ..
- بلاش مشاكل ..
- ناكل الذى مع الفراخ .. ونتركها لتعفن فى حطائها ..

واخيرا تقرر ان يشكل وفد يطلب مقابلة قائد المعسكر للتشاور معه ليحفظ لنا كرامتنا .. وخرج الوفد .. ومن حوله الضباط يؤيدونهم .. ويرجون لهم التوفيق .. ووقف الضباط قريبين من الاسوار والبوابة منتظرين ما سيحدث .. وبعد نصف ساعة عادوا يسيرون بسرعة ونشاط .. وهتف الضباط عندما رفع أحد أعضاء الوفد كفه بعلامه V أى انتصرتنا .. وعندما فتحت البوابة حمل الضباط أعضاء الوفد على اكتافهم وذهبوا الى حجرة الرئاسة ليقف اقدم الضباط خطيبا ..

أولا : يا حضرات الفرخة مش على عشرة الفرخة على ثمانية ..

ثانيا : واضح ميقدروش يزودوا العدد أو يغيروه باللحمة لانه اتصرف وهم عندهم روتين زى عندنا بالضبط ..

ثالثا : هذا هو التعيين الذى يصرف للجندى الاسرائيلي العادى حسب قوائم التعيين وبالنسبة للفراخ كبيزة شوية ..

رابعا : وهو الاتفاق .. اتفقنا .. وسكت قليلا .. وتعلقت الاعين به لتعرف الحل رغم كل هذه الاعتراضات ثم اكمل .. ان نصف الناس تاكل اليوم .. والنصف الاخر ياكل فى وجبة الصرف القادمة .. وبهذا الشكل تصبح الفرخة على اربعة ..

كان لشهر رمضان طعم آخر فى الاسر .. فلقد كنا قد قاربنا الوصول الى الشكل المطلوب ان نكونه أى تم بنجاح الانتقال بنا من مرحلة كسر الانسانية لمرحلة التشكيك فى انفسنا ومجتمعنا ثم انتقلنا الى مرحلة استقبال افكار جديدة وآراء جديدة .. ولم يبق الا مرحلة الصداقة أو الذكرى الحسنة .. لذلك فلقد تحول المعسكر فعلا فى النهاية الى معسكر جواله أو اصطيفاف .. أسرة نغام عليها والحبس لا يزيد عن ساعات معدودة .. كنا نحشر فيها فى غرف بعينها عشرون أو ثلاثون أسيرا .. حول أحدهم يغنى أو مسرحا للعرائس .. أو مسرحية أو بارتيته بوكسر أو ندوة .. أو حلقة نكر .. وتشتغل لفافات الدخان .. وتحمر الاعين من السهر .. وترتفع الضحكات .. وفى بعض الاحيان - التشنجات والذهنات ثم يوزع السحور كميات كبيرة وجيدة من الجبن والزيادى والمربى والعص .. ونسهر حتى الفجر نتجول فى المعسكر نتكلم .. أو نجرى تحت زراز المطر الخفيف نلعب كالاطفال .. وتقام صلاة الفجر باحتفال يضم أغلب مسلمي

للعسكر وفي هذه الايام احضروا لنا منضدة للبنج بونج .. وشبكة فولى بول
وكرات فتنام مباريات البنج بونج لليوم التالى .. لتمام ساعات قليلة
نقوم منها لنلعب الجريديج والبوكير والفولى بول ونغسل ملابسنا .. ونقرأ
بعض القصص التى جاءتنا من مصر .. سواء فى طرود خاصة او عامة ..
ويقوم بعضنا للاستجواب الذى لم يعد يشد اهتمامنا كثيرا .. ثم نستمع
لمحاضرة او فيلم سينما او نحضر ندوة من الندوات ويتكرر اليوم .. الان
اتخيل أنك تسألنى وماذا كنتم تقولون فى دعواتكم ؟؟
سأقص عليك منها .. فى احد هذه الندوات كان موضوع الحديث التطور ..

- هناك نظريتان يحكمان تفسير الحياة على الارض .. النظرية
الاولى تقول ان الحياة خلقت كما هى الجبال كما هى والبحار كما هى ..
والمخلوقات كما هى .. لم يحدث عليها تغيير .. والنظرية الثانية تقول
بل الحياة متحركة متفاعلة متطورة ولا وجود للثبات الجبال لم تكن بهذا
الشكل منذ مليون سنة ولن تصبح بهذا الشكل بعد مليون سنة اخرى
والبحار واليابسة والموجودات الحية على الارض لم تكن بهذا الشكل
ولن تكون فى حالة تطور وحركة مستمرة على مر الزمن ..

- بالطبع النظرية الاولى هى السليمة .. فهذا يتفق مع الكتب
السماوية ..

- ولكن النظرية الثانية تتفق مع العلم .. وما دمنا نتكلم كلاما علميا
فلنترك جانبا الى حد ما الديانات ونتكلم حسب النظريات العلمية ..

- لا .. احنا مسلمين او مسيحيين ولنا دين ..

- يا اخى انت ضابط مدفعية عندما تدرس رياضة او نظريات
الميكانيكا اتسأل الاول هل هذا يتفق مع الدين أم لا ؟؟

- الكلام ده تخريبي .. انت مخرب هل معنى ذلك أنك تكفر
بالاديان ..

- لم أقل هذا وانما قلت عندما تكون الكلمة للعلم فلنتفق على أن يكون
مخبر حديثنا ومراجعنا هو النظريات العلمية .. وتتعالى الاصوات
تسكته ..

- لكن من أين جاءت الارض .. وما عليها ..

- يعنى انت عايز توصل ان الانسان كان قردا ..

كان هناك سديم .. انفجر ..

- وقبل هذا السديم ماذا كان ..

- وقبل وجود الله ماذا كان ؟؟ سنصل الى مجهولين .. وبالتالي
فعلينا ان نؤمن بالموجود ...

- طيب .. طيب انقل .. الارض موجودة حتى ظهر الانسان ...
- انا اسف يا جماعة بهذه الطريقة لا استطيع ان اكمل .. فلنتكلم
في موضوع آخر ...

- هل تريد ان تحجر علينا تقول ما تريد ونحن نستمع لك فقط ..
تعلم الديمقراطية ..

- الديمقراطية هي ان تتركني اقول وجهة نظري حتى النهاية .. ثم
تقول انت وجهة نظرك أيضا حتى النهاية ... وعلى كل منا الا يتعصب
لرايه ويحاول ان يفتنح ..

- اكمل ... اكمل ... نحن نريد ان نسمع متى ظهر الانسان على
الارض ...

- ظهر الانسان في نهاية تطور طويل وصل الى ملايين السنين ..
فمنذ كانت الحياة نبضة صغيرة حتى أصبحت نبضات في الماء تنمو لتصبح
خلايا فاميبيا .. وتطور الاميبيا لتصبح جد المملكة الحيوانية وتثبت
أخريات على الشاطئ مكونة المملكة النباتية .. ثم تتطور الاميبيا الحيوانية
الى أسماك كثيرة فحيوانات برمائية .. فزواحف فطيور فثدييات وتفرع
من الثدييات عائلات كثيرة .. كثيرة .. حتى نجد القرد الانساني الاورانج
أوتان .. والغوربلا .. والجيبون .. والشمبانزي ومنه عائلتان احدهما
تخط فتصبح قرده .. وعائلة أخرى تستعمل أصبعها الخامس فتمسك
بالادوات وتنتصب لتسير على رجلين فتكبر رأسها .. ويكبر عقلها فتزداد
التجاويف في مخها ويزداد بذلك عدد الخلايا المفكرة .. ويصبح بذلك القرد
الانساني .. انسانا ... بالعمل وبالانتصاب واقفا وذلك خلال حلقات
طويلة قد تستغرق كل حلقة آلاف السنين ..

- أولا ... قصة انه كلما كبر المخ زاد الذكاء هذه غير حقيقية ..
فلا علاقة بين كثرة التجاويف والذكاء ...

- مستحيل بل هناك علاقة سببية حقيقية لو رأينا مخ قرد ومخ
انسان سنجد أن مخ الانسان انحاءاته أكثر وتجاويفه أكثر ..

- أنا اتحدك .. لا علاقة بين الخلايا وبين مقدار الذكاء ...

- احنا بنتكلم بالعلم الآن ملكش حجة ..

- هل تذكر سلسلة التطور هذه ...

- بالطبع .. الان أصبحت كلها مغلوبة وبها سلبيات وفراغات
كثيرة .. وهي نظرية لا علمية ..

- الم تدرسها في كليتكم ...

- لا .. لا ندرس هذه المغالطات ...

ولولا أن الحراس أنقثوه بفتح الابواب لتطورت الندوة الى معركة ولكن
سلم الامر ...

همس في أذنى ...

- اليوم عندنا ...

- لماذا ... ؟؟

- عندنا العقيد فلان سيغنى

- عقيد يغنى ...

- صوته رائع .. أغانى عبد الوهاب القديمة ...

- عقيد ... عقيد ...

- عقيد احتياط كان في معهد الموسيقى العربية .. وعند اللوات

ضاغطين عليه لدرجة انه فعلا يقول عايز اتعد معاكم ...

في المساء كنا حوالي الثلاثين .. نجلس في دوائر ضيقة جدا حول
منضدة أمامها عقيد كبير السن أبيض الشعر ابوى الملامح .. وبعد ما اخرجنا
ما عندنا من سجائر محترمة .. وتبادلنا بعض النكات .. وقفل علينا
الحراس الباب .. ابتداء في الغناء .. صوت هادىء ممتلىء بالشجن
والقطريب الشرقى ..

ياوابور قولى رايح على فين ... ياوابور قولى وسافرت منين ...

وأشعر أننى انتقلت لعالم آخر .. بهت الثلاثون رجلا تماما من
حولى .. وبهتت صورة العقيد ولم تبقى الا ذبذبات حلوة متتالية متلاحقة
تستقبلها أذنى فتنفجر بداخل عقلى براكين وانفعالات وأصواء مشبعة
حلوة .. يعقبها .. أحزان نفينة عمرها آلاف السنين ورثتها عن أجدادى
عندما كانوا يلتفون حول ناي أو مزمار حزين في ليلة من الليالى القمرية يعثون
بشوقهم وحزنهم وقهرهم ...

الورد جميل .. جميل الورد .. الورد جميل وله اغصان عليها يميل
من .. وأسرح واضغط على شفتى السسفى .. وأخرج قلبه السجائر
المسيلتون وأشعل سيجارة يلتصق بطرف لسانى جزء من الدخان فأبصقه
محاولا الا يلتصق بقفا زميل جالس أمامى .. يا جارة الوادى طربت وعادنى
ما يشبه الاحزان من ذكراك .. ما هذا الحزن .. عيناه تمتلئان بالدموع
صوته يهتز .. رائع .. صوت رائع .. ينثر حوله موجات من الشجن

ميفجر طاقات حزن على وجوه سمراء . . . وصفراء . . . امضها الارهاق والجوع
والحزن . . . والذكرى . . . وتنتهي ليلة من احلى ليالى حياتى . . . ممتعة . . .
ممتعة . . . كما لو لم اكن اسيرا . . .

قال احدهم - عندما يقفل علينا الباب اعود ثانيا للقاهرة بين مجموعة من
الاصدقاء . . .

- متى نعود . . . متى نعود . . .

- طالت المدة كثيرا . . .

- هل سندفن هنا . . . يا دنيا . . . يا حياة . . . يا هوا . . .

- اريد ان اتنفس . . . آه . . .

لقد تعودنا على هذا النمط من الحياة . . . بل لقد حدث ما هو اعجب من ذلك . .
لقد كسر الضباط ابواب وحوائط دورات المياه والمنشآت الاخرى وعملوا دوابب
وقراييزات . . . وكراسى . . . وقطعوا اليطساطين وعملوا منها جاكقات
وبلاطى . . . وشنط (هاند باج) ويمر شهر رمضان سريعا . . . تأقلمنا . . .
تبلدنا . . . لم تعد تؤثر فينا اشاعات العودة التى كانت تتكرر كثيرا . . .
وصلنا لاتفاق الغى الاتفاق . . . وصلنا لاتفاق . . . ارسلنا ٥٠ اسيرا لمصر
هدية بمناسبة العيد . . . لكى نظهر حسن نوايانا . . . هل معقول هذا الكلام
٥٠ اسير هدية . . . لماذا . . . ؟ من الابله الذى يستطيع ان يصدق هذا
الكلام ؟ . . . انها محاولة لاثبات ان المفاوضات المباشرة خير وسيلة للوصول
الى حلول . . . لقد ارسلنا العميد فريد مع الاسرى عندما سيصل الى القاهرة
محلا براينا سيتفاهم مع المسئولين وسنصل لاتفاق برجوعكم . . .

ليلة العيد - ٥٠ اسيرا فعلا يحملون مهماتهم ويتحركون فى طوابير
متجهين الى القاهرة . . . نرقص نضحك نغنى . . . لأول مرة تصدق الاشاعة
. . . يحتضن بعضنا بعضا ولكن . . . قد يتفقون . . . وقد لا يتفقون . . . يصرفون
لذا علبه جبنة بيضاء وعلب فول وعلب مربى كانت قادمة من مصر والمفروض
انها كنا سنستهلكها خلال شهر رمضان . . . كميات هائلة من الاكل
اصبحت لدينا . . . الصليب الاحمر يحمل لنا هدايا . . . بطانية صوف وحلوى
. . . وسجائر سويسرية . . . لم تبق الا ايام . . . من يعرف . . . ؟ . . .

الله اكبر . . . الله اكبر . . . لا اله الا الله . . . الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
. . . وسبحان الله بكرة واصيلا . . . لا اله الا الله . . . صدق وعده . . . وفى
عهده وهزم الاحزاب وحده . . . اصوات قوية . . . قوية . . . تتصاعد ويمتلئ
المسك بترنيمات العيد . . . يتوافد الضباط . . . يجلسون فى صفوف . . . الاصوات
تعلو لا اله الا الله . . . اللهم صل على محمد . . . وعلى آل محمد . . .

اليهود يتجمعون حول الاسوار ينظرون لنا يصورون الصلاة بالكاميرات
وبالسينما اصوات قوية تملأ عتليت .. اليوم عيد .. الاغاني طول اليوم
.. على بلد الحبوب وفينى زاد وجدى والبعد كاوينى نخرج بطاطينا
ونجلس نتشمس .. اليوم سسينتهى شهر الاعياد .. يوزعون علينا
دفعة من الخطابات والطرود القادمة من القاهرة .. وتبدأ فترة جديدة
.. مرحلة جديدة من حياتنا فى الاسر .. بعض جرائدنا نستطيع تهريبها
مع الطرود .. قصة ايلات .. ضرب مدينة القنطرة .. مقال لمحمد عودة
يدعو فيه الى الصمود واستمرار النضال ..

محاضرات الصنفرة النهائية .. تركز على ثلاث نقاط
تريدنا أن نحملها الى القاهرة . السلام .. المفاوضات
المباشرة .. التقليل من قيمة العمل الفدائى والحرب .. من خلال كمية
هائلة من الدموع يذرفها المحاضر السجن الاقوى مسترحما للمسجون
الاضعف . اقرب الطرق للوصول الى عواطفنا بدون المرور على العقل .. نحن
رجال سلام .. السلام امنية حياتنا .. فهو سيتيح لنا الفرصة
لان نعمل .. لان نفتح .. لان نعيش .. نريد أن تخرج أطفالنا من الخنادق .
ثم تهديد سنحارب حتى نحقق السلام ..

وطريقهم للسلام المفاوضات المباشرة .. (الجلوس على مائدة واحدة)
على حد تعبيرهم .. وخلال هذا الكلام على أن انسى أن اسرائيل
انشأتها بريطانيا .. عندما كانت اعنى دول الاستعمار العالمى . وحافظت
عليها امريكا عندما انتقلت لها زعامة المسكر .. وكان مندوبوها يتفاوضون
مع النازى فيما لو انتصر النازى .. وسيتفاوضون مع الشيطان لو أصبح
حاكما لاقوى دول الاستعمار فى العالم .. وكان عادة ما تربط احاديث السلام
.. بعبارة صغيرة « احنا اغنى منطقة فى العالم .. عندنا البترول والقناة
والقطن والرجال والموقع .. نحن بخيرتنا ورءوس أموال اقاربنا يهود العالم
الاغنياء .. وانتم بموادكم الخام وايديكم العاملة .. نعيش فى سلام واكتفاء
ذاتى » .. اما العمل الفدائى .. والحرب ..

العمل الفدائى عمل طفولى .. غير مجد .. والحرب مستحيل انشاء
جيش فى اقل من ثلاث سنوات هذا ليس رأينا .. انه رأى اكبر المعلقين
العسكريين فى العالم الجيش ليس دبابة فقط .. الانسان الذى يحرك الدبابة
يحتاج الى ثلاث سنوات تدريب وخبرة .. الطيار والطيارة .. وعموما انهم
يمتلكون قوة لا تقهر واسلحة سرية لم تستعمل فى حرب يونسو لان الاسلحة
التقليدية ادت دورها .. هكذا يقولون .. لقد ادار النصر السريع رءوسهم
وهم مستعدون لتحدى الاله اذا حكم ضدهم رغم كميات البكاء الهائلة ..
وابتدأت الاستجابات تأخذ شكلها النهائى .. فاكتمالا للشكل السياسى

- أجروا لنا اختبارات قياس الذكاء .. وتجارب على جهاز كشف الكذب ..
وتصنيفات للمجتمع .. أعمال المهندسين .. الزراعيين .. التجاريين ..
الفلاحين العمال .. طرق المعيشة في مصر .. الترفيه .. الكباريهات ..
السينمات أماكن التجمع .. المناهج الدراسية في المعاهد المختلفة
والكليات ..

- متى تستطيع أن تصمم منزلا ..

.. .. .

- هل تعمل مساعدا لمهندس لفترة ..

.. .. .

- كم أجرك في بداية تخرجك ..

.. .. .

- كيف تزيد مرتباتكم ..

نم كيف تكتب خطابا مسجلا .. كيف توصل الطرود ..

ما رتبك .. ؟؟ عيد الناصر ماذا كانت رتبته عندما قام بثورة ٥٢
بعد حرب ٤٨ .. ؟؟ ثم سمحوا بأن نتم زيارات بين معسكر القادة ..
ومعسكرنا .. كل قائد سلاح أو ضابط كبير حضر .. ليرى رجاله وثارث
من جديد أخبار الحرب .. تصوروا .. لقد وجدوا كتيبة دبابات سبقتين
في خنادقها كاملة بعد شهرين من انتهاء الحرب .. وكانوا يعجبون لماذا
تركوا هذه الدبابات .. لقد أنهى الاتحاد السوفيتي الحرب العالمية بها .. ونحن
تركناها في خنادقها ..

وفي الاذاعة .. كاسترو يشيد بشجاعة الجندي الاسرائيلي في الحرب

.. .. توسخ حجم التبادل التجاري بين اسرائيل ورومانيا .. ١ ..

وهكذا وفي نهاية المدة صبح المثل الذي يقول .. كل من يزرع يحصد ..
كل من يخطط بدقة يصل الى ما يريد .. وهكذا نصل الى شكل كان
في يوم ما بعيدا كل البعد عن التصور .. ولكنه كان نتاجا لما خطط
له بدقة شديدة .. لقد استعمل الاسرائيليون ما يسمى بالحرب النفسبية
لعمل غسيل مخ أو فرض ارادة .. ولقد نجح يهود اسرائيل في النهاية
للوصول الى ما يريدون .. لم يعودوا اعداءنا .. اعتدنا عليهم .. وعرفنا
مزاج كل منهم .. قائد المعسكر .. أمزاجي المسئول عن التعيين .. أهرون
كبير المستجوبين .. الحراس .. اصوات المذيعات في الاذاعة الداخلية ..
بل والجمال العبرية التي يفتقونها .. السجائر التي يدخنونها .. والفوارق
بينها .. طريقتهم في التحدث والتهديد .. الاخبار السارة والاخبار السيئة

على وجوههم .. الاغراب بينهم زوارهم الاجانب .. ومن الناحية الاخرى
تأكدوا من أننا أصبحنا مسالمين مستسلمين لقدرنا وحياتنا
ولم نعد نفكر في الهروب أو الاعمال العنيفة .. أو حتى ابداء الامتناع
أو الكره .. فخفضت الحراسة .. وأصبحت صورية .. وزيدت مدة الخروج
خارج الحجرات .. وتبادل الحراس والاسرى بعض النكات .. ولم يمتنع
احد لهذه النكات فهم آدميون .. بل أطلقت النكات عن تصورنا السابق
للإهودى ذى الأنف المعقوف والشعر المنكوشن .. وأصبح بعضهم لا يخجل
من أن يقول صديقى المستوجب قال .. وتبدلت الهدايا الرمزية .. وأصبحت
المسألة مسألة وقت وإجراءات تعطلها الحكومة المصرية ثم ترحلون لاهاليكم
. ولم نسمع الاصيحات ليلية تقول يا أمزراحي حضر السندوتشات .. ليذانا
بالرحيل .. لقد نضجت الطبخة .. ولم يبق إلا أن يتذوقها الشعب المصرى
الكريم الذى لا يحمل له الشعب الإهودى أى ضغينة أو حقد .. سيرسل
الإهود خمسة آلاف وخمسمائة سفير لهم محملين بأفكارهم وتصوراتهم
ينشرونها فى أعماق مصر ومدنها .. وأصبح رجال المخابرات الاسرائيلية
فى منتهى السعادة .. لقد استطاعوا أن يقدموا عملا طيبا .. لقد غسلوا
مخ خمسة الاف وخمسمائة حاقد متوتر بكرمهم وحولهم الى خمسة الاف
وخمسمائة سفير لهم يستطيعون الاعتماد عليهم الاعتماد الكامل .. ولم يبق
إلا الوجه الاخير .. التلميح النهائى .. قبلما يدخلون الامتحان .. وبعدها
.. ستنفجر هذه الالغام .. حاملة أفكارهم داخل الشعب المصرى .. وعاصرت
هذه الايام نشاطا ملحوظا .. انتهى بأن جاء موسى ديان ليرى بنفسه ما فعله
رجال .. وأعضاء من الكنيست ومدير الاذاعة الاسرائيلية للقسم العربى
(وهو مدير المخابرات السابق) ورجال الاحزاب المختلفة .. كل بكلمة ..
وكل بمحاضرة .. وكل بسلامات .. وكل بقبلات واختفت الرشاشات ..
وأصوات الطلقات .. اعتقد أنكم فى شوق لتعرفوا ماذا قال موسى ديان
ساقص .. كان يوما من أيام شتاء يناير .. الامطار تضرب أسطح المباني
بشدة .. البرد شديد .. المعسكر تحول الى بحيرة .. جلسنا فى حجراتنا
فى حبس اختياري نلعب البريدج والبوكرون دخن السجائر ونحلم بالعودة
.. استدعونا .. مجموعة من القيادات وبعض الرواد وقليل جدا من الضباط
الصغار جلسنا فى قاعة واسعة .. الميكروفونات الكثيرة فى صدر القاعة ..
عدد كبير من الضباط يزوحون ويحيئون .. قائد المخابرات يعلن علينا بأن
السيد الوزير سيزورنا اليوم .. رجل طويل أبيض ذو عصابة سوداء على
عيفه يرتدى ملابس مدنية بسيطة بنظون فائقة رمادى فاتح وجاكت شمواء
اخضر زيتونى .. وقميص أبيض بدون كرافت .. حركاته خليط من الاعتداد

ببالنفس ومحاولة التبسط . . . ليس مرعبا أو مخيفا يتكلم الانجليزية بلهجة
أو كسفورد . . . ابتداءً يتكلم بلغة عربية ركيكة . . . « انا لا اعرف العربى
كويس حتكلم انجليزى هل تحتاجون مترجم » . . . قال المترجم سيادة الوزير
بيقول انه لا يعرف العربية . . . فضحكنا خجل المترجم وسكت . . . قال كلاما
كثيرا يدور حول الثلاث نقاط السابقة : السلام والمفاوضات المباشرة . . .
وعدم جدوى الحرب . . . ولكنه فى النهاية اطلق قنبلة دعائية . . . فقال . . .
ابنا اعرف انكم رجال عسكريون . . . والرجل العسكرى ينفذ الاوامر ويستعودون
لبلادكم . . . وسيامرونكم بالحرب ضدنا ثانياً ، لن الومكم على هذا . . .
بل اتمنى لكم حظا احسن فى المرة القادمة وأن تؤدوا واجبتكم بطريقة افضل
. وسكت قليلا بين علامات الدهشة ثم استنطرد . . . ولكن اذا حاربتمونا
. . . فسنحاربكم واذا اعتديتم علينا سنقاوم ولاخر رجل . . . واعتقد انكم
لا تستطيعون أن تحرمونا حقنا فى الدفاع عن انفسنا !! . . . بالمنطق المقلوب
. . . اصبحنا نحن المعتدين . . . نحن الاسرى الذين حاربناهم ولذلك حضرنا
الى هنا . . . نحن الذين يتسببون فى الحرب . . . وهم مجرد مدافعين . . .
عن انفسهم . . . ولنكن رياضيين مثله ولا نمنعه من الدفاع المشروع عن النفس
. . . هكذا . . . وهكذا هو المنطق الاسرائيلى . . . وهذه هى دعايتهم . . . وهذه
هى طريقتهم فى التأثير على الاخرين . . . كلمات معسولة منطقية منمقة رائعة
ولكن عند تطبيقها تتحول الى رصاص ونوم على الارض وجوع وتشرد وقنابل
ونابالم . . . وتهديد بأسلحة أكبر واقتوى واكثر تقدما . . .

بشرنا لقد نجح العميد فى أن نصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات ثم
اعلنا رسميا باننا سنعود الى مصرنا . . . وقسمنا ثلاث دفعات . . . وابتدأت
بشائر العودة تظهر . . . ولناخذ يوما من هذه الايام . . .

عطلت الساعة 7 صباحا . . . أحد ايام شهر يناير . . .

- المطر ينهمر بشدة . . .
- ثلاثة أيام بهذا الشكل . . .
- المفروض الدفعة الاولى تمشى بكره . . .
- يقولوا الهوام قفل الطريق بالرمل فى سيناء ولذلك ستتأجل . . .
- حتى ربنا بيحاربنا . . . حتى الطبيعة . . .
- عندما يوافق المصريون . . . يرفض اليهود . . . عندما يوافق اليهود
يرفض المصريون . . . عندما يتفقان . . . ترفض الطبيعة . . .
- يارب بس احنا عملنا ايه . . .
- لا تتعجلوا كله بأمر الله . . . من تحمل مائتى يوم . . . يستطيع أن

- أن يتحمل يومين زيادة .
- لا مش مثنان . مثنان وثلاثة وثلاثون . . انا كاتبهم خلفي
في الخريطة . . كل يوم اشطب عليه . . .
- شفت الحريقة دي . . .
- ايه الحكاية . . .
- جمعوا السجاير اليهودي اللي صرفناها من اسبوع ووضعوها في كوم
ثم حرقوها . . .
- لا يصح هذا . . سيغضب الناس . . ماذا يقولون عنا . . ؟؟
- يا أخى قول لهم يبطلوا لعب العيال بتاعهم
- نسيت عندما كدت أن تموت من أجل واحده منها
- خلاص حفرج للكيلوباترا والبلمونت
- شفت موسى ديان قال ايه
- آه . . في منتهى الذكاء . . رجل معقول جدا . . مش زى حنقرتهم
. . . حنضربهم . . وحنرميهم في البكر
- شفت كان لابس ايه !!
- شيك جدا . . مش زى الصور اللي بتترسم له
- احنا يا سيد كنا مغمضين . . انت تعرف ايه عن العالم الخارجى . .
كل معلوماتك عن طريق الجرائد والمجلات والاذاعة . . وكلها مدغها
عمل غسيل مخ لك
- انا مش فاهم ايه احنا بالذات بلدنا مقفلة كده . . شوف عنا
مليون راى ومليون واحد يتكلم وكله بيتقول . . هل يعطلهم هذا . .
بالعكس جعلهم أكثر تقدما . .
- عملت لى الشنطة بتاعتي
- هات البطانية وأنا اعملها لك
- إما شفت حنة شنطة في الاوده . . رائعة . . من الفوط والبطاطين
ومنجدة بالخشب والقش
- يا جماعه حرام عليكم تقطعوا البطاطين بتاعة الخلق . . خلقى
عندكم اخلاق . . .
- انا شخصيا عملت من البطانية صديري ينفيني مش شنطة
- انت عندك ٤ شنط اعطينى واحدة
- العميد عبد العزيز طالب واحدة حبعتها له والباقي على قد مهماتي . . .
- صمم لى بادج أحطه على الشنطة . . بس ألوانه من الخيط اللي
في الفوطه دي

- أصوات من الخارج تملو .. في غناء ...
والنبي يامه .. قولى لابيويه .. يعينى ريال .. أو نصف ريال
.. اشترى ...

- آيه ده ... III

- شوف عاملين ازاي رابطين الفوط حول رؤوسهم وشايلين الرائد
بهاء وعمالين يزفوه ...

- أصله من الدفعة الاولى يا بخته ...

- تهريج .. فرحانين قوى .. والله اليهود بيضحكوا علينا .. بقى
ده رائد بالذمه لو واحد من اللي بيهللوا حواليه خدم معاه بعد كده
حيعمل آيه ...

- ياعم خلاص .. أنت فاكرفيه واحد من دول ينفخ يخدم فى الجيش
بعد كده مستحيل تفضلوا فى القوات المسلحة ...

- تحصل والله .. أنت عارفهم بيفكروا ازاي .. اذا كان سبوننا عنا
شوف قد آيه علشان ثلاثة جواسيس ولا أربعة .. الإردنبيون
مشيوا .. وأحنا كرامتنا لا تسمح بمبادلة خمسة الاف وخمسمائة
مصرى ... بثلاثة جواسيس ..

- الفطار يا سادة ..

- أفتح لنا علبتين فول ياهلال .. وعليه المربى خلصت أفتح واحدة
ثانية ..

- السخان خسر .. سخنهم فى الاوده ٤ سخانهم كويس ...

- اشتريت البطانية دى بكام ..

- بقاروصة ديوبترا ..

- آيه رأيك بطانية كويسة ...

- أنت عارف انها اسرائيلى .. اشتراها الصليب الاحمر من هنا ...

- فضل عندك كام عليه سجائر سويسرى ...

- ثلاثة .. ومجموع الباقي .. الحقيقة سجائر ممتازة بدلتها
بسجائر كيلوبترا ..

- الشمس طلعت .. آه الحمد لله .. خلى الطريق ينصف
ونسافر ...

- أنت عارف انى خايف أرجع ...

- انا كمان عندى الاحساس ده .. بس مش عارف ليه ..

- مش عارف اذا كنت حقدرا عيش هناك .. ام .. لا .. كيف
سيستقبلوننا فى مصر .. هل سيعاملوننا على اننا مصدر
خطر .. على اننا جواسيس ...

- أنا خائف من نفسي .. لقد أصبحت فئس .. يخيل لى أذنى
- سأكل حتى أموت من التخمة .. ولا السجاير .. ولا النسوان ..
- نرجع بس .. وبعد ذلك نموت نعيًا فى وسط أهالينا ..
- وسرحت .. ترى ماذا يحدث فى بلدنا حقا .. هل انضججتنا
- التجربة ؟؟ هل تخلصنا من عيوبنا ؟ .. هل هزتنا
- الهزيمة من جحورنا .. لابد وأن بذور التغيير قد نضجت ..
- بالتأكيد .. ما علينا الا المشاركة الان .. لابد وأن بذور التغيير
- قد نضجت .. لم يبق الا المشاركة ..
- آخر الاخبار يا حضرات .. ابتدأوا فى اصلاح الطريق .. والدفعة
- الاولى بعد يومين .. ثم الثانية والثالثة مباشرة ..
- من قال لك ..
- سمعت فى الاستجواب .. الاسماء قد جهزت .. وأنا فى الدفعة
- الثانية ..
- وأنا والنبي ..
- معرفش .. لم يقل لى غير ما قلته .. !!
- أول م حوصل .. ساجرى الى منزلنا ..
- لا ياعم هناك معسكر فى المعادى ينتظرک .. للاستقبال ..
- المعسكر فى الهاكستب .. قالوا لنا ..
- وما الذى ادراهم ..
- لا يخفى شىء عنهم .. تصور يقولوا انهم بيعملوا هناجر طيران
- فى الماظه وفى المقطم وعلى طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ..
- تفتكر متى سينتهون من اصلاح الطريق ..
- يومين ثلاثة ..
- انتم تصلحونه فى يومين ثلاثة .. اما هم فيصلحونه فى ساعتين
- ثلاثة .. فاكر مواسير المياه فى بئر سبع ..
- طيب يا سيدى يارب ..
- عايزين نلعب بارتيتة بوكر ..
- فى مصر بقى بالفلوس .. والله م حد حيشوفكم ..
- نبقى خايفين العيش والملح .. معقول الواحد ينسى الايام دى ..
- أو ينساكم ..
- نشرة الاخبار ..
- هو يارنج اللى حيحلها .. بس على الله م نجمدش مخنا ..

- المفروض أن قحل ٠٠٠ يكفى هذه السفين ٠٠ فهم لا يريدون
سيناء ١٥٠
- يقولوا حيعلوا دولة فلسطين من غزة والضفة الغربية ٠٠ ويتركوا
لها ممرا في وسط اسرائيل ٠٠ على شرط أن تكون منزوعة السلاح ٠٠
وممكن تدخل في اتحاد فيدرالي مع اسرائيل ٠٠٠
- لا اللي سمعته افهم عايزين يعملوا من الاردن واسرائيل ولبنان
اتحاد فيدرالي ودولة واحدة ٠٠٠
- وهل يرضى بهذا ٠٠ هل تستطيع أن ترفع رأسك ١٥٠
- بطلوا الانشأ دي اللي طلعت عنينا ٠٠ لا ترفع رأسك
ولا تنزلها ٠٠ السياسة مخ يا سيد ٠٠ م ودناش في داهية
الا الشعارات الجوفاء يتاعتكم دي ٠٠٠
- سامع الضحك ١٥٠
- في مسرح المراكيس ٠٠٠ تعال نتفرج ٠٠٠
- سامع الاغانى ٠٠٠
- يا امزراحي اعمل السندوتشات يقى ١٥٠ ها ١٥٠ ها ١٥٠ ها ١٥٠
- الليلة فيه حنة سهرة في الوده (١) ٠٠
- وهكذا كانت تمر الايام الاخيرة وللملاحظة اختلطات المواعيد ٠٠
فأصبح السهر طول الليل والنوم نهارا وقد يمر يوم أو يومان ولا ننام سوى
ساعات قليلة ٠٠ الارق ٠٠ الدخان أحلام اليقظة الخوف من قوى مجهولة ٠
- وكنا قد استوعبنا الدرس ٠٠٠ لقد كانت الحرب التي خضناها صعبة
اسرائيل ضوء احمر يضىء لنا ليشعرنا أننا نعيش في مجتمع متخلف حضاريا
وان الطرف الاخر استعمل أقصى الاشكال العلمية تطورا للقتال واهمها كان
التطبيق العلمي للحرب النفسية وهو السلاح الفاصل الذي انتصروا به في
حرب ١٩٦٧ ولقد طبقوه علينا نحن الاسرى أحسن تطبيق ٠
- وكان علينا أن نواجه العذاب ٠٠٠ لقد صبغونا بصورتهم وتركونا بين
اهالينا ٠٠ نشعر بأننا خوفة منفصلين مصبوغين نردد دعاية العدو ٠٠ وبين
ما تعلمناه طول حياتنا قبل الحرب وما أملى علينا كنا في صراع وتمزق وهو
الشكل الذي عدنا به الى وطننا ٠

الفصل الخامس

رحلة العودة

فقلت لكم الفصل السابق من مذكرات صديقنا كما هي تماما . . . واعتقد انكم ستلاحظون الفرق بين طريفته في كتابة ذلك الفصل وحواره معنا في الفصول السابقة . . .

لقد ظل على هذه النغمة العنيفة والحادة المقلثة بالكلمات المتضخمة عن الامبريالية والحرب الشعبية وما اخذ بالقوة لا يستقر الا بالقوة . . . وخيانة البرجوازية والصراعات الدموية . . . والبيروقراطية والكومبرادورية . . . كلمات لا اعرف من أين استعارها . . . والشيء الغريب أنه كتب هذا في تقرير عن التمييز الطبقي في القوات المسلحة واثره في الهزيمة العسكرية والتف حوله عديد من الافراد يقرأون ويتكلمون ويلعنون . . . وأصبح صديقا لعديد من الشبان المنتشرين في الجامعات يكتبون مجلات الحائط ويتجمعون في المدرجات ويصدرون المنشورات وينظمون المظاهرات ويستفزون كل من حولهم . . . بل كان يمكنك مشاهدته في مثل هذه الاجتماعات يرقب . . . ويتكلم . . . وفي بعض الاحيان ينفعل ويسخط . . . كان يرى أنه لابد وأن تقوم حرب شعبية تعب الجماهير . . . وتحركها . . . وكان يفتقد بكل شدة أي تهاون أو تراخ يراه حوله . . . حتى الطبيعي . . . ويثور . . . ويسب في بعض الاحيان لاسباب قد تكون تافهة . . . وأحبه كثيرون وتحاشاه كثيرون . . . حتى أكتوبر ٧٣ . . . زرته في منزله يوم السادس من أكتوبر . . . وجدته قابعا امام التلفزيون يراقب الاحداث بصمت . . . سألته عن رأيه . . . كان متحفزا . . . لا يستطيع أن يتحمس . . . ولا يستطيع أن يرفض ولكن بعد يومين كان ثائرا للغاية . . . لماذا . . . لماذا لم نندفع حتى المرات انها الحد الأدنى للدفاع . . . بغير الوصول اليها . . . لا يمكن الدفاع عن شريط رفيع من الارض . . . لقد فقدنا بذلك العمق الاستراتيجي . . . وبعد ذلك بأيام . . . رأيت هادئا . . . قال . . . لم نكن نستطيع فعلا أن نفعل أكثر مما كان . . . لقد كانت الديابات الامريكية تنزل من الطائرات مزودة بالقوى ومعمرة بالذخيرة ومستعدة للاشتباك ولو وسعت المسافة بين

الجيشين كان من الممكن استخدام الاسلحة النووية .. ثم لانت لهجته ..
وابتعد أو تباعد عن اصدقائه .. وغرق في تفكير عميق لعدة ايام .. ثم
قال .. معركتنا الان ان نعمل .. ان نتقدم .. ان نقطم .. ان نداوى
الجراح وفنطلق .. وشعرت انه كان بحاجة لانتصار حتى يتوازن نفسيا ..
وعندما توازن ابتدا يفكر بشكل متحضر .. لا يحبذ سفك الدماء
والدمير .. وانما يتطلع لمستقبل يبني فيه الوطن بجهد حقيقى لابنائه
لامتلاك لغة العصر وادواته الحضارية ...

اليوم سيرحلون .. اكيد .. لا شيء اكيد فالشهور التسعة الماضية
شككتهم في كل شيء .. ورغم ان كل الظواهر كانت تبشرهم بالعودة الا ان
شكهم كان اقوى .. ردت الامانات .. والسندوتشات أعدها امزراحي
وتفاصيل اعدادها عندهم اولا بأول لقد كان يقطع الخبز الى شرائح
وبالفرشاة المغووسة في المربي أو الجبن يطلى وجهها من وجهيها .. ومن
خلال راديو رد مع الامانات استمعوا الى اذاعة القاهرة .. كان جسده
يرتعش مع سماع الكلمات « هنا القاهرة » رغم البلوفر الجديد الذى أرسلته
له أمه والفانلة الصوف التى أرسلتها حكومته ..

وانحبست الدموع في عينيه كلما تذكر أنه بعد ايام سيكون طليقا في
شوارع مدينته وبين اهله .. يستمتع بدفء الشمس .. وسحر النيل ..
ويحاول حياته فيستطيع ان يذهب الى السينما أو المسرح أو الكازينوهات
واستكثر على نفسه كل هذه السعادة .. حمام دافئ .. واكل نظيف .. وسرير
منظم له وحده .. ترى هل سيرجعون .. مستحيل لماذا كل هذا العذاب ..
ولماذا تركتموهم كل هذا الزمن .. الوجوه حوله متوتره .. ابتسامات ..
ضحكات يشوبها القلق والترقب .. الخوف من الجهول. اصبح طابعا لجميع
تصرفاتهم .. لو حدث اى عامل جديد يغير الموقف .. كان يسد الطريق
أو تندلع الحرب .. أو يختلفوا فلن يتحمسوا الموقف .. يجتمعون
بطاطينهم .. واوانيهم لتسليمها .. يعدون شئطهم .. لقد أصبح لديهم
حصيلة من الممتلكات سواء ما وصلهم عن طريق الصليب الاحمر أو ما اعتبروه
ملكا لهم .. الاسرائيليون يبتسمون يردون عليهم الابتسامة بمثلها .. قامت
بينهم عشرة طويلة الرائد صفوت يسلمه لفانلة بها بيانات مفصلة
عما حدث .. عدد مرات الاستجواب .. المحاضرات التى القيت سلوكيات
الافراد .. خاف ان يحملها فيفتشوه ويحصلوا عليها ..

يضيعون الوقت بالحركة .. يدخلون بشراة .. لا يأكلون .. الجو
جميل اشعة الشمس رائعة تحتفل بهم .. اغانى ام كلثوم .. على بلد
المحبوب ودينى .. يحاولون ان يلعبوا كوتشينه .. لا يستطيعون ..

— أحدهم يسأل ... مستعد تحاربهم ثاني ...

— معرفش ... جليز ... لا ... معرفش ...

يجل الظلام ... انه أطول يوم في عمرهم ... يبتسم عندما يتصور أن
يوماً من عمره القصير المحود يرجوه أن يتحسرك وينتهي ويتفلسف
متسائلاً ... ترى كم يوماً من عمره قضاء في الانتظار وتمنى أن ينتهى !!
ترى هل سيعيش بعد ذلك أياماً يرجوها أن تبطىء في سيرها وهل سيستطيع
تعويض هذا اليوم الذى مل انتظار نهايته ... وتشرذ أفكاره ... فلم يعد
يستطيع أن يقودها ... هل هناك يوم حلو ... ويوم مر ... وما المقياس ...
وما هى السعادة ... أين هى ... متى ... وكيف ... هل رجوعه لوطنه
هو السعادة ... أم هروبه بعيداً عن رعب الموت ورعب الخذل والسجن
والقرف وقسوة الحياة ... ترى كيف سيستقبلونه؟؟ هل القسوة والاهل
والمنازل والاطفال والحداثق والشوارع والحياة بنفس الشكل الذى تركها
عليه؟؟ مستحيل بعد حرب انهزم فيها الجيش الذى لا يقهر واهتز الزعيم
الذى لم يهتز أبداً أن تبقى الأشياء كما هى ... هل واجه الشعب نفسه؟
هل تغيرت المقاييس أو على الأقل بذرت بذرة التغيير؟؟ كيف تلقوا ذباً
الهزيمة؟؟ ما الذى دفعهم للخروج يوم ٩ ، ١٠ يونيو؟؟ هل غيرتهم
التجربة؟؟ هل لا يزال الفلاحون يبثرون الحب ولا يكثرثون بما يدور
حولهم؟ ماذا يقال لهم؟ وما تفسيراتهم؟ أى الافلام فى دور السينما؟ هل
استعاد مجلس الامة سلطاته التى قدمها هدية؟؟ الجيش!! أين هو الان؟
هل استعوض سلاحه؟ وهل يتم تدريبيه؟ هل مازالوا يطلقون البروجى
للواء عند دخوله المعسكر وترفرف الاعلام فى مقدمة عربته؟؟ هل تغيرت
الوجوه؟ هل سيقابلونهم بالترحاب أم بالحذر والخوف؟ كان يتجول فى
حجرات المعسكر بدون هدف ... بعضهم كتب شعارات الثار على الحوائط ...
عائدون لفلسطين ... لن ننسى شهدائنا ...

الظلام يحل ... لم يعد انذاراً بدخول العتسش ... أصبح ابذانا
بالرحيل ... جبل الكرمل فى قمة جمالة ... الاشعة الحمراء والبرتقالية
والصفراء الناتجة عن الغروب تلتقى ظللاً طويلة عليه ... والمصابيح الصغيرة
المتناثرة قتلاً فى وسط خضرة زيتونية رائعة ... نسمة هواء باردة
منعشة ...

ينادون عليهم يتجمعون فى صفوف كل منهم يتسلم بطاقة يتجه
الطابور عبر المطرقات الضيقة يهرون على معسكرات مهجورة كانت مكان
الجنود تصدر منها روائح كريهة ناتجة من طفح المجارى وتكوم الزباله
الضباط يتدافعون لتكون لهم اولوية النحول للاتوبيس المتدافعون يدخلونهم

لآخر الاتوبيس يركب صديقنا آخر الضباط يجلس في أول كرسي . . . نفس
 المكان الذى حضر فيه الى بئر سبع . شعور مكبوت لا يستطيع تحديده . . .
 الستائر تسدل . . . ولكن من فتحة صغيرة يستطيع ان يشاهد عربة جيب
 فوقها لبة تنبيه زرقاء تجرى بجوارهم وحذائهم . . . ثم تسرع لتسبيحهم
 وتبطلء ليسبقوها قول الاتوبيسات يتحرك . . . ما هم فى طريقهم الى وطنهم
 الحارس فقد توتره . . . يشرب خمرا من زجاجة صغيرة ويقضم سنخوتشا . . .
 يتكلم كلاما غير مفهوم رغم انه باللغة العربية عن معاملة اليهود ورأيهم فى
 الحرب ومتى سيعيشون فى سلام . . . وأنه يريد أن يترك السلاح ويرقص . . .
 أصبحوا فى غزة . . . الشوارع خالية . . . يقوم بالحراسة فى نقط المرور فتاة
 حلوة . . . ترتدى زيها بأناقة وتحمل السلاح . . . اثار الهدم واضحة
 على المنازل . . . خان يونس . . . رفع . . . مبنى أشرف على اقامته يشد انتباهه
 وحدة صحية سابقا . . . أصيحت ثكنة عسكرية مرفوع عليها العلم
 الاسرائيلى . . . نوافذه مكسرة . . . يشعر كما لو كان قد ترك فى الاسر
 أبنا له . . . الاتوبيس يمر سريعا . . . طالما عبروا هذا الطريق محملين
 ببضائع غزة . . . الشيخ زويد لديه ابن آخر هنا يبحث عنه حتى يجده وحدة
 صحية اخرى لم يتمها . . . وها هى مكتملة . . . ولكنها محبوسة . . .
 العريش . . . عاش فيها لمد طويل فى خدائة تخرجه . . . كان مهندسا للاسكان
 والمرافق بها . . . وله أبناء كثيرون وتوقفوا أمام واحد منهم مدرسة
 الصناعات . . . نزلوا من العربات لقضاء حاجتهم أخيرا فتركها فى
 سيناء . . . وكلمته الارض . . . وكلمه المبنى . . . كانوا يبكون . . . استنجدوا
 به . . . ودار بينه وبينهم حديث طويل . . . حديث عن ومن الارض
 المحبوسة . . . وود لو بقى . . . وود لو عاد مهندسا يبني ويخطط ويعمر . . .
 ولكن صوت الحارس كان أعلى من صوت الارض . . . كان عليه أن يغادرها . . .
 على أمل . . . وظهر الفجر وهم يسيرون على طريق العريش - القاهرة
 اطلت الشمس من بين النخيل . . . طالما اطلت عليه فى عربته العسكرية اثناء
 المناورات . . . أو عربة الاسكان وهو يخطط لبناء جديد . . . كان يجب أن يراها
 دائما من هذا المكان . . . وكان يود دائما أن يرقد لآخر عمره على الرمال
 البيضاء الشديدة البياض بشباطم العريش . . . تحت نخلة . . . ترعى حوله
 الماعز فى سلام . . . انتهى آخر ليل يقضيه فى الاسر . . . وشعر بانقباض
 ترى هل هم متجهون فعلا للقاهرة أم سينقلونهم لعسكر آخر . . . وهمه هذا
 الخاطر حتى أنه لم يودع أبنا آخر له فى بئر العبد حيث كان يشترى
 السمك البورى المشوى والسمان . . . الاعراب يلوحون لهم . . . وهو
 لا يستطيع أن يقف ليفاصلهم فى ثمن البورى والبيض والسمان . . . الاعراب

يشيرون الى أفواههم .. جيع .. ترى من أين يأكسون .. وكيف يتكسبون من قوات الاحتلال .. المثلث .. من هنا الطريق للقنطرة يسرفه جيدا .. هنا كشك المرور .. ولكن لا وجود له الآن .. للتحصينات العسكرية تملأ المنطقة .. ما هم قدم وصلوا القنطرة .. هذا الطريق يوصل الى الجمرک .. أو ما كان جمرکا .. هنا كانوا يضعون أيديهم على قلوبهم حوما من المغالة في الجمارک .. والان تدق قلوبهم فبلدهم على بعد خطوات العربات تقف في قول واحدة خلف الأخرى .. والحراس يلتقطون الصور التذكارية .. هنا القاهرة .. « الناس والشتاء » ويستمعون بشغف للبرنامج رجل عجوز من أهل القنطرة يركب حمارا ويضع على ساعده علامة رجال الامن .. عجوز يريد أن يأكل .. العربات تتحرك وتعود بالاسرى اليهود .. واحدا في كل عربة .. شعرة طويل .. ذقنة كثيفة ..

وتذكر عندما سأل مسكرتير حزب المباى عن عدد الاسرى اليهود فقال سترونهم عندما يتم التبادل وتعرفون أنهم لم يتجاوزوا العشرين .. العربية تقترب من المعديه .. مبنى الجمرک تحول الى مركز قيادة مرفوع عليه العلم الاسرائيلى ويتحرك منه واليه عدد من الجنود والمجنذات الاسرائيليات .. ثم تستدير العربية لتقف .. لا يصدق نفسه الشاطىء الاخرها هو واضح .. لا يصدق .. جمهور من مصورى التليفزيون والمصورين الصحفيين يلتقطون لهم الصور .. يزم شفتيه يتماسك من أجل المصورين .. لنش من عينة القناة يقوده مصريون .. يخطو داخل النفس .. لا يستطيع أن ينظر خلفه .. صيحات التهليل والسلامات من اليهود مع السلامة مع السلامة .. شالوم .. يجلس على دكة في مواجهة شاطنا كلما كان قريبا من شاطىء مصر كلما كان أفضل .. مازال متماسكا .. زاما شفتيه .. الارض المصرية تحت قدميه .. جنود بملابس الشرطة العسكرية المصرية .. لواء مصرى سمين يقف لتحييتهم .. الحمد لله على السلامة .. كيس به سخوتشات .. عليه سجاثر زجاجة كوكاكولا .. أهلا .. ما أسمك .. يبكي بشدة لا يستطيع أن يمنع دموعه .. انهار التماسك التمثيلى .. يبكي على حضن أمه .. هنا يستطيع البكاء .. ولاول مرة .. أحدهم يربت على كتفه .. مملش .. يبكى ..

أحدهم يسأله .. ماذا تريد .. ؟

- أريد نظارتى ..

- أين هى ..

- أخذها اليهود منى يوم قبض على .. آ

وحتى الان مازال صديقنا يبكي كلما قص علينا هذا الموقف لقد اهدته
عائلته عشرات النظارات واشترى عشرات اخرى على احدث طراز . . ولكنه
كلما تذكر نظارته يبكي . . . لقد كان دائما يعتبرها الشيء الشخصي الذي
سرق منه ولم يستطع ان يدافع عنه . . . حتى ولو بكلمة احتجاج . . كان
يردد دائما ان اقسى درجات المهانة ان يغتصب شخص ما اشياءك امامك
ولا تستطيع الاحتجاج سواء كان هذا الشخص عدوك . . او من بنى وطنك
. . او غريباً وحتى الان مازال يستفزه جدا لو مد اى شخص يده الى شيء
يخصه واخذه دون اذنه حتى ولو كانت سيجارة من علبته

ركبوا اتوبيسا آخر في طريقهم الى القاهرة . . كان يرافقتهم رائد بحرى
. . وامطره زملاؤه بأسئلتهم . . اما هو فقد كان يبكي . .
. . . . كيف حال الجيش . .

- عال عظيم

- دموع . . دموع

- ما قصة الباخرة ايلات

- دموع . . دموع . . القاهرة . 6 كيلو متر

- ردت لنا ثقتنا زوارق الطوربيد . .

- دموع . . دموع . . القاهرة . 5 كيلو متر

- كيف كنا سنفتصر . . هل هذا معقول

دموع دموع . . القاهرة 20 كيلو متر

وتظهر مشارف القاهرة . . المصانع . . المطار . . الطريق للكلية الحربية

- الى أين .

- الى الكلية الحربية ستقضون بعض الوقت هناك .

- كثيرا .

- لا من أجل الحجر الصقى فقط . . .

وهكذا وصلوا الكلية الحربية . . وقضت المخابرات الاسرائيلية الكرة
الى المخابرات المصرية مجموعة من الرجال المزعجين اجريرت عليهم
تجارت الحرب النفسية الحديثة القت فيها المخابرات الاسرائيلية بكل
ثقلها في معالجتهم ووثقت مما فعلت . .

وابتدا الجانب الاخر يتعامل بحذر مع طرد المتفجرات القادمة له من
الشاطئ البعيد

الكلية الحربية من الباب الخلفى .. ضباط من دفعات الاسرى السابقين
يجلسون يستمتعون بالشمس ...

فرقه موسيقى الجيش تقف في الفناء في مواجهة المبنى تعزف
« يا حبايب بالسلامة .. رحتم ورجعتم لنا بالسلامة ... »
« الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر فوق كيد المعتدى »
« بلادى .. بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى »
الدموع لازالت تملأ عينيه .. جسده يهتز بشدة .. يشعر بالقشعريرة ..
... تفضلوا يا حضرات .. فوق من فضلكم .. الحمد لله على السلامة ..
... تفضلوا يا حضرات فوق
... تفضلوا يا حضرات
... تفضلوا

عندما حضر صديقنا للعلاج بالمستشفى لأول مرة .. تعاملنا معه كحالة
خاصة جدا .. كان هادئا منطويا على نفسه .. يرفض الخروج من المستشفى
حتى ولو لنزعة قصيرة .. كان يتكلم عن الوحوش بالخارج فى الاتوبيس
والشارع والمنزل والعمل .. وكان لا يقبل العلاج .. فلقد اكتشفنا بعد مدة
انه لا يتناول الاقراص المهدئة الا قليلا .. عندما ناقشته فى ذلك .. كان
رده انه ليس مريضا بل نحن المرضى لاننا لا نستطيع ان نرى ما يراه
الاعمى بوضوح .. القيادة لم تتغير حتى القيادة التكتيكية .. ولازالت
تخبط بنفس الدرجة .. والتعليمات المهزوزة والمتردة لازالت .. ونحن
نتحرك نحو كارثة لا يستطيع ان يشارك فيها على الاطلاق .. وفى نفس
الوقت لا يستطيع ان يقاومها لذلك فهو يفضل ان يبقى بين المجانين فى مستشفى
عن ان يعاشر هؤلاء الخطيرين المطلق سراحم أعداء أنفسهم وأعداء البشر ...

وكان لا يفعل شيئا الا الاسترخاء والقراءة والاستماع للموسيقى
وفى بعض الاحيان الحديث مع المرضى باهتمام شديد ...
ولقد قمنا بعلاجه بطريقة حديثة كانت تطبق لأول مرة بالقوات المسلحة
.. وهى طريقة المجموعة .. أى تجميع عدد من المرضى ثم ادارة حوارات
منظمة بينهم وتصحيح الاتجاهات الفكرية وتنمية رغبتهم فى الحياة بزرع
الامل والحب والاهتمام بالآخرين ليحصدوا حبا واهتماما .. وتحسن وعاد
الى عمله فى وحدة جديدة من الوحدات التى انشئت بالقوات المسلحة
من المتعلمين وخريجي الجامعات .. كان سعيدا بوحدته الجديدة .. وكان
يقول لأول مرة أقف امام طاير لا يوجد به أمى واحد .. وكان قائد وحدته
الجديدة حكيمًا .. عندما تقابلا لأول مرة فاجأة صديقنا بأنه لن يعميل ...

ولن يشارك في جرائم قتل الأبرياء عن طريق قيادة ممزقة . . . فطلب منه الآخر أن يبقى في حجرته ويكتفى بمساعدته في إرشاد هؤلاء الصغار قليلى الخبرة حتى يصلب عودهم . . . فقط الإرشاد . . . استخدمه كاستشارى . . . وبمرور الوقت اندمج في الحياة الجديدة ووجد صدق لجهده . . . كان يحاول أن يصبى في رجاله كل خبرته السابقة وأعطى لوحده كل وقته وجهده . . . والتف حوله الشباب . . . كانوا يحبونه ويحترمونه الى درجة كبيرة . . . وتكونت حاجة وارفة الظلال داخل صحراء حياته . . . خاف عليها ودافع عنها بكل قوته . . . حتى كان يوم . . . صدرت الأوامر فيها للجيش بالانتشار وسط المدنيين وفي الشوارع والحقول وانتكست حالة صديقنا . . . أصيب بالرعب كان يقول أن القيادة لا تدرى ماذا تفعل وسيغرقون جزيرتى في بحرهم الفاسد . . . وعاد إلينا في المستشفى أكثر ثورة وتوترا كان يقول هل فقدت مصر كل رجالها الأكفاء . . . ألا يوجد إلا هذا ليصبح وزيراً للحربية وقائدا للقوات المسلحة كان يحمل بغضا متزايدا لقيادته وعدم ثقة في مقدرتهم . . . وبالتالي لم يكن أمامنا إلا عرضه على القومسيون الطيبى . . . في ذلك اليوم دخل علينا متوترا للغاية كانت كفاء تنضحان عرقا غزيرا . . . وكان قلبه يدق بسرعة . . . وعيناه غير مستقرتين تماما . . . وكان لا يزال يتكلم عن الوحوش والغابة بكلمات غير مترابطة وكان يقص علينا أحلاما كابوسية عن الطوفان والزلازل والبراكين . . . وقرر الأطباء عدم صلاحيته للخدمة العسكرية لاصابته بعصاب حرب مزمن . . . ثم أحيل الى المعاش بعد ذلك بإيام ٢٠٠٠

تدافعوا الى الحنبر الطويل المرصوص به أسرة ذات دورين . . . على كل سرير بيجاما وأوفرول . . . وغيار داخلى . . . وزجاجة كوكولونيا . . . وعدة خبلاعة . . . وعلبه سجائر صغيرة . . .

وطلب منهم خلع ملابسهم وارتداء الملابس الجديدة وبسرعة تمهيدا لحضور مؤتمر مع السيد اللواء صادق مدير المخابرات الحربية . . .

وكان أخذ الضباط يتحرك بينهم يسألهم هل مع احكم نقود كثيرة . . . وبالطبع اجاب بان معه مائتا جنيه تخص كائنين الوحدة استطاع الاحتفاظ بها فطلب منه الاحتفاظ بها حتى يمر عليه بمكتبه لتسليمها . . .

ذهبوا الى مكان المؤتمر خيمة كبيرة بها مناضد وكراسى ودكك وفي نهايتها مكتبة وبيك آب واسنطوانات وسماعات . . . القاعة مضاءة اضاءة قوية ويقف في صدرها امام الميكرفون لواء طويل أصلع يتكلم . . .

— اتفضلوا . . . الحمد لله على سلامتكم . . .

— مساء الخير يا حضرات . . . الحمد لله على سلامتكم . . . كنا في شوق اليكم وكنا نتمنى أن تكونوا بيننا من مدة طويلة . . . الأوراق التى امام سيادتكم

نحن آسنون بطلب كتابتها بسرعة .. ولكن عندما تقرأونها ستعرفون مدى أهميتها وستقدرون سبب سرعة طلبها .. أرجو أن تملأوها بعناية شديدة ودقة .. بكل ما لديكم من وطنية .. بكل ما لديكم من حب لبلدكم نرجو ان تكتب بصراحة مطلقة لكي يمكن الاستفادة منها .. اكتب كل شيء .. لا تترك شيئاً .. لأن نحاسبكم على أي تصرف مادتم تكتبونه في هذه الورقات خلص نفسك .. وامسح جميع أخطائك .. بالكتابة بصراحة ..

أوامر السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربية بالألا يحاسب احدكم على ما فعل مهما كان مادام قد أدلى بمعلوماته في استمارة البيانات .. أرجوكم لا تتركوا شيئاً .. سوف نملأ الاستمارة الان لكي تكون الوقائع لازالت ماثلة في أذهانكم .. كلما انتهينا سريعا كلما كان في مقدورنا أن نسمح لكم بالخروج والعودة لمنازلكم ان شاء الله .. نقرأ البيانات مع بعض ..

الاسم : بالطبع اسم سيادتك تكتبه في الخانة الفارغة أمامه السن : الرئيسية شك العنوان .. بالطبع عنوانك هنا في مصر او في البلد التي حقتضى فيها أجازتك .. المهنة إذا كنت سيادتك احتياط او لك شغل آخر ..

باقي البيانات .. وحدثك .. بالطبع قبل الاسر .. انا بتكلم وانتم بتكتبوا .. معنا ..

بيانات عن الاسر : متى ؟ أين ؟ كيف ؟

بيانات عن التصرفات : من حاول الهروب .. من تعاون مع العدو .. هي مش فئة يا سادة او عمل لا أخلاقي أن تقول ولكن المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار تاكدوا يا حضرات اننا لن نحاسب ايا منكم على ما حدث هناك .. كل منكم يتكلم بصراحة .. نحن نعلم انكم كنتم بين أيدي العدو .. وكان من الممكن ان تفعلوا اي شيء ولذلك نرجوكم الكلام بصراحة ..

أي ملاحظات لك اثناء رحلة العودة : اكتب في الخانة القادمة أي معلومات تحب أن تكتبها يوجد ورق اضافي فارغ لتكتب فيه إذا لم يكن الورق كافيا نرجو الا تهمل أي شيء مهما كان صغيرا .. كل شيء سنستفيد به خلاص .. كل واحد من فضلكم يحضر لنا الورقة هنا .. لا تخرجوا يا حضرات سنردش قليلا .. عشر دقائق .. احضرنا لكم فيلما ظريفا ستشاهدونه في الصالة السفلية .. اما العشاء وتناول الطعام فسيكون في هذه الصالة .. احنا هنا رجالة بلدكم .. وبفعل لصلحتكم ولحمائيتكم وكما قلت من قبل لن يحاسب اي فرد على اي عمل بدر منه في الاسر الورق هنا يا حضرات .. اتفضلوا .. خلاص كل الورق موجود هنا .. نتكلم في موضوعنا الان .. ثانيا ..

الحمد لله على السلامة .. البلاد كلها مصر .. الجيش .. السيد الرئيس
 والسيد الفريق يهنئونكم بسلامة الوصول وان شاء الله بعد ما تستريحون
 قليلا سيحضر سيادة الفريق فوزى للقائكم نحن نعلم جميعا اننا قد خرجنا
 من نكسة وهزيمة عسكرية لكن الحمد لله الشعب في الداخل والجيش على
 الحدود اخذا موقفا صلبا ومنعا الهزيمة من ان تصل الى اهدافها .. العدوان
 كان موجها للحكم اساسا وبالتالي في عدم سقوطه عدم تحقيق لهدف العدوان
 .. اعرف انكم لديكم اسئلة كثيرة وانهم قالوا لكم معلومات كثيرة عن الفوضى
 بالداخل والانهيار الاقتصادي والحمد لله انتم شفتهم خلال حضوركم ان
 الجيش صامد يحتل مكانه والحقيقة ان هناك رخاء اقتصاديا بعد الدعم العربي
 لمؤتمر الخرطوم .

كيلو اللخمة النهاردة بستين قرشا . وجايز بخمسة وخمسين ومتوفر
 في السوق ... حقيقى بعد النكسة مباشرة زادت الاسعار قليلا .. ولكنها
 عادت لما قبل يونيو ٦٧ .. والحمد لله حققنا الصمود العسكري واظنكم
 تعرفون قصة المدمرة ايلات .. بعد العدوان مباشرة كما قال سيادة الرئيس
 كان الطريق مفتوحا للقاهرة .. لا يوجد جندي واحد قادر على الحرب ..
 اليوم الحمد لله الجيش صامد .. وكل ما نرجوه ان تتعاونوا معنا . الجهاز
 تغير .. الجيش تغير .. القيادات اصبحت اصلب سيادة الفريق فوزى
 سيادة الفريق عبد المنعم رياض وقيادته التي تكلم عنها العدو قبل الصديق
 في الاردن .. الغلطات القديمة تم اصلاحها وحدثت تغيرات كثيرة ان شاء
 الله سوف ترونها عندما تعودون الى وحدتكم .. لا اريد ان اثقل عليكم ..
 ويمكنكم ان تسالوا اى اسئلة .. لا تخافوا .. ها اتفضلوا .. ايه مفيش
 اسئلة ؟ ..

.. .. .

- المشير انتحر .. اخذ مواد سامة .. والنائب العام قرر انه
 لا يوجد فعل جنائى

.. .. .

- كانت هناك مؤامرة فعلا بعض الضباط رجعوا من سيناء خافوا
 من المحاكمة وهم امام محكمة عسكرية عادلة ...

- الاسرى فعلا اليهود اقل من عشرين .. لا .. لا .. لم نأسر اواءا
 كاملا كانوا من الضفادع البشرية وبعض الطيارين .

- أيوه ضربوا الزيتيه .. والآن هناك تهجير لاهالى مدن القتال ..

- الجماهير خرجت تنادى ببقاء الرئيس يوم ٩ و ١٠ يونيو ..
 أيام خالدة ..

- لن يحدث لكم أى شيء .. لن يفصل أى أسير .. وستعودون بعد
 إجراءات بسيطة .. كلما تعاونتم معنا كان ذلك أسرع ..
 بالمناسبة وفد منكم سيزور مقابر الشهداء .. باكر .. استريحوا ..
 نحن فى خدمتكم لا مقابلات مع المدنيين وأرجو الا تخرجونا ...
 كل واحد له عشرة جنبيات من التأمينات هدية من السيد حسين الشافعى
 نحن اخوانكم حاولوا مساعدتنا ..

- توجد ترتيبات للمحافظة على الطيران ولن يتكرر ما حدث ثانية ..

- القيادة كانت مهزوزة وحدث ارتباك لها ..

- اليوم أحسن بالطبع .. لا .. لا .. لا تخافوا .. زملاء لكم يقومون
 بواجبهم على الحدود بمجهود فوق طاقة البشر ..

- نعم كل ساعة طائرة محملة بالسلاح فعلا .. لقد كان موقف
 الاتحاد السوفيتى مشرفا ..

- لم تضربنا الطائرات الامريكية ولكنهم كانوا مستعدين لدخول
 الحرب لو انتصرنا تصبحوا على خير ... أيوه البقرول زى ما هو سنأخذ
 ثمنه لنشتري به سلاحا ..
- كل الدول العربية موقفها مشرف .. تصبحوا على خير .. الحمد لله
 على السلامة عارفين انكم تعبقم .. وصلتنا اخباركم .. اعمال عظيمة
 حقا .. كلنا فخورون بموقفكم هناك .. حاضر .. حاضر .. تصبحوا على
 خير .. العشاء بعد نصف ساعة .. تقدرنا سيادتكم تتفضلوا ..
 كان صديقنا يراقب بالدمعاش .. لم يكن قد استوعب بعد انه لم يعد
 فى عتليت .. ولم يفهم لماذا العجلة الشديدة لهذا المؤتمر .. كان يشعر بأن
 هناك شيئا غامضا فى البطء الشديد الذى تكلم به اللواء فى بدايه الحديث

ثم السرعة الغربية التي كان يرد بها في نهاية الحديث هل تعرف احساسك عندما تقف امام حاوي يخرج الارانب والحمام من اماكن فارغة او لا يمكن تصديقها .. ولكنك امام الحمام الذي يطير لا تستطيع تكذيبه وفي نفس الوقت تشعر انه قد ضحك عليك كان هذا شعوره .. ولم يهدأ الا بعد ان عرف السبب عندما عاد الى العنبر الذي ترك فيه اشياءه البسيطة فوجد انهم قد فتشوا كل شئهم وأخذوا ما بها .. بداية غريبة لعدم الثقة .. تركت لديه شعورا بالمرارة والرغبة في عدم التعاون مع هذه الاجهزة البوليسية التي لازالت لا تحترم أبسط حقوق الانسان وأدميته .. وتآروا جميعا .. شعروا بالمهانة لقد استولوا على خطاباتهم وسجائرتهم .. أدوات الحلاقة .. الملابس .. الاحذية .. حتى السجاير السوبرى التي اهداها لهم الصليب الاحمر وسجاير الكليوباترا .. بعد ان دبروا الهاءم في هذا المؤتمر واستسلموا اهكذا المخابرات في اى مكان ؟؟؟

وانتشروا في المعسكر يكتشفونه .. بعضهم عرف ان الفيلم الذى سيعرضونه هو السمان والخريف .. وآخرون اكتشفوا انهم قد اعدوا لهم تليفونا للاتصال باهلهم واحدهم جاء يحمل قصة غريبة .. لقد وقف الدكتور قدرى يصلى جماعة .. وفجأة بدلا من ان يركع وقف يخاطب ربنا .. ليه كده يا ظالم !! .. هو ده عدلك اأ واخذ يهدى بكلام غريب حتى نقلوه للمستشفى .. وخاف كل منهم على نفسه ان يفقد عقله وابتدأوا بنصخون بعضهم بعضا لا تنضب الدنيا لا تستحق .. لقد انهينا أصعب مرحلة .. الحمد لله .. كان من الممكن ان تموت في اى مرحلة من المراحل السابقة ..

وقف احدهم يتكلم مع أسرته من خلال التليفون .. كان منفعلا الى درجة كبيرة وهو يخاطب الطرف الاخر ..

- أنا ياستى جوزك ورجعت

-

- ايه نسيتينى ولا ايه ا!

-

- مش متجوزة يعنى ايه ا! امال أنا ايه .. ا

-

ياستى أنا رجعت مصر .. أنا بكلمك من مصر ..

ثم التفت باستسلام للآخرين وقال .. تصوروا قفلت التليفون فى وشى وضج الجفيع بالضحك وقف خجلا يرجوهم ان يسمحوا له بمحاولة أخرى .. لعلها تتصور انه يعاكسها ..

- الو . أنت قفلت ليه . . أنا جوزك ورجعت .

.. . . .

- رجعت من الاسر . . أنا في الكلية الخربية . .

.. . . .

- نمرة كام . . ؟؟

.. . . .

- ياسقى دى نمرة بيتى . . هم غيروها ولا أيه !!

.. . . .

- أزاى نمرة بيتكم من خمس سنين . .

.. . . .

- طيب متأسف . . .

وقف بجوار الحائط يفكر . . ثم صاح . . آه . . لها حق . . تصوروا

نسيت نمرة بيتى

قرب نهاية فترة الاسر تبادل الاصدقاء ارقام تليفوناتهم . . وخاف هذا الصديق لحرصه على نفسه واسرته أن تقع هذه الارقام في ايدى الاسرائيليين . . فتغلب عقله الباطن على عقله الواعى بأن غشه واعطاء رقما خاطئا . . حتى اذا وقع هذا الرقم في ايدى عدوه نجا هو . . وظل محتفظا بهذا الرقم في ذاكرته متخيلا أنه الرقم الصحيح حتى أنكرته زوجته . . وقد يكون خوفه من مقابلة عائلته بشخصيته الممزقة الجديدة هو السبب في أنه اخطأ رقم تليفون منزله . .

ذهب صديقنا لمشاهدة « السمان والخريف » منذ مدة لم يشاهد فيلما ناطقا باللغة العربية حتى قبل الحرب . . قصة الفيلم تشد انتباهه لها . . فالتمزق الذى يعيشه بطل الفيلم هو نفسه تمزقه . . ووحل ما قبل الثورة هو نفسه الوحل الذى عاد منه . . يبكى . . الحرب التى في نهاية الفيلم تترك شعورا بعدم الراحة لديهم . . بعضهم لا يفهم الرمز في الفيلم بعودة بطله الى تمثال سعد زغلول . . ينفعل يفسر لهم تمثال سعد رمزا لنقاء الوفد وثوريته . . وهو يعود له دائما عندما يشعر بالتمزق او التناقض . . ليستمد منه العزاء . .

- آه زى الرمز اللى خرج من اجله شعب ٩ و ١٠ يونيو رافضا

الهزيمة .

- تمام . . .

وضع الاكل على بوفيه العشاء بكميات كبيرة جدا ٠٠ لحوم ٠٠ فراخ
٠٠ كشك ٠٠ أرز بالكبد والكلاوى ٠٠ ومطبوخ بشكل جيد ٠٠ كانوا جوعى
منذ تسعة أشهر ٠٠ أكلوا بشراهة مرعبة ٠٠ كان كل منهم يود لو كان لديه
أكثر من قم وأكثر من معدة ٠٠ علق احدهم فى النهاية ٠٠ أجمل ما فى هذا
العشاء ٠٠ اننى لن أغسل الاوعيه بعد ذلك ٠

هكذا انتهى يوم رحلة العودة ٠٠ راوا فجره فى مخرج
أو مدخل العريش تظهر شمس من بين النخيل الكثيف تشهد
الى متى يظل الانسان دائبا على ظلم أخيه الانسان يقتله ويسجنه
ويعذبه وينفيه ويدمره ٠٠ ٩٩ ٠٠ وأنهوا ليله فى معسكرات الكلية الحربية ياكلون
بشراهة منقطة النظير اكلا معدا بصورة جيدة وبكميات كبيرة ومتنوعه ٠٠
والاهم أنهم لن يغسلوا الاوانى بعد الطعام ولن يتم عليهم الجنود الاسرائيليون
ويقلوا عليهم الابواب بالاقفال ولن يستيقظوا باكرا على صوت المذيعة
الاسرائيلية الساعة شيش بمعنى الساعة السادسة ٠

الفصل السادس

مصر

لقد كانت فترة الحضارة التي قضاهما أصدقائنا في الكلية الحربية فترة لازمة وضرورية لعمل نقلة موضوعية لهم .. والا خرجوا للعالم كالوحوش ورغم ذلك فلقد اكتسب صديقنا بعض العادات التي مازالت تصاحبه حتى الان .. فهو لا يتحرك أبدا إلا ومعه أكثر من علبة سجائر ولا يعتبر نفسه قد تناول طعاما ان لم يحتو على كميات غير طبيعية من اللحوم .. ولا يستطيع ان يقاوم زجاجة مياه مثلجة ومغبشة من فعل الرطوبة خاصة لو كانت برتقالا أو ليمونا .. وهكذا حياتنا جميعا اغلب عاداتنا اكتسبناها في ظروف ومناسبات قد لا نذكرها .. وأثرت هذه العادات على شكله وسلوكه وعلاقته بالعالم فصديقنا الذي كان رياضيا لا يزيد وزنه عن الستين أبدا .. أصبح نتيجة لشهره انسانا سمينا ذا كرش مترهل ووزنه يزيد على الثمانين .. أكثر غرابة علاقاته بالجنس الاخر .. علاقة حسية شرهة لا تمل التغيير والتبديل أبدا .. كذلك لم يعد يستقر في عمل فهو دائما قلق متوترا متعجل .. ترى عيناه العيوب بسرعة شديدة فيحتاج ويقاوم بضراوة لا تتناسب مع الموقف ..

لقد أصبح صديقنا خطرا فلهذه الامكانيات والذكاء والامانة والتحمس والانسانية والخلق الذي يجعله جذابا لعدد من البشر وفي نفس الوقت كان حادا مدمرا بشكل غير انساني لمن يخالف وجهة نظره ورأيه وقيمه .. والعالم لا يحتمل الابيض والاسود الان وانما هو مجموعة من الرماديات المختلفة .. لذلك فلقد كان مثارا لدهشه المتعاملين معه احدهم اطلقت عليه لقب مصاص الدماء .. وآخرون كانوا يقولون انه مرعب .. شديد الجاذبية .. شديد الخطر ..

يا صباح مصر .. يا صباح مصر .. الحمد لله على السلامة ياسادة .. لديكم اليوم اعمال كثيرة .. التطعيم .. وعمل بطاقات شخصية .. والتقاط بعض الصور .. وتعديل الافرولات لدى الفرزي .. والحلاقة .. ومجالس تحقيق الاسر .. مقابلة المستجوبين ..

هنا أيضا مستجوبون .. وضحكوا جميعا ..

وتحركوا جميعا في نشاط كل منهم يؤدي عملا من الاعمال التي يجب ان ينهيها قبل الخروج الى العالم . وعند الحلاق وجد صديقنا احدهم يخلق .. لم يكن قد قابله من قبل .. سألته .. هل كنت معنا .. اجاب بالايجاب . ولكنى لم ارك من قبل .. ابتسم بمزازه وقال .. لقد اعتبروني جاسوسا .. وليس اسيرا .. ثم استنطرد .

بعد حرب يونيو . . كان هناك تشوين نخيرة ومفرقات قرب رهانة .. طلب منه ومن زميل آخر نسف هذه التشوينات .. وقاما بنفسها لدرجة ان الاخرين على الشاطئ البعيد تصوروا ان الصاعقة فجرت قنبلة ذرية . بعد ذلك ذهب في دورية تصوير مطار حربي .. كان بالملابس المنفية ومعه الات تصوير .. سلمه العربان للاسراييليين فاعتبروه جاسوسا .. سجنوه سجننا انفراديا وزاولوا معه كل انواع التعذيب .. ثم حكموا عليه بالاعدام .. حتى انه كان متخيلا وهو عائد لمصر انه ذاهب لتنفيذ حكم الاعدام .. وهذا هو السبب في تاخر تسليم الاسرى . فاليهود اعتبروه جاسوسا ورفضوا تسليمه والمصريون اصرروا على استلامه ضمن الاسرى .. كان شابا رقيقا وسيما يحب الموسيقى ويعزف على الجيتار ويرقص ويرسم ومن اسيرة معظمها فنانون .. رياضي متحمس بتهور .. ورغم كل ما عاناه كان معتزا بنفسه لدرجة كبيرة فلقد كان يجد سببا مقبولا لديه لتحمله العذاب وبالتالي لا تناقض .. لا تمزق .. ولا يعادى نفسه لقد كان وجهها آخر تماما لما يمكن ان يكون عليه شباب مصر عندما يعتنى بتربيتهم وعندما يجدون الهدف الواضح .. .

تم عمل مجالس تحقيق اسر لاصدقائنا .. تحقيق صوري واجراءات روتينية .. اين سلاحك ؟ .. كيف وقعت في الاسر !! .. لماذا ؟؟ ..

منح السلامة ..

ثم استجوابه : شاب صغير السن ذو تقاطع حلوة .. يلبس نظارة ريبان ويسوى شاربه الاصفر بعناية ويتكلم بكسل شديد وممل ..

اسمك .. عنوانك .. سنك .. رتبتيك .. ملأت الشيت ؟؟ عندك حاجة عايز تقولها !!

.. .. .

.. آه عارف

.. .. .

.. عارفين احنا الكلام ده .. غيره

- آه .. آه .. أحنأ كنا متتبعينه

-

- أشكرك جدا .. تبقى فكرة معقولة .. أكتبها وهاتھالی وارسم
خريطه للكيبوتزات انت مهندس .. وعليها التحصينات العسكرية ..

-

- مش كتبت الحكاية دي خلاص ..

-

- تفكر يعنى نعمل ايه نشئقهما ..

-

- مش قللك كتبتھا خلاص .. هل ممكن تتصور أننا نسيب اليهود
على الجبهة ونجرى نشوف مين اللي ترك كتبيته ومين اللي حرب ..

-

- الجيش كله ترك معداته وسلاحه يعنى على معدات كتبية مهندسين ..

-

-

- المهم حاولوا يجندوك .. ولا لا ..

-

- والفلوس فين طيب سلمها في قيادة المعسكر ..

- اتغيرنا خالص .. الجهاز كله اتغير ..

-

- هذا إجراء يجب ان نتبعه أنت كويس .. غيرك ممكن يكون جاسوس ..

وتأكد مفيش حاجة حتفوت مننا .. متشكرين .. تقدر تتفضل ..

-

- آه .. آه م أنا عارف .. عارفين أحنأ كل حاجة .. متشكر ..

مع السلامة ..

في نهاية اليوم وجد صديقنا من يبحث عنه .. فهناك من يقف
في الشارع ينتظره .. جري في اتجاه سطح الكلية الحربية المطل على
شارع جانبي ليجد أمه .. أبوه .. أمه .. أخته .. خالته .. وانزعج ان
يكون أول لقاء بينهم بهذه الصورة .. كان يود ان يدفن رأسه في صدر
أمه .. ويشعر بترييت كف والده على ظهره ويقبلهم جميعا يلمسهم بيديه

يشم رائحتهم .. يبكي امامهم فيمسحوا دموعه وتعبه وآلامه .. جرى
كالجنون يبحث عن وسيلة ليقابلهم وجها لوجه .. ليتحدث معهم عن قرب

- تناقش مع الضباط والصف ضباط حتى سمحوا بمقابلتهم على البوابة ••
- ازيك يا أبني ••
- •• •• ••
- عامل أياه واحشني •• صحتك وحشه كده ليه ••
- •• •• ••
- عذبوك •••
- •• •• ••
- كانت بتوصاك جواباتي ••
- •• •• ••
- آه
- هل كان معه حقيقتي ثلاثمائة جنيه •••
- •• •• ••
- أخذوها منك ••
- لا أحضرتهم ••
- والله كويس •• تعال سلم على أمك وخالتك ••
- وطلب منهم صديقنا العودة على أمل لقاء آخر •• وأفهمهم أن ذلك مخالف لتعليمات المعسكر ••
- كان عائدا مفعما بالعواطف •• لقد أجهضوا اللقاء •• ولكنها أمه يعرفها جيدا لا بد وأنها بكت وقالت ابني على بعد خطوات واحرم منه •• أم مصريه ••
- ذهب ليشكر قائد المعسكر •• ويسلمه النقود التي معه •• أخذها الآخر وشكره •• عندما خرج تذكر أنه لم يأخذ ايصالا فعاد ليجد أحدهم يقص عليه ما حدث على البوابة ويشككه في أن المبلغ الذي سلمناه صديقنا غير صحيح •••
- وكالمقشة التي قصمت ظهر البعير انفجر صديقنا •• هذه امانة ••
- هذه ليست معاملة •• تستولون على أشياءنا بدون علمنا •• ثم ترسلون الجواسيس خلفنا •• وتشككون أيضا في ذمتنا ••
- كان الآخر يحاول أن يسكته •• طيب يا أبني متزعلش •• خلاص متزعلش نفسك •••
- استطرد الآخر •• لو كان اليهود أخذوها مش كان أفضل •••
- حاول أكثر من طرف تهدئته ••• كان يتحرك في المعسكر مستغزا هل هذا جزاؤه •• المثل هذا الموقف حافظ على النقود ••
- وهكذا أصبح صديقنا بعد ذلك يستفز لائقه الاشقياء متخيلا أن العالم يجب أن يسير كما يتخيل هو في دقة •• وانتظام ••
- ولا يسمح لاي خطأ الا الاخطاء التي يرتكبها هو •• وعادة ما تكون مبررة له ••

زاروا بعد ذلك مقابر الشهداء .. وقف يستمع لنوبة صحيان ..
ثم تحرك حول المقابر يقرأ أسماء شهداء ٤٨ وشهداء ٥٦ وشهداء اليمن كان
من الممكن أن تكون هنا رفاتة تحت عنوان شهداء ٦٧ .. يجد أم أحد الشهداء
بملابس الحداد تبكي ابنا لها من شهداء ٥٦ .. أحد عشر عاما ولم تنسى
.. من أجله .. دمعت عيناه ... وقف بجوارها وربت على رأسها ..
نظرت له بحب شديد .. وكأنها ترى ابنها يخرج من القبر ...

وأخيرا زارهم الفريق محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام جلسوا
في قاعة واسعة في نفس القاعة تقابلا يوم تخرجه وكان قائدا للكلية الحربية
.. كان لا يحبسه ولا يرتاح لطريقة كلامه .. يوم تخرجه قال لهم
احترموا البدلة التي ترتدونها .. لا تشتتر فجلا وطعمية وتتحرك بها ..
ولا تحمل طفلك وأنت تلبسها .. واستنصفوا لما تتجاوزوا مش تتجاوزوا
واحدة بملاية لف وتمشى معاها بالبدلة .. شعر يومها بالقرف كان يقول
عنه أن جنون العظمة يقتله .. لذلك فلقد اندهش عندما عرف أنه أصبح وزير
حربية ما بعد النكسة .. علق أحد الزملاء سيدير الجيش كما لو كان الكلية
الحربية .. قال لهم سنتشكلون وحدة قتالية من الاسرى .. وشعر بمغص
في معدته من القرف ما هذا التفكير الرومانسى السخيف .. لقد قالوا لكم انكم
لن تخدموا في القوات المسلحة وأنا أقول لا بل ستعودون لمواقعكم ثانية ..
قارن بينه وبين ما قاله موسى ديان .. وشعر بالمرارة والحزن .. لقد قررنا
ان نمحك اجازة شهرا ثم تعودون لعملكم ..

الجو صحو .. وشوارع القاهرة كما هي .. بل اكثر جمالا .. والشمس
الدافئة القوية تضيء المنازل والشوارع والاشجار .. ارتفعت الفساتين والجونلات
فوق الركبة كثيرا يربى شعره يتبع فتاة مرسله شعرها وقلبس الميكروجيب
وتقفز في شوارع مصر الجديدة .. اعلانات السينما .. ودلو قبل كل شيء ..
كل من حوله .. العربية تدخل مدينة نصر وتقف امام منزلهم .. رصفوا
الشارع الذى امامهم اهله يقفون فى البلكونه يلوحون ينزلون لاستقباله ..
أخته ابنة خالته الوجوه كلها سعيدة وتباليها الدموع .. الجيران يفتحون
الشبابيك اصوات الزغاريد تطلقها خالته .. عائد من الموت .. أمه تفت على
باب الشقة تحضنه .. صوت صباح « والله واتجمعنا تانى يا قمر .. »
والله واتجمعنا واحلو السهر .. الزغاريد تعاود ثانية .. يدخل الحمام ..
امه تدخل خلفه تريد ان تساعده .. لقد نسي هذا من مدة طويلة ولكن ابنتها
ولد من جديد بيجاما جديدة .. بلوفر جديد .. قميص جديد .. والده يعود
من عمله .. يحتضنه ويلتفون حوله ...

كنتم بتاكلوا ايه •• ضربوكم •• عذبوكم يا بنى •• كنت بتنام ازاي
•• وحشتنا •• وتنهال عليه القبلات •• امة تجلس بجواربة نطعمه ••
تعرف ما يحب وتضعه في فمه •• كل يا بنى ده أنت محروم •• الله يجازيهم
أبوه يقول وهو يبكي •• يا بنى تموت مش مهم •• أنا وأنت وكل شباب
ورجال ونساء مصر فداها •• ولكن في سبيل موقف مش لعب العيال ده ••
لو مت في هذه المهزله لبكيتك طول عمري •

كانت لحرب ٦٧ والاسر الاثر الاكبر في شخصية ونفسية صديقتنا بعد
ذلك اذ ورغم أن هذا شيء لا يمكن ملاحظته لاول وهله كان يحكم
شخصيته عاملان هما افتقار الشعور بالامن والشيء الغريب الذي قد تدهشون
له •• الشعور بالنقص •• وكان افتقاده للشعور بالامن يجعله حذرا دائما
يضع البدائل باستمرار لا يثق في أى مخلوق أو أى تصرف على الإطلاق ودائم
التغيير لا عواطف له •• جاعنى في يوم يشكو من أن احدى صديقاته أتت
الى حائط مقابلهم وقالت لو كان هذا الحائط يشعر فستشعر أنت • واصبح
لا يستطيع أن يبقى في مكان واحد لمدة طويلة •• وكان شعوره بالنقص
يدفعه لتغطيته بطبقات سمكية من التصرفات والمظاهر •• فيليبس افضل
الملابس ••••• ويدقق في اختيار الالوان ويتحرك كالتاووس بسبب كل شيء
وينتقد كل شيء •• ينفق ببذخ وفي بعض الاحيان بأسراف شديد •• وكان
يثقف نفسه كثيرا ويقتنى اللوح والمجلات والتماثيل والاسطوانات
الكلاسيكية ويستعرض معلوماته وبشكل مستمر ويتعامل مع الناس بتعال
وقرف شديد •• ولكنك ورغم كل هذا لا تملك الا أن تحبه ••

في المساء كانوا يحتفلون بعودته •• تجمع الاهل والاقارب والاصدقاء
والمعارف والجيران •• كل منهم يسلم عليه •• يحضنه •• يساله ••
كانوا يصرون ضجة شديدة اصواتا عالية •• ضحكات •• وصوت
الاسطوانة المشروخه من كثرة الاستعمال يعلو ولا أخذ يستمتع إليها ••
الطشت قاللى •• الطشت قاللى •• قام بتكاسل •• دخل الى حجرة
جانبيه •• أمسك كوبا من الويسكى ثم جلس على كرسى مريح مادا ساقيه
الى كرسى مقابل •• وأخذ ينظر لقطرات الويسكى وهي تتخلل مكعبات
الثلج من خلال فاصل ضبابي كونته قطرات الخدى المتجمعة على جدران
الكوب وضع الكوب بجواره •• ادار الريكوردر وابتدا يستمع الى النغمات

الأولى من كونشرتو التروبييت لارتنيان •• خفت الضجة حوله بعد أن أغلق
الباب ليحل محلها الاصوات القوية للالات الموسيقية والتي أسلمته للحن
خفيف مريح أشاع الخدر في جسده •• ظل يتابعه لمدة •• ثم شرد مركزا
عينية على صورة له مرتديا فيها اللزى العسكري ••

- فتح الباب بهدوء وجلس بجواره • ثم ربت على فخذه وغال ...
- يا راجل روق .. ولا تحمل هم .. ده يومك النهارده ..
- لا ولا حاجة ..
- هم عذبوك كثير ..
- لا .. مش قوى ..
- كانوا بيباكلو كم - اظن مش قوى - طنط يتقول كانوا بيدوكوا على العشاء بصلاية او خياراية او طماطماية ..
- آه فى الاول ..
- علشان كده خاسس .. اظن حتاكل لغاية متعوض اللي فاتت ..
- اسمع .. اسمع اللحن ده .. ثم ردد مدخله مع الموسيقى ليلفت نظره ..
- آه كويس .. انت بتحب الموسيقى ..
- احبها جدا ..
- وياترى كانوا بيسمعوها لكم هناك ..
- احيانا ..
- وشفت اسرائيل طنط بتقول انك زرتها ..
- آه ..
- حلوة اظن حد من أوروبا .. متقدمة .. ررت ايه !! تل ابيب ..
- لا .. خذ سيجارة محاولا أن يشغله عليه يتركه فى حاله او ليتمسى ..
- أخذ السيجارة وظل يديرها بين أصابعه ثم أمسكها بطريقة توحى أنه لا يدخن وانما يعفر أحيانا على حد تعبيره ..
- ونسوانهم حلوة ..
- آه ..
- أشعل السيجارة ثم نفخ دخانها فى الهواء ..
- وكانوا بيدوكوا سجاير طنط بنقول كانت مقرفة ..
- فعلا سسيئة ..
- زى البلمونت كده ..
- لا زى السجاير العربى وأسوأ ..
- يا سلام وكنتم بتعملوا ايه ..
- ولا حاجة لم نمت ..
- لكن كان مسموح بهدايا من هنا .. مش كده .. كانوا بيدوكوا السجاير ولا سرقةوها .. وارتفع صوت الكونشرتو فى أفضل وأحب جزء

الى نفسه .. فاعتدل في جلسته ليستوعبه .. ثم قال هذا العمل
لموسيقار معاصر .. ومع ذلك من اجمل الالحان التي سمعتها في حياتي ...
- رد عليه - يا اخي اقبل الدوشه دي .. خطينا نعرف نتكلم ..
طقطق بشفتيه .. اى اسكت ..

- انت ايه اتجننت .. جرى لك ايه .. هو مفيش حد اتأسر غيرك ..
في الحرب العالمية الثانية ناس اتأسرت بالثلاث والاربع سنين وفي
كل حرب الناس بتتأسر ده حتى حظك كويس انك ممتش وهنا قفز من فوق
الكرسى .. ضغط على اصبع الايقاف للريكود وواجهه قائلا .. يا سيدى
العزير انت لن تفهمنى ابدا .. فانت لم تصل الى شفا الموت .. الى شفا
الجنون .. ولن تفهم ما معنى الموت وما معنى الجنون .. او حتى ما معنى
الحياة .. ارجوك اتركنى فى حالى ..

كان صديقنا يشعر بالخربة لقد تخيل لليالى طويلة ماذا سيفعل بالقاهرة
ولكنه وبمجرد وصوله الى منزله .. وجد نفسه يسقط فى بئر الفراغ .. امامه
اختيارات كثيرة وليست لديه القدرة على ان يفعل شىئا غير ان يبقى فى
حجرته يستمع الى الموسيقى ويحاول ان يرم نفسه .. لم يكن ليتكلم
الا مع والده فلقد كانت هناك رابطة غريبة بينهما كل منهما يشعر انه
امتداد حقيقى لآخر .. قال له : خرجنا فى الشارع زى المجانين مصر ..
مصر .. كانت المنازل تقذف سكانها الى الحواري فالشوارع .. وامتلات
الشوارع بالناس بالبيجامات والجلابيب والشباشب رجال .. اطفال ..
نساء .. شباب .. خرجت انا وخالتك واختك نهتف ناصر .. ناصر ..
مصر .. مصر .. احسسنا بالهزيمة فى هذه اللحظة فقط .. لم يكن من
اجله .. صدقنى .. كان من اجل بلدنا .. من الذى سيقود فى هذه الازمة
غيره .. يتخلى عنا فى لحظة الضيق .. واطلقت صفارات الانذار لم نهتم ..
اطفئت الانوار لم نهتم .. اطلقوا المدفعية رقدنا على الارضى ثم قمنا ثانية
ننادى ناصر .. ناصر .. ناصر ..

قالت له وهى تشد الجونلة الاكثر من قصيرة فى بحارلة لنفطية جزء
من مخفيها بعد ان لاحظت نظراته الشرهة لها .. « البلاك كوتس يتقدم
شويجنن » وقف فى وسط الحلقة يراقبها امتدت يدها الى الامام بعنف
ثم بسرعة الى اعلى والى اسفل واهتزت رأسها الى اليمين واليسار بشده
مطلقة فى الاتجاه المضاد خيوط شعرها الاسود الطويل الحائر من اهتزازات
صاحبته القتالية وترفع جسدها الفارع للامام والخلف ثم صاحت مع الجموع
التي تصيح « شامب » كان ينظر الى عينيها المغمضتين وأطرافها المتشنجة

الصفراء من شدة الانفعال ويحاول أن يجاوبها ولكن يا للذكرى اللعينة لا تريد أن تبأرح خياله ...

دقات الموسيقى العالمية تذكره بالتنازل وطلقات الصواريخ ..

أزيز الاورج يذكره بالطائرات المنخفضة الساقطة تقذف لهيبها ... وحتى هذا السمين الذي يأكل البفتيك يذكره بالكلاب التي كانت تنهش الجثث المضروبة بالنابالم ...

كم تغيرت القاهرة في هذه الشهور القليلة .. فتحت عينها لتجده مرتبكا وسط الحلقة ابتسمت شجعتة ، دبت اليه يديها بدلال لنمسك بيده ويستمر ..

زادت دقات الموسيقى وحشية .. ووصل الانفعال الى قمته .. الاجساد تهتز هزات غير متسقة .. كل منهم في عالمه .. وعلى وجهه احساساته الخاصة .. رائحة العطور المستوردة المختلطة برائحة العرق تثيره وابتسم .. تذكر زميله الذي لكزه .. وقال له من فضلك قل للزميل الذي امامنا ان يلبس حذاءه ووضع اصابعه على أنفه .. من منهم لم تكن رائحته أقذر من رائحة عفن الموتى المتناثرين في الصحراء .. زادت الاضاءة وغلب عليها الالوان الحمراء والصفراء والبرتقالية .. وارتفعت درجة الحرارة بالصالة وتصيب عرقا .. زميلته تقفز .. الجميع يجلسون يقفون .. يصيحون .. كان يجلس معهم ويضح يديه فوق رأسه ثقله .. يقلدونها يقفون ثم يجلسون مقرصين واضعين أيديهم فوق رؤوسهم يحاول ان يوقف تيار الذكريات .. الموسيقى تتوقف فجأة الكل ينظر في اتجاه الفرقة .. عازف الجيتار اسماعيل الحكيم يتمتم بالفرنسية ثم الانجليزية ثم العربية هنا القاهرة الراقصون يرددون صيحته بصيحة جماعية ...

كان ينظر حوله فيجد ان كل شيء قد تغير الملابس ألوانها .. العطور .. تسريحات الشعر .. كلها مستوردة .. حتى الثورة والانفعال مستوردان .. له حق ابن الحكيم ان يذكرهم أنهم ما يزالون في القاهرة .. القاهرة المهزومة .. تخفت الموسيقى ونهدا .. وياخذ زميلته في حضنه .. يرقصان .. خده يلامس خدها .. وصدرها يخترق صدره .. وساعداها متشبعتان برقبته .. وكفاه يعبثان بظهرها .. ويهدأ في داخل الحزن الانثوي المكتمل .. يهدأ .. يهدأ .. يتحرك ببطء .. وينتهي اليه .. يتخدر .. ويدمن الخدر .. ثم يزيد الجرعة .. مرة تلو الاخرى .. ويغرق .. يغرق .. يغرق .. منذ ذلك اليوم اعناد صديقنا ان تكون له أكثر من صديفة ليضمن مخدوره دائما وكانت تغلب عليه لغة الجيش فيقول خط أول وخط ثاني

واحتياطي تكتيكي واحتياطي تعبوي واحتياطي استراتيجي واحتياطي عام ..
وكان كل مرة يحدث حركة تنقلات لتأخذ كل واحدة مكان الاخرى .. كان
في البداية مرتبكا ثم أصبح محترفا .. سىء السمعة ومع ذلك لم يكف أبدا
رغم الالام والعذابات التي سببها للطراف الاخرى .. كان مثل ضوء مبهر
.. وكانت الفراشات دائما تقتربن منه ليحترقن .. كم تغير صديقنا كما
تغيرت قاهرته ..

وضع اسطوانة المسيمفونية القاسعة لبيتهرفن فوق البيكب ثم أدار
الجهاز .. وتهادت اليه أصوات الشيلوهات وهي تعزف اللحن الرئيسي كان
جالسا على كرسيه مادا ساقيه للامام في لامبالاه .. ناظرا الى بخار الماء المتصاعد
من كوب الشاي الساخن .. وانتهت الحركة الاولى والثانية والثالثة ..
وابتدأت الحركة الرابعة .. اللحن الاساسى بدأ يتكون ويتكثف أكثر .. الالات
جميعها تنطلق مرودة للحن واصوات الكورال تأتي متصاعدة .. عندما فتح
والده الباب مبتهجا وكأنه عاد اليه شبابيه .. قال بصوت عال جعله يوقف
الاسطوانة ..

- معرفتش ايه اللي حصل .. ثم اكمل دون انتظار لاجابة .. اضرابات
في الشارع الشباب .. الشباب يا سلام بلدنا لسه فيها الخير .. أنا مشيت
في الاضراب بنفسى رغم شيبتي دى .. وشجعتهم في الحقيقة وعى مش معقول
.. كانوا عاملين لجان للمحافظة على النظام حاول بعض الاولاد ضرب عربية
المطافى منعوهم .. اضراب في مصر فين من خمس عشرة سنة لم يحدث هذا ..
الشباب مازال فيهم الامل .. اكمل استماعه الى التسجيل .. فلقد خاف عليهم
منه ومنهم عليه .. ظلت هذه الرغبة تؤرق صديقنا طويلا .. حتى شارك بعد
ذلك في عديد من المظاهرات والندوات وكانت أكثرها اثرا في نفسه عندما اعتصم
الشباب في نهاية ٧٢ وبدايات ٧٣ في صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ..
وذهب لمقابلتهم .. كان يقول أن جر الحرية في هذا المكان في هذا الوقت كان
يمكنه أن يحرك القلب المريض المنهار .. مئات من أفضل شبابنا يجلسون معا
في حوار آخنيارى يناقشون كل مشاكل الامة .. ويكتبون مجلات تضرع بالخرية
والشجاعة يقولون فيها كل ما يخطر على البال وأى شىء حتى ولو كان خطأ
.. ثم يناقشونه وبتحمس .. وايجابية .. ويتفقون ويختلفون .. كانت
لهم قيادة منهم احتلت المنصة ورغم صغر سنهم الا أنهم أداروا حوارا واقيا
بديموقراطية متقدمة للغاية .. في ذلك اليوم ذهب وفد منهم الى مجلس الشعب
ليناقش .. واتفقوا معهم على أن يذيعوا بيانا لهم في نشرة الاخبار وجاءوا
ممسكين بعضهم بيد بعض في طابور طويل على جانبي ممرات القاعة من الباب

الخارجى حتى المنصة .. منشدين بلادى .. بلادى .. بلادى .. لك حبي
وفؤادى .. كان يجلس بينهم مستمتعا بجو الحرية .. والحماس .. وتجمعوا
حول المذيع .. ولكن خلف مجلس الشعب وعده .. وجلسوا في حجرة واضعين
أيديهم تحت خوذهم .. بعد فترة كان الامن المركزى يتجمع في الخارج ..
ثم هاجم القاعة أمسكهم جميعا .. شبانا وشابات في عمر الزهور ممثلين
حماسا وطاقة ووطنية .. يريدون أن يفهموا فقط .. وخرجوا ينشدون اصحى
يا مصر .. اصحى يا مصر .. احنا ولادكم احنا أخواتكم احنا .. بنعمل
كده علشانكم ..

يوم آخر اعتصم فيه الشباب في ميدان التحرير .. حول النصب التذكارى
الذى اعد في يوم ما ليحمل الخديوى اسماعيل .. وتوقفت الحركة في الميدان احتلوه
.. كانت لهم بعض الاسئلة والمطالب .. كانوا يبحثون عن الحرية ويحاولون
ان يتنفسوا بعد ان طال الاحتلال .. ثم هاجمهم الخيالة في الفجر وقبضوا عليهم
لم يكن صديقنا يتصور بالطبع ان اجتماعات هؤلاء الشباب او منشوراتهم
او مظاهراتهم سوف تغير الاوضاع او تحرر سيناء ولكنه كان يأمل ان يوجه
هذا الحماس وهذه الايجابية في اتجاهها الصحيح فلقد أصبح يؤمن بأن
الديمقراطية والحرية وتعدد الاراء وصراعها هو الامن والامان للمستقبل
وأن علينا ان نشجعهما حتى ولو حدثت أخطاء ..

دعى صديقنا الى قرية صغيرة من قرى الوجه البحرى ليلقى محاضرة
وندوة والتف حوله مجموعة من مثقفى الريف وبعض الفلاحين ومن خلال دخان
الفرن الذى اشعل لعمل الفطير فملاً حجرات المنزل المتواضع دار حوار ..
- لكن يا عم محمد لماذا لا تحلون هذه المشكلة بشكل ذاتى .. يعنى بدلا
ما يقطع كل منكم الخمسة كيلو مقترات لاحضار المياه .. تذهب مجموعة كل
يوم بالدور محملة بعدد من الفناطيس تملأ مياه .. وتفرغها في فنتاس
او اثنين في وسط القرية تستخدمونه جميعا ..

- يا أستاذ لازم الحكومة تدخل .. ايه يعنى لما يمدوا لنا خطا لغاية
عنقنا ..

- انت عارف ان الموضوع بالدور وبتحكيمه ميزانية محدودة .. ولو ذهبنا
لرئيس المدينة وقلنا له عزبة أبو غفار .. حيقول وباقى العزب ..

- وايه يعنى يا أستاذ حتتكلف الميه لكل العزب كام الف .. الفين بدل
الجناين واعمده النور والزواق نمد ميه الاول نشرب وبعدين نزوق ..

- ولغايه ميمدوا خطوط حتشربوا مفين .. م تحلوا الموضوع بشكل جماعى

- يا بيه انت متعرفش احنا عايشين ازاي انت فكرك الفلاحين بيحبوا بعض وطيبين ومتعاونين بيقلوا كده في المدرسة والجرنال .. والنعمة دي ولام اوعى اكلها . كنا حنقتل بعض على شوية تبخ .. العزبة دي ما اذت عارف ملك الدكتور حشاد بتاع الرمد اللي في البندر وماجر لكل واحد فسدان ولا اثنين .. وفي وسط العزبة الشونة اللي قدام سعادتك دي .. قلت اوضيها وادخل التبخ جواها وازرع الشبرين دول بينفخوا برضه .. الغيرة اكلت قلبهم راحوا يشتكونى لصاحب الملك .. تقوم تقولى نملا سوا ... لا يابيه الحكومة تمد لنا الميه ..

- يا عم محمد احنا في حالة حرب والبلد كلها مشغولة ..

- يعنى يا بيه حالة الحرب على الغلبان اللي زى حلاتى .. ربنا ينصره عبد الناصر وملعون ابوهم اليهود .. قصدى الصهاينة لثقلوا علينا متعصبين لكن برضه نفضل من غير ميه ...

فكرة غريبة سيطرت على عم محمد ان كل من لبس بنطلون وقميص وقدم من البندر اصبغ من السلطة .. وعليه ان ينحل له مشكلته الشخصية .

عندما يحل الليل يشعر صديقا بالانقباض فالحبس في حجرة مغلقة ذات اربعة جدران اصبحت تسبب له ضيقا .. لذلك فلقد طرق ابواب جميع دور العرض في القاهرة ولفت نظره ظاهرة غريبة .. ان جميع الافلام المعروضة تقريبا افلام جنسية .. فلنراجعها ان لم تخنى الذاكرة .. سينما مترو فيلم « انفجار » فيلم عن الضياع وانراقة في اللذة الجنسية سينما رمسيس « الحياة للحياة » فيلم يدعو للانطلاق والحب وتحويل المشاكل العامة والحروب الى تسلية مع الغرق في اللذة الجنسية .. سينما اوبرا « الحب اقدم مهنة في التاريخ » فيلم يتجكى قصة وتاريخ الدعارة وتطورها .. سينما كايرو « الزواج وحبوب منع الحمل » ما معنى هذا هل هناك خطة مسبقة لدعوة الشعب المصرى لان يفرق همومة وثورته في مجموعة الانفعالات الجنسية وماذا كان رد فعل ذلك .. !! امتلات الستريوهات والملاهي بالشبان والشابات يرقصون اسما ويمارسون الجنس بأشكال غريبة .. في بعض الملاهي شاهد صديقنا من خلال الاضواء الخافتة جدا بعضهم يزوال الجنس .. وانتشرت الدعارة وطوقت شرائح واسعة ومختلفة من الناس .. وهكذا بعد الحروب .. تتجلى جميع الاشياء والقيم .. والانكار .. ولم ينج احد ..

بعد ايام زار صديقنا مندوب من المخابرات الحربية .. ثم اخذه معه في عربة سوداء طويله عليها ستائر .. ركب في الخلف بين رجلين من المخابرات مسلحين وفي الامام كان آخر وسائق ..

- الى أين ..

- لا نعرف ..

- ماذا تريدون ..

- لا نعرف ..

- من الذى أمركم بذلك ..

- لا نعرف .. فصمت حتى وصلوا الى مبنى صغير بخل احدهم

قفل جميع الابواب ثم قاده الى حجرة صغيرة وخرج وقفل الباب خلفه .. الحجرة

بها سرير صغير ومرآة ومنضدة بكرسيين وستائر على الشبابتيك المغلقة ..

الزمن يمر ببطء خمس دقائق .. عشرة .. ربع ساعة .. نصف ساعة

.. ساعة .. ويدخل احدهم يضع امامه مجموعة من الاوراق وقلم هذه

وثيقه تعارف أرجو ان تملأها بعناية ستحاسب على كل حرف تكتبه .

ويسأله محاولا تخفيف الموقف بأبتسامه .

- هل تتهمونى بشيء ..

- لا مجرد اجراء روتينى ..

احدهم يدخل حاملا كوبا من الشاي يضعه امامه ويخرج .

يملا الوثيقة وهو يتأملها بعناية بيانات متشعبة ينتهى منها ومن شرب

الشاي .. ويجلس ينتظر .. يصفر بوجهه .. يرقد على السرير .. يعيد قراءة

الوثيقة .. ينظر الى المرآة ويلعب حواجبه وتمضى ساعتان قبل ان يحضر

احدهم يدعوه لمقابلة الرائد ..

- رجل سمين ابيض الوجه احمره .. ابتدا الصلح يزحف على شعره

المرتب بعناية خليق الذقن راض .. يدخن سيجارة طويلة من علبة .

علبة سجائر تشبه علبة السجائر السويسرية التى اخذوها منهم

يوم حضورهم .. مازالوا يدخنون منها حتى الان .. وأبتسم .

- صباح الخير

- مشغول فى قراءة اوراق امامه .. ثم ينظر له ويبتسم .

- اهلا .. اهلا .. اتفضل يا فندم .. احنا اسلمين جدا للتعطيل .

- لا .. لا يهم ..

- آه

- شوف يا فندم .. انت هنا فى بلدك وبين اهلك وموقفك من مخابرات

العدو يخالف موقفك الان .. نحن نحاول قدر جهدنا ان نستفيد منكم

- وأيضا ان تؤمنكم والان امامك الفرصة الحقيقية لكي تصبح صفحاتك بيضاء •• وهى ان تقول كل ما تعرف •• وكل ما حدث ••
- انا قلت في الورق اللي كتبناه يوم ان حضرنا •
- انا قرأته كلمة •• كلمة •• ممكن تقولى •• احب اسمك منك ••
- قصتك •
- اى قصة •
- قصه أسرك •
- كنا كتيبة مهندسين الفرقة
- باختصار من فضلك فين اتاسرت ••• !!
- قرب مطار المليز •
- أسرتكم دورية اسرائيلية مش كده •
- آه •
- ونقلوكم للمطار •
- آه •
- مين كان معاك ؟
- كثير •• فلان وفلان وفلان
- آه •
- اخذوا منكم حاجتكم مش كده •• انت ايه مشربتش حاجة يا سلام •
- آه الا مائتى جنيه احتفظت بها ••
- يا سلام مائتى جنيه •• ازاي كانوا بتوع ايه •
- وهنا ابتدا صديقنا يفهم لماذا احضروه فابتدا يجس النبض
- ايه حاجة غريبة انى ارجع بمائتى جنيه •
- لا •• لا ابدا لكن احب افهم ازاي رجعت بينهم •
- فقص عليه القصة كاملة •• بشهودها •• بتواريخها •• بجميع التفاصيل علق الاخر •
- انت عارف يا فندم لم يحدث في تاريخ المخابرات ان فر منا جاسوس
- لنا قصص كثيرة معهم •• جاسوس كان •• وجاسوس اخر ••
- وجاسوس اخر ورغم كل الاشكال العلمية والتوعية من المخابرات
- الاسرائيلية الا انهم سقطوا فاهم •
- وهنا غلى الدم في رأس صديقنا واعتبر ذلك اتهاما وتهديدا فرد
- وما دخل هذا بي ••• !!

- مجرد معلومات عامة يمكن تحب تقول حاجة ثانية .
مد صديقنا ساقيه على الكرسي المقابل واستعد للصراع . . بعد التصريح
الواضح للاخر فسأله .

- انت بتشك فيه كام في الميه .

يفاجأ الاخر ويرد بسرعة

- انا لا اشك فيك ولكن هذه الاحتياطات لصلحتك . . ثم يستطرد احنا

عندنا هنا تسجيل كامل لكل تصرفاتكم اثناء الاسر .

يبتسم الاخر ويسأل بنخيت

- ياه وكيف حصلتكم عليها ؟

يرد الاخر بتياهي

- لنا بالطبع رجالنا هناك . . ويمكن اللي كان بيستجوبك هناك منهم .

ضحك الاخر بصوت عال ورد

- ولكن هذا شيء خطير

امتعض وأجاب - لماذا؟؟

رد الاخر بنخيت - لان بالطريقة دي ما الضمان بان من يستجوبني الان

ليس من رجالهم . . .

اصفر وجه الاخر ونظر له بشراسة .

مأكمل ليخفف الموقف - يا فندم التسجيلات التي عند سيادتك انا التي

حملتها من اسرائيل حتى هنا . . والرائد صفوت سجلها وخاف يحملها

كان هذا كافيا لرد كرامته امام رجل المخابرات الذي يشك فيه . ولكنه تمادى .

- السجائر التي امامك دي كويسه . . طعمها كويس .

رد الاخر .

- آه انتفضل .

- لا . اصلها سجائري وانتم صادرتموها . .

- رد الاخر .

- احنا آسفين جدا لكن انت منفعل ليه كده . . انا اؤدى واجبي هنا

. . وكان من الممكن ان تكون انت مكاني واكون انا مكانك . . الموضوع وظيفة

وخدمة ودور . . . وكما ترجو ان تؤدى دورك بصورة جيدة لا تستبعد ان يؤدى

الاخرون دورهم . . ويجب ان تعطيني الفرصة كاملة لذلك فالصلحة في النهاية

مصلحة وطننا . . وعموما انا مقدر ظروفك لكن هل ستعلم ان من ضمن خمسمائه

ضابط اسير حاولت المخابرات الاسرائيلية تجنيد حوالي ثلاثمائة وان هناك

أكثر من مائة ضابط استجابوا لها وجندتهم ولولا اعترافهم لما استطعنا أن نساعدهم . . هل أنت راضٍ الآن ؟

قام الآخر وسلم عليه بحرارة محاولاً الاعتذار عن لهجته الحادة وقال - ولكن لم يحدث لي هذا . . شكراً .

خرج صديقنا مندهشاً . . كيف يحدث هذا . . كيف يجروا انسان ما علي دعوة آخر لان يخون بلده . . مجرد دعوة . . فما بالك بأن يستجيب ولماذا لم يدعوه لذلك . . ان هذا يتوقف على مدى الذخيرة وارسقوط الذي حدث للضابط بحيث توجه له مثل هذه الدعوة .

اجتمع بهم بعد ذلك نائب مدير السلاح . . كانوا مجموعة المهندسين المبادئ من الاسير .

قال - انتم آخر من ترك السلاح . . الذين عشتم التجزبة حتى نهايتها ورأيتم العدو رأى العين . . ولذلك فسنتفيد من خبرتكم الطويلة .

سأله احدهم - ما حال الجيش اليوم .

- في أحسن حال . . بعد الهزيمة حدث انهيار ولكننا عوضنا اليوم أكثر من سبعين في المائة من خسائرنا . . وطعمنا صفوفنا بجنود مؤهلات علينا سيعود كل منكم لوحدته فيجزم تغييراً كبيراً .

-

الفريق مرسى فقط . . وحل محله سياده اللواء جمال محمد على . والقيادات أصبحت أفضل .

- سيادتكم بتقول القيادات . الم يزل قائد كتيتي ورئيس عملياته اللذان هربا من المعركة قادة . ؟؟

- لا . لا . انتم اعصابكم تعبانه . . من قال لك انه لم يحدث تحقيق .
- انا اعرف .

- يا بنى لا تكن مندفعاً هكذا كل القيادات هربت . . سلاحنا أحسن سلاح .

- ولذلك لا تعلنون ما تم ليبقى سلاحنا أحسن سلاح .

- هذا مخالف للسواق .

- اسمح لي انتم القيادات الكبيرة يغطي بعضكم على بعض .

لا . . لازم تعرف انك لسه ضابط وانه يمكن محاسبتك على مثل هذا الكلام ساقدر مدى تعبك ولكن قبل ان تتكلم فكر في مستقبلك .

- ... صمت طويل

- الحمد لله على السلامه أن شاء الله نشوفكم في وخدماتكم قيادات جيدة
تطور الجيش المصرى وشكرا ..

لا شك أن حرب ٧٣ بعد ذلك كانت حرب سلاح المهندسين فالسلاح
هو الذى ابتكر هدم السائر الترابى برشاشات الماء .. وهو الذى متح
الثغرات وهو الذى أنشأ الكبارى والمعديات وهو الذى أمن الطرق فى الارض
المفتوحة وأزال الألغام ورص الغاما جديدة ولقد حدث هذا من خلال تدريب
شاق .. وكان نائب مدير السلاح له الحق .. ولكن صديقنا كان مطعونا ..
لانه لم يجم أى أذن تصفى له وتفسر .. هل يمكن أن يهرب قائد من المعركة
ويترك رجاله بدون أوامر أو تعليمات ولا يحاسب .. ولو بشد أخفيه ..
ولقد اعترف بعد ذلك صديقنا .. وندم أن صبرة قد نفذ مبكرا فلم يصمد مع القوات
المسلحة حتى تحقق نصر ٧٣ .. فلقد كان وما زال لا ترى عيناه الا الاخطاء ..
ولا يستطيع أن يميز الخيوط البيضاء الرقيقة فى الرقعة المظلمة .. وهذا حال
اغلبنا بعد النكسة فماذا لت ارواحنا محبوسة ..

حملت له سؤالى هذا - الم يحن الوقت الان لكى تتحرر الارض المحبوسة

داخلنا ؟

قال : هذا السؤال أوجهه لك بصفتك طبيبي .. هل هناك أمل لان

تتحرر الارض المحبوسة داخلي ؟

وأنا انقل لكم هذا السؤال أعزائى القراء هل هناك أمل لان تتحرر الارض

المحبوسة داخلنا منذ ٦٧ .. ؟

انتهت بعد خمسة أيام من تحرير

الأرض المحبوسة فى سيناء

أبريل ١٩٨٣

المؤلف :

- محمد حسين على يونس
- من مواليد القاهرة ٣/٣/١٩٤٠م
- حاصل على بكالوريوس العمارة ١٩٦٢
- عمل بالقوات المسلحة حتى اكتوبر ١٩٧٠
- رائد بالمعاش .

مؤلفات

- | | |
|------------------|--------------------------------|
| مجموعة قصص قصيرة | - احاديث عن الغول |
| مجموعة قصص قصيره | - طعام لنا بدلا من طعام الاله |
| مجموعة قصص قصيرة | - جدى الملك الاله |
| قصة طويلة | - على شفا الموت على شفا الجنون |
| قصة طويلة | - اجمل الكلمات لم اقلها بعد |
| قصة طويلة | - خطوات على الارض المحبوسة |

رقم الايداع ٨٣/١٨١٥

دار الكلمة
للطباعة والنشر

امام سنقرال الهرم - الطالبية - جيزة - ت : ٨٥٦٨٢٠

خصلوات على الأرض المكبوسة

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الايام الستة التى عرفت بأيام النكسة ... وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب والاسر الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك ويتعرض بقلب الوطنى الفيور على مصير شعبه وأمه لكثير من السليبات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للإنسان المصرى والعربى .

كتب الكتاب بأحاساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ويلفحها بالكرباج حتى تبدو لعينه الحقيقة المخفية تحت جلده

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل

دار المستقبل العربى

٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة

ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة